الإمام الحسين



شهيد المحراب

آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم



الإمام الحسين عليه السلام

الإمام الحسين عليه السلام

شهيد المحراب

آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم قدس سره

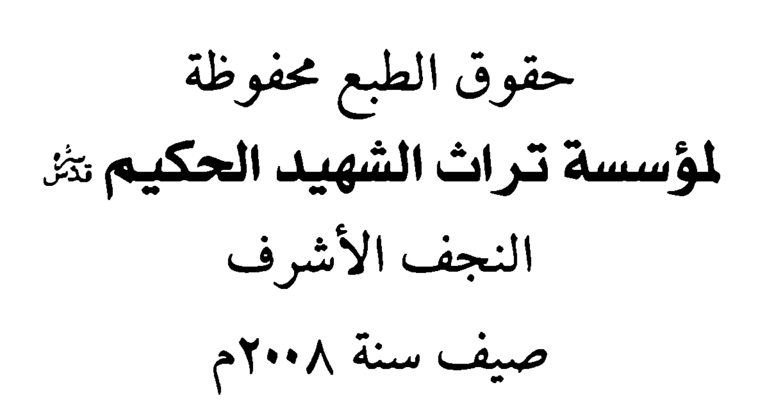
هوية الكتاب

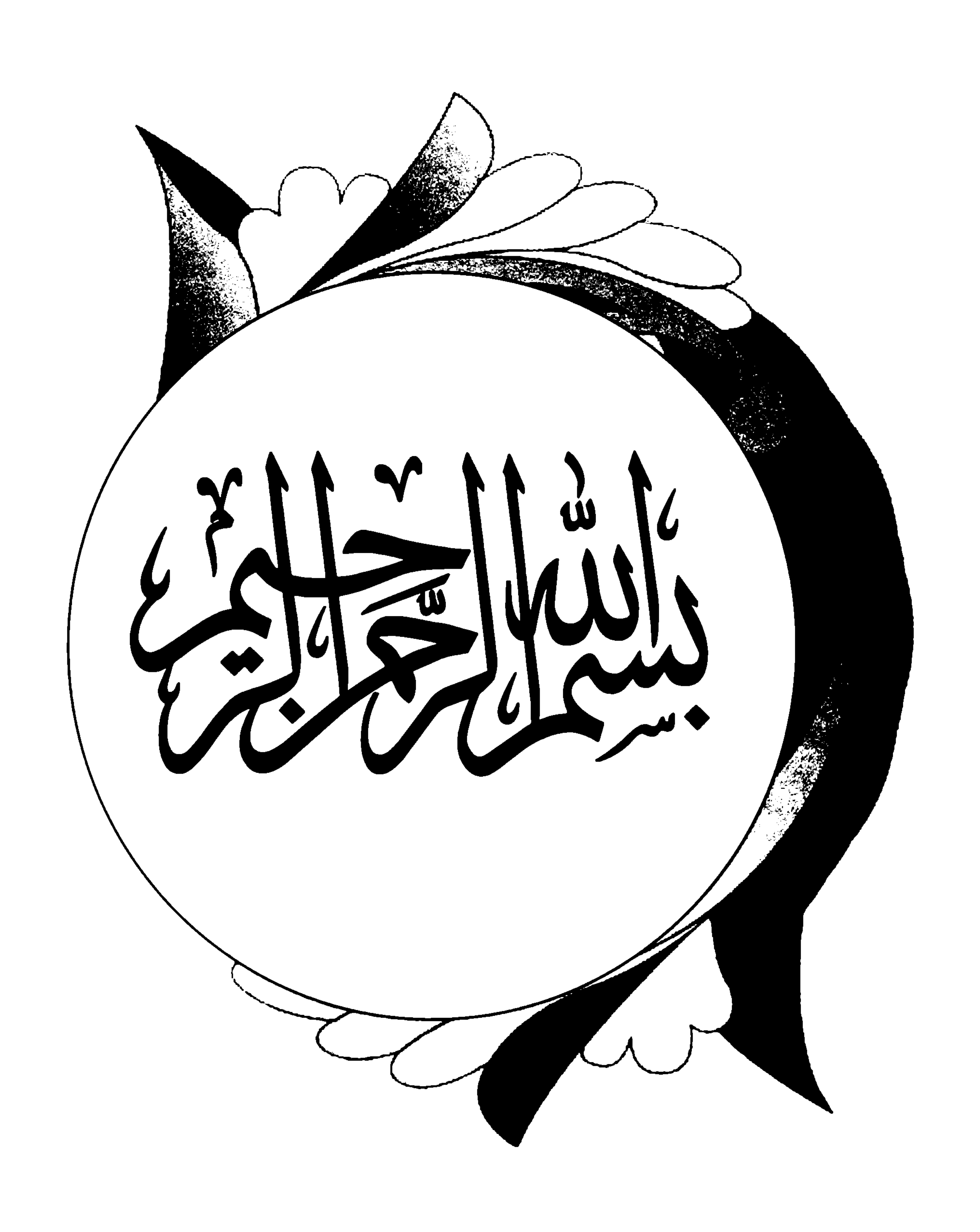
اسم الكتاب: الإمام الحسين عليه السلام.

الناشر: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره.

المطبعة: العترة الطاهرة.

الطبعة الأولى: ٥٠٠٠ نسخة.




بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف خلقه محمد واله الطاهرين.

لم تمر فاجعة بالإسلام عموماً وأهل البيت عليهم السلام خصوصاً كفاجعة الطف التي انتهك فيها الطغاة كل المقدسات الإسلامية وأباحوا كل الحرمات، ومارسوا فيها كل ألوان الممارسات اللاخلاقية بحق الحسين عليه السلام وأهل بيته الكرام وصحبه الميامين، بل حتى النساء لم تسلم من تجنّي يزيد وأتباعه.

كما أن أي دارس ومنصف لثورة الإمام الحسين عليه السلام - أسباب ونتائج - حينما يريد أن يصدر حكماً عليها لا يكون مجافيا للواقع حينما يقول: إنها أعظم ثورة في تأريخ الإنسان، وأكثرها انفتاحا على البعد الإنساني، وتأثيراً في المجرى العام لحياة الشعوب؛ لأن ثورة امتد عمرها قرابة خمسة عشر قرنا وما زالت تحتفظ برمزيتها وتجددها لحريٌ بها أن تكون كذلك.

ومن الملاحظ على السيد شهيد المحراب إهتمامه بالحسين عليه السلام وبثورته بكل أبعادها وحيثياتها، حيث أفرد لهما أياماً من عمره الشريف وهو يتحدث في محاضراته القيمة عن سبط الرسول صلى الله عليه وآله وثورته، حيث قدم فيها رؤى متكاملة وأجاب فيها عن إشكالات وتساؤلات أخذت مأخذا من أرباب القلم والفكر. فكان نتاج ذلك في حياته قدس سره صدور (كتاب ثورة الحسين) و(كراس الشعب العراقي وملحمة كربلاء) و(كراس دور المرأة في النهضة الحسينية)، وبعد استشهاده صدور (كراس الشعائر الحسينية). وقد ارتأت مؤسسة تراث الشهيد الحكيم جمعاً للأفكار من التشتت وتسلسلاً للبحوث دمج وجمع كل هذه الإصدارات في كتاب واحد لاشتراكها في

محور واحد، ومما يعزز هذه الرؤية أكثر هو أن المؤسسة عثرت على محاضرات للشهيد الحكيم يتناول فيها أبعاد شخصية الحسين عليه السلام لم تنشر سابقاً.

وقد كان لجهود سماحة الشيخ جاسم السهلاني دور مهم في لمّ هذا الشتات وإعادة فهرسة المطالب والبحوث من جديد وتخريجها وتصحيحها بعد أن أعاد النظر في كل التخريجات السابقة.

نسأل الله تعالى قبول الأعمال الصالحة وغفران الذنوب وأن ينفع بهذا الكتاب أنصار مذهب أهل البيت عليهم السلام ويوجههم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة، وأن يكون حسنة تضاف إلى ميزان أعمال الشهيد الحكيم، أنه سميع مجيب.

قسم التأليف والتحقيق

مؤسسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره

الفصل الأول

الحسين والابتلاء

يُعدُّ شهر شعبان من الأشهر العظيمة والمباركة، بل هو أفضل الشهور بعد شهر رمضان[1]، وقد وردت روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام في فضله وعظمته[2]، ويكفي في عظمته وبركته وشرفه أن ينسبه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لنفسه، فيقول:((ألا إنّ شعبان شهري رحم الله مَن أعانني على شهري..))[3]، وفي بعض الروايات ما هو أكثر من ذلك حيث تمّ نسبته إلى الله تبارك وتعالى[4].

وقد احتضن هذا الشهر المبارك ولادات عديدة لبعض رموز الإسلام:

منها: ولادة الإمام الحسين عليه السلام، وابنيه علي بن الحسين السجاد وعلي الأكبر، وأخيه العباس بن أمير المؤمنين عليهم السلام، وإمام العصر والزمان عجل الله فرجه - الذي ينتظره المحرومون والمستضعفون في كلّ مكان من أجل أن يحقّق

---

(١) روى الصدوق عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: **((شعبان شهري وهو أفضل الشهور بعد شهر رمضان فمن صام فيه يوما كنت شفيعه يوم القيامة))**. فضائل الأشهر الثلاثة: ٥٥، ح٣٣.

(٢) عن ابن عباس قال: **((قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد تذاكر أصحابه عنده فضائل شعبان، فقال: شهر شريف، وهو شهري، وحملة العرش تعظمه وتعرف حقه، وهو شهر تزاد فيه أرزاق المؤمنين كشهر رمضان، وتزين فيه الجنان، وإنما سمي شعبان لأنه تتشعب فيه أرزاق المؤمنين، وهو شهر العمل فيه مضاعف الحسنة بسبعين، والسيئة محطوطة والذنب مغفور والحسنة مقبولة، والجبار جل جلاله يباهي فيه بعباده، وينظر إلى صوامه وقوامه، فيباهي بهم حملة العرش. فقام علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله صف لنا شيئا من فضائله لنزداد رغبة في صيامه وقيامه ولنجتهد للجليل عز وجل فيه، فقال صلى الله عليه وآله: من صام أول يوم من شعبان كتب الله له عز وجل سبعين حسنة، الحسنة تعدل عبادة سنة...))**. أمالي الصدوق: ٧٥، ح١.

(٣) مصباح المتهجد: ٨٢٥.

(٤) روي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: **((كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصوم شعبان وشهر رمضان يصلهما وينهى الناس أن يصلوهما، وكان يقول: هما شهر الله، وهما كفارة لما قبلهما وما بعدهما من الذنوب))**. الإقبال٣: ٢٩١، فصل٤.

العدل الإلهي الذي وعد به الله تعالى البشرية جمعاء - وأولى هذه الولادات هي ولادة الإمام الحسين عليه السلام في الثالث منه.

وتذكر النصوص التأريخية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام أنّ الحسين عليه السلام ذُكر على لسان آدم ونوح وإبراهيم، وبقية الأنبياء عليهم السلام، وكان عليه السلام قدوة يقتدون به وبملحمته[١].

كما ذكر على لسان النبي صلى الله عليه وآله عند ولادته حين جاء فاطمة عليها السلام مباركاً لها سلامة المولود، الذي اقترن بولادته الفرح والسرور بالحزن والألم[٢].

لقد ولد الإمام الحسين عليه السلام في أجواء صلح الحديبية، الذي احتج عليه وعلى النبي صلى الله عليه وآله بعض المسلمين - ممن لم يفهموا محتواه - باعتباره غبناً لهم ولقضيتهم[٣]، لأنه يبدو للوهلة الأولى من الصلح أنّ المسلمين لم يحققوا

---

(١) بحار الأنوار ٤٤ : ٢٤٢، ح ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤١.

(٢) روي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: **((حدثتني أسماء بنت عميس قالت: لما كان بعد حول من مولد الحسن** عليه السلام **ولد الحسين** عليه السلام **فجاء النبي عليه وآله السلام فقال: يا أسماء هاتي ابني، فدفعته إليه في خرقة بيضاء فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ووضعه في حجره وبكى. قالت أسماء: فداك أبي وأمي مم بكاؤك؟ قال: من ابني هذا. قلت: إنه ولد الساعة! قال: يا أسماء تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي، ثم قال: يا أسماء، لا تخبري فاطمة فإنها حديث عهد بولادته))** إعلام الورى بأعلام الهدى ١ :٤٢٧.

(٣) ينقل البخاري في صحيحه كلام طويل في قضية صلح الحديبية إلى أن يصل إلى قضية احتجاج عمر بن الخطاب فيقول ((...فقال عمر بن الخطاب فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: ألست نبي الله حقا، قال بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل، قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا أذن؟ قال: إني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به، قال بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف فيه. قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا، قال: بلى، قلت: السنا على الحق وعدونا على الباطل، قال:

شيئا فيه، حيث طُلب منهم عدم دخول مكة بعد أن كانوا على أبوابها، وقد قطعوا مسافة تزيد على ثلاثمائة وخمسين كيلومتراً، مضافاً إلى أنّ من شروط ذلك الصلح هو حق المشركين في استرجاع أيّ شخص منهم يسلم ويلتحق بالمسلمين، والأمر معكوس بالنسبة للمشركين، فلو ارتد مسلم عن الإسلام ورجع إلى مكة فمن حق المشركين الاحتفاظ به، وهذا الشرط على ما يبدو غير عادل؛ لأنّه خلاف مصلحة المسلمين.

ولكن مع ذلك عبّر القرآن الكريم عن هذا الصلح بالفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾[1]، أي: ليس نصراً فقط، بل هو فتح؛ لأنّ النصر قد يكون في واقعة معيّنة كما حصل في فتح مكّة ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[2] أمّا في هذا الصلح فقد عبّر القرآن الكريم عنه بالفتح والحال أن شكله الظاهري لايوحي بذلك، ولكن محتواه بشكل إجمالي كان محتوى معنوياً؛ حيث استطاع المسلمون من خلاله توطيد دعائم الدولة الإسلامية من ناحية، ونشر الإسلام في الجزيرة العربية من ناحية أُخرى، كما أنّه مهّد لفتح مكّة الذي سقطت فيه الأصنام وسقطت عروش قريش، وتمكّن الإسلام في الجزيرة العربية كلّها بعد هذا الفتح.

إن مولد الإمام الحسين عليه السلام يشبه إلى حدّ كبير قضية صلح الحديبية، ولذا استقبله رسول الله صلى الله عليه وآله بمزيج من دموع الفرح والحزن، حتى أنّ

بلى، قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل انه لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق...)) صحيح البخاري٣: ١٨٢.

(١) الفتح: ١.

(٢) النصر: ١.

الزهراء عليها السلام تعجّبت وظنّت أن شيئاً معنوياً يرتبط بمستقبل ولدها، وعندما سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن سرّ ذلك، أشار في جوابه صلى الله عليه وآله إلى المأساة التي سيمرّ بها الإمام الحسين عليه السلام، وفي الوقت ذاته بشّرها بالجانب المعنوي لتلك المأساة[1]، باعتبارها تجديداً للرسالة الإسلامية وتأصيلاً لخطّها؛ كي يستمر إلى يومنا هذا، وسيستمر إلى قيام الدولة العظيمة لصاحب الأمر عجل الله فرجه على هذا الأساس؛ لأنّ الروايات تذكر أنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه سيأتي إلى قبر جدّه الحسين عليه السلام ليجدّد العهد عنده في الأخذ بثاراته، التي هي أخذ الثأر من كل الظالمين الذين أنزلوا الحيف والذل بالمحرومين والمستضعفين.

يمثل الإمام الحسين عليه السلام في ولادته خصوصية بارزة في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله، وقد اختصت هذه الرسالة بخصائص عديدة:

منها: اختصاصها بالقرآن الكريم، واختصاصها بوجود الإمام المهدي عجل الله فرجه، واختصاصها بقضية الإمام الحسين عليه السلام، حيث إن هناك عناية ورحمة آلهية به عليه السلام أوصلته إلى هذه الدرجة العالية من الكمالات، وإن هناك إعدادا له لتحمل هذه المسؤولية الكبيرة التي لابدّ له أن ينجزها وينفذها بكل تفاصيلها وإلى نهايتها.

وهذا هو الذي يفسر الموقف الصامد للإمام الحسين عليه السلام، ويفسر صبره واستقامته، ووحدة الموقف في كل مسيرته، منذ خروجه من المدينة المنوّرة حتى ساعة الاحتضار. ففي كلّ هذه المواطن لم يتردد الإمام الحسين عليه السلام ولامرّة واحدة في مسيرته، مع أنّ الأُمور كانت تتقلب ساعة بعد أُخرى، وتحدث أحداثا جديدة لم تكن متوقعة في مسيرة الحركة التي كان يتحرك بها عليه السلام.

---

(١) راجع إعلام الورى بأعلام الهدى١: ٤٢٦.

فكثير من الناس تردّدوا مع أنهم كانوا على درجة عالية جدّاً من الطهارة والنقاء والإخلاص والقرب من الإمام الحسين عليه السلام، ولكنه عليه السلام لم يتردد ولامرّة واحدة في كلّ هذه المسيرة، وحتى اللحظة الأخيرة التي قتل فيها بتلك القتلة الوحشية الشنيعة من قبل أعدائه، بل كان يقرأ الدعاء في آخر لحظاته وفي ساعة الاحتضار، والمتأمل في مفردات الدعاء[١] يجد التسليم الكامل لله سبحانه وتعالى، والصبر على المصيبة بشكل لايتزعزع ولايتسرب إليه شيء من التردّد والشك.

فمن خلال ما تقدم نفهم ما ورد في دعاء اليوم الثالث من شهر شعبان الذي يشتمل على مضامين عالية، كالربط بين موضوع الولادة والوعد بالشهادة عند الولادة، ثم بعد ذلك الربط بين الولادة وبين النصر الذي يتحقق من وراء هذه الولادة والشهادة، وكذلك الربط بين هذا النصر والثأر الذي يؤخذ للإمام الحسين عليه السلام على يد الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف[٢].

---

(١) مصباح المتهجد: ٨٢٧.

(٢) ((اللهم إني أسألك بحق المولود في هذا اليوم الموعود بشهادته قبل استهلاله وولادته، بكته السماء ومن فيها والأرض ومن عليها، ولما يطأ لابتيها قتيل العبرة وسيد الأسرة الممدود بالنصرة يوم الكرة المعوض من قتله أن الأئمة من نسله والشفاء في تربته والفوز معه في أوبته والأوصياء من عترته بعد قائمهم وغيبته حتى يدركوا الأوتار ويثأروا الثأر ويرضوا الجبار ويكونوا خير أنصار صلى الله عليهم مع اختلاف الليل والنهار، اللهم فبحقهم إليك أتوسل وأسأل سؤال مقترف معترف مسئ إلى نفسه مما فرط في يومه وأمسه، يسألك العصمة إلى محل رمسه، اللهم فصل على محمد وعترته واحشرنا في زمرته، وبوئنا معه دار الكرامة ومحل الإقامة. اللهم وكما أكرمتنا بمعرفته فأكرمنا بزلفته وارزقنا مرافقته وسابقته واجعلنا ممن يسلم لأمره ويكثر الصلاة عليه عند ذكره وعلى جميع أوصيائه وأهل أصفيائه الممدودين منك بالعدد الإثني عشر النجوم ←

الاحتفال بولادات الأئمَّة ووفياتهم

إن الاحتفال بولادة أئمة أهل البيت عليهم السلام ووفياتهم منهج خطّهُ نفس أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولذا نجد في تأريخنا المعاصر أنّ لهذا المنهج تأثيراً كبيراً في توعية الأُمّة وتحريكها وربطها بالإسلام وبقيادته.

وثمة قضايا مهمة ترتبط بهذا النهج سأشير لبعضها على نحو الإجمال:

القضية الأولى: التأكيد على المقولات والمفاهيم الإسلامية، وما يرتبط بسلوك الأئمَّة عليهم السلام ومواقفهم والمفاهيم التي كانوا يطرحونها.

وهذه القضية لها دور كبير في توعية الجماهير بشكل مباشر بسبب تأثيرها الكبير في النفوس، حيث يمتزج فيها الجانب الفكري العقائدي بالجانب العاطفي، خصوصاً وأنّ القاصدين لهذه الاحتفالات إنما يقصدونها على خلفية ارتباطهم بالنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وبالتالي فهم يتأثرون بهذه المقولات والمفاهيم التي تُطرح ويصبح لها وجود حقيقي في نفوسهم، مضافاً إلى وجودها النظري والفكري، ومن ثم امتزاج هذه الأفكار بالعاطفة الإنسانية يجعل الإنسان مهيئاً للتحرّك على أساسها.

القضية الثانية: تحديد المواقف السياسية التي تواجهها الأُمّة، فالأُمّة تشعر أنّ هذه الاحتفالات ليست مجرّد تجديد عهد مع صاحب الذكرى فحسب، وإنما هي فرصة لإعطاء الموقف السياسي في أية قضية ترتبط بشؤونها، فقد يكون موقف الأُمّة ضعيفاً، فتأتي هذه الاحتفالات تعطيها موقفاً يصل بها

الزهر والحجج على جميع البشر، اللهم وهب لنا في هذا اليوم خير موهبة وأنجح لنا فيه كل طلبة كما وهبت الحسين لمحمد جده وعاذ فطرس بمهده فنحن عائذون بقبره من بعده نشهد تربته وننتظر أوبته آمين رب العالمين.)) أنظر: مصباح المتهجد: ٨٢٦.

إلى مرحلة متقدّمة؛ لان الموقف السياسي الذي تعطيه هذه الاحتفالات له خصوصيتان:

الأولى: إنه يستّل من واقع مواقف أئمّة أهل البيت عليهم السلام ويقارن بها، وبالتالي يكتسب هذا الموقف الصفة الشرعية المؤثرة في نفس الإنسان.

الثانية: يكون هذا الموقف - عادة - منسجماً مع المصلحة، والإنسان بطبيعته يهتمّ بالمصالح والمفاسد ويتحرّك على أساسها. وحينما يعطى الموقف السياسي على أساس المصلحة والصفة الشرعية فإنّ ذلك يكسبه قوّة في التأثير أكثر مما لو أُعطي على أساس المصلحة وحدها، لأنّ الصفة الشرعية تكسبه جوّاً إيمانياً مقارناً لمواقف الأئمّة عليهم السلام، وهذا بخلاف بعض المناهج الأخرى التي تعتمد في قرارها السياسي على المصالح والمفاسد فقط، وبالتالي لا يكون صلباً مرتبطاً بتأريخ الإنسان وعقيدته وإيمانه، وإنما يُنظر إليه على أساس المصالح والمفاسد التي تترتّب عليه، كما في الغرب، إذ إنه يتحرّك كلّه على أساسها، ومن الطبيعي أن المفاسد والمصالح تؤثر على حركة الإنسان، ولكنها عندما تعطى صفة دينية فإن أثرها سيكون كبيراً جداً.

ومن هنا فإنّ تأثير هذه الاحتفالات لم يقتصر على تقديس صاحب الذكرى، أو مجرد التأكيد على الانتماء الصنمي، أو الانتماء الطائفي، أو المذهبي كما نشاهد ذلك عند بعض المسلمين.

فالإنسان عندما يريد التعبير عن انتمائه لرسول الله صلى الله عليه وآله فهناك لونان من التعبير:

الأول: الانتماء إلى مضمون رسول الله صلى الله عليه وآله، أي: إلى الرسالة التي جاء بها وتحمّل أعباءها وعانى ما عانى في سبيلها، وهذا الانتماء هو الذي يحبّه

رسول الله صلى الله عليه وآله ويريده من المسلمين.

الثاني: الانتماء الصنمي[١]، من قبيل انتماء الإنسان لرسول الله صلى الله عليه وآله في الهوية والجنسية أو ما أشبه ذلك، وهذا لا يعبّر - لوحده - عن المحتوى والمضمون، وإنما يعكس عن حالة انحرافية في سلوك الإنسان وتوجّهه.

إذن، في مثل هذه الاحتفالات لابدّ أن يكون التعبير فيها عن الانتماء الحقيقي الذي يرتبط بالرسالة الإسلامية، فعندما نحتفل بمولد الإمام الحسين عليه السلام لابدّ أن نعبّر فيه عن انتمائنا لخطّه ولتضحيته ولبذله وعطائه، أمّا مجرّد الانتماء له عليه السلام باعتباره أحد أئمتنا، أو باعتبار أننا نُسمّى جماعة الحسين عليه السلام وأصحابه فهذا في الواقع انتماء صنمي.

الانتماء السليم

إن وجود الأصنام التي كانت في زمن نوح عليه السلام -وهو من أقدم الرسل- والتي أشار لها القرآن الكريم كانت في الأصل مجموعة من الرجال الصالحين الذين ارتبطوا بالناس بسبب صلاحهم وخدماتهم التي كانوا يقدّمونها، ثم تحوّل هذا الانتماء إلى انتماء لأسمائهم فقط دون معرفة محتواهم، وبمرور التأريخ حُذف محتواهم وتحوّلوا إلى أصنام[٢].

---

(١) إنّ بعض المسلمين عندما يحتفلون بذكرى ميلاد النبي صلى الله عليه وآله - مثلا - نجدهم يقومون بأساليب مختلفة للتعبير عن فرحتهم، فيطلقون الرصاص والأهازيج من دون التركيز على محتوى رسالته صلى الله عليه وآله، وهذا ما أعبّر عنه بالاحتفال الصنمي. **(منه قدس سره)**.

(٢) روي عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله عز وجل: **﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾** قال: ((**كانوا يعبدون الله عز وجل فماتوا، فضج قومهم وشق ذلك عليهم، فجاءهم إبليس لعنه الله فقال لهم: أتخذ لكم أصناما على صورهم فتنظرون إليهم وتأنسون بهم وتعبدون الله، فأعد لهم أصناما على مثالهم فكانوا يعبدون الله عز وجل وينظرون إلى تلك الأصنام،** ←

فالإنسان عندما يرتبط بأيّ مسلك أو أيّة مؤسسة، حتى لو كانت ثورية ذات مضمون يجب أن يكون انتماؤه لمضمون ذلك السلك أو محتوى تلك المؤسسة وليس لاسمها.

وعليه، فلابدّ أن يكون انتماؤنا لأئمة أهل البيت عليهم السلام بهذا الشكل، وهو الذي يحبّه الأئمّة عليهم السلام وقد وُعدنا بالأجر والثواب عليه، وإلاّ فهناك الكثير من أعداء الإمام الحسين عليه السلام قد بكوا عليه عندما شاهدوا مظلوميته ومظلومية عيالاته، بما فيهم عمر بن سعد قائد جيش الكوفة، الذي بكى حتى تساقطت دموعه على لحيته[1].

إذن فالقضية ليست مجرّد تألم وتأثر لما جرى على الحسين عليه السلام، وإنما القضية التي يؤجر عليها الإنسان أجراً عظيماً هي البكاء على مضمون الحسين عليه السلام

فلما جاءهم الشتاء والأمطار أدخلوا الأصنام البيوت فلم يزالوا يعبدون الله عز وجل حتى هلك ذلك القرن ونشأ أولادهم فقالوا: إن آباءنا كانوا يعبدون هؤلاء فعبدوهم من دون الله عز وجل فذلك قول الله تبارك وتعالى وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً﴾)). علل الشرائع١: ٣ – ٤، ح١.

وذكر الشيخ الطبرسي في تفسيره في ذيل الآية المباركة **﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾** قولا عن محمد بن كعب جاء فيه: ((إن هذه أسماء قوم صالحين، كانوا بين آدم ونوح عليه السلام، فنشأ قوم بعدهم يأخذون أخذهم في العبادة، فقال لهم إبليس: لو صورتم صورهم، كان أنشط لكم، وأشوق إلى العبادة. ففعلوا فنشأ بعدهم قوم فقال لهم إبليس: إن الذين كانوا قبلكم، كانوا يعبدونهم، فعبدوهم، فمبدأ عبادة الأوثان كان ذلك الوقت)) مجمع البيان١٠: ١٣٧.

(١) ذكر ابن كثير ((..ثم حمل على الحسين الرجال من كل جانب وهو يجول فيهم بالسيف يمينا وشمالا، فيتنافرون عنه كتنافر المعزى عن السبع، وخرجت أخته زينب بنت فاطمة إليه فجعلت تقول: ليت السماء تقع على الأرض، وجاءت عمر بن سعد فقالت: يا عمر أرضيت أن يقتل أبو عبد الله وأنت تنظر؟ فتحادرت الدموع على لحيته وصرف وجهه عنها...)) البداية والنهاية ٨: ٢٠٣. راجع أيضا: تاريخ الطبري٤: ٣٤٥، ومقتل العوالم: ٢٩٩. بتفاوت يسير فيما بينهم.

والأهداف التي ضحّى من أجلها، وأنّ الظلامة التي نزلت به عليه السلام وعائلته الكريمة كانت من أجل الإسلام، فان هذا البكاء يعبّر عن انتماء الإنسان لله تعالى.

الإمام المهدي وكربلاء

ورد في الروايات أنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه عندما يبدأ حركته لتحرير العالم من القيود والأغلال والظلم والطغيان، يأتي إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام ويزوره، ثم بعد ذلك يبدأ حركته بعنوان (يا لثارات الحسين)[1]، حيث إن هناك ثارات كثيرة عند الإمام الحجة عجل الله فرجه، فهابيل وكلّ الصالحين والأنبياء والأئمة الذين قتلوا هم ثأر للإمام الحجة عجل الله فرجه، بل كلّ من قتل من الشهداء والمؤمنين، يمثلون ثأراً له عجل الله فرجه، لأنه لا يمثل مقطعاً زمنياً وإنما يمثل كلّ حركة التأريخ، أي: منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام وقال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2]، حيث كان الهدف من مسيرة هذه الخلقة أن يأتي ذلك اليوم الموعود، الذي تمتلئ فيه الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً.

ولكن عندما يرفع الشعار يرفعه بعنوان (يا لثارات الحسين)، أي: أنّ الشعار يختص بالإمام الحسين عليه السلام؛ لأنه يجسّد كلّ هذه الأحداث والآلام والتضحيات، وكلّ هذا الفناء في الله سبحانه وتعالى، فهو الشعار والرمز لكلّ هذه التضحيات.

الابتلاء الإلهي للحسين

لقد مرّ الأنبياء عليهم السلام بكثير من المحن والآلام في حياتهم - والقرآن الكريم

---

(١) راجع المزار:١٠٧، وآمالي الصدوق: ١٩٢، ح٥.

(٢) البقرة: ٣٠.

شاهد على هذه الحقيقة - وفي الوقت نفسه كانت النصرة الإلهية العاجلة لهم في المواقف الحرجة التي مرّوا بها.

فنوح عليه السلام ضاقت به السبل حتى استغاث بربّه، فكانت التلبية الآلهية له عليه السلام، حيث جاء الطوفان وأغرق كلّ أُولئك الذين استهزؤوا به وسخروا منه وآذوه في حياته، وأنجاه الله سبحانه وتعالى مع بقية من آمن معه: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[١].

وعندما وقف إبراهيم عليه السلام في مواجهة الأوثان، وهو فتى أمام كلّ الناس - إذ لم يؤمن به إلاّ لوط[٢]، وبعض الأشخاص من قبيل زوج إبراهيم - وكان القرار أن يُلقى في النار ويحرق بعد أن صدر الحكم عليه من الطغاة الجبابرة حينها أنجاه الله سبحانه وتعالى بلطفه وكرمه، وجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم[٣].

ثم كان القرار الآلهي في أن يذبح إسماعيل لحكمة آلهية يشير إليها القرآن الكريم في حديثه عن إبراهيم وولده الذي كان - على ما يبدو - هو الولد الأكبر.

ثم كان القرار الآلهي بعد ذلك نجاة إسماعيل عليه السلام بفداء الكبش، حيث فداه الله سبحانه وتعالى بذبح عظيم[٤].

---

(١) هود: ٤٠.

(٢) قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ العنكبوت:٢٦.

(٣) قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾. الأنبياء: ٦٩.

(٤) قال تعالى: ﴿فَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾. الصافات: ١٠٧.

وهكذا موسى عليه السلام عندما تآمر عليه القوم لكي يقتلوه بعد أن قتل الفرعونيين، فجاءه الخبر، فهاجر وخرج من المدينة خائفاً وانتقل إلى مدين، ثم رجع بعد ذلك وواجه مراحل عديدة من العذاب والآلام، وعندما ضاقت به السبل وقرر الخروج ببني إسرائيل، وواجههم البحر ولم يكن لهم مفرّ من القتل والمحاصرة الفرعونية، نجد أنّ الله سبحانه وتعالى فلق له البحر وأنجاه ومن معه من بني إسرائيل: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[1].

ثم كان الأمر في عيسى عليه السلام، فقد مرّ عليه السلام ببلاء شديد ومحن وبمراحل من العذاب، حيث تآمر عليه قومه والأقربون منه عليه السلام الذين لم يكونوا من الكفار والمشركين وعبدة الأوثان والأصنام، بل كانوا من أصحاب الرسالات والوحي الآلهي وأصحاب الكتب المنزلة، فهؤلاء كانوا من تلك النخبة التي نعبر عنها في أدبياتنا المعاصرة بالمثقفين والعلماء والحوزويين الذين يقرؤون الكتب المنزلة والشريعة، وهم ما يسميهم القرآن بالأحبار، ومع ذلك استعانوا بالكفار والوثنيين وعبدة الأصنام على قتل عيسى عليه السلام الذي جاء مصدّقاً لما بين أيديهم من التوراة ومن المفاهيم التي كانوا يطرحونها.

وهنا يأتي القرار الآلهي بإنقاذه، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[2].

فالذي يفهم من الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى أراد تطهير عيسى عليه السلام

---

(١) الشعراء: ٦٣.

(٢) آل عمران: ٥٥.

من ذُلّ الصَّلْب؛ لأنّ القتل وإن كان شرف للأنبياء والمجاهدين، حيث إن بعض الأنبياء قتلوا قبل عيسى عليه السلام، ولكن طريقة الصلب التي كانت تُمارس في عملية القتل فيها الكثير من الإذلال والإهانة والإيذاء.

فكان قرار الله تعالى وحكمته الآلهية أن يطهّر عيسى - الذي هو روح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم - من هذا النوع من القتل ولا يتعرض إلى ما يتعرض إليه المصلوب من الناس، فحماه الله سبحانه وتعالى حين شبّه به شخصاً آخر[1].

نعم، وقع الخلاف في أنّ هذا الشخص هل كان فدائياً بحيث فدى نفسه لعيسى عليه السلام، كما ورد في بعض الروايات المروية عن أهل البيت عليهم السلام[2]، أو

---

(١) قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۞ بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء: ١٥٧ - ١٥٨.

(٢) عن أبي جعفر عليه السلام قال: **((إن عيسى عليه السلام وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه فاجتمعوا إليه عند المساء وهم اثنا عشر رجلا فأدخلهم بيتا، ثم خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء، فقال: إن الله أوحى إلي أنه رافعي إليه الساعة ومطهري من اليهود فأيكم يلقى عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي؟ فقال شاب منهم: أنا يا روح الله، قال: فأنت هو ذا، فقال لهم عيسى: أما إن منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، فقال له رجل منهم: أنا هو يا نبي الله؟ فقال له عيسى: أتحس بذلك في نفسك فلتكن هو، ثم قال لهم عيسى عليه السلام: أما إنكم ستفترقون بعدي على ثلاث فرق: فرقتين مفتريتين على الله في النار، وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله في الجنة، ثم رفع الله عيسى إليه من زاوية البيت وهم ينظرون إليه. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: إن اليهود جاءت في طلب عيسى من ليلتهم فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى عليه السلام: إن منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، و أخذوا الشاب الذي ألقي عليه شبح عيسى فقتل وصلب، وكفر الذي قال**
←

أنه إنسان وشى بعيسى ومكر به وتآمر عليه، كما تذكر النصوص المسيحية، فأراد الله سبحانه وتعالى أن ينزل به مكره: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1]؟

ويتكرر الأمر بالنسبة للنبي صلى الله عليه وآله من حيث كثرة الابتلاءات والمحن وعلى كل المستويات، فبعض أصحابه يؤذونه، كما يشير القرآن الكريم لذلك بقوله: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] والمشركون يتآمرون على قتله وتصفيته جسدياً وقد حماه الله سبحانه وتعالى مرّات عديدة، كما في مبيت أمير المؤمنين عليه السلام في فراشه.

وعندما نصل إلى الإمام الحسين عليه السلام، الذي كان يهتف في كربلاء: ((فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم))[3] نرى أنّ الله سبحانه وتعالى شاء أن يقتل الحسين عليه السلام بهذه القتلة الفريدة في تأريخ الإنسانية كلّها، وفي تأريخ الأنبياء والصالحين الذين هم على علاقة بالله سبحانه وتعالى.

فقد كان الله سبحانه وتعالى يحمي أنبياءه من البلاء بلطفه وكرمه، وينزّل العذاب على أقوام بكاملها، كما في قوم نوح، وعاد، وثمود، ولوط، حيث أنزل بلاءً كاملاً على أقوامهم وأفناهم جميعاً لمجرد إيذائهم لهذا النبي عليه السلام.

والحسين عليه السلام هو أكرم عند الله سبحانه وتعالى من كلّ هؤلاء، ولكن شاءت

له عيسى: تكفر قبل أن تصبح اثنتي عشرة كفرة)) تفسير القمي ١: ١٠٣.

(١) الأنفال: ٣٠.

(٢) التوبة: ٦١.

(٣) الإرشاد ٢: ٩٨.

الإرادة الآلهية أن يذبح الحسين عليه السلام هو وأهل بيته وأطفاله وأصحابه، وأن يداس صدره وجسده بحوافر الخيل، وأن يبقى مطروحاً على أرض كربلاء ثلاثة أيام في العراء تحت حرارة الشمس دون غسل وكفن.

فهذا البلاء الذي نزل به عليه السلام يمثل القمة في ابتلاء الإنسان؛ لأنّ مأساته كانت تجسيداً لألوان وأشكال جميع بلاءات الدنيا وامتحاناتها، منها: ما ذكره أصحاب المقاتل من أنّ الحسين عليه السلام - وهو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وصاحب الكمالات العظيمة - طلب في آخر لحظات حياته يوم عاشوراء عندما اشتد عليه الحال، وهو على أرض كربلاء وقد بلغ به العطش غايته شربة من الماء.

فقال له رجل: ((والله لاتذوقه حتى ترد الحامية فتشرب من حميمها...))[1].

فلسفة البلاء

إن الابتلاء والامتحان قضية واجهها الإنسان منذ اليوم الأول لوجوده على وجه الأرض، وسوف يبقى يواجهها حتى نهاية أيامه، وهو يمثل سنّةً من السنن الآلهية في حركة الإنسان: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[2].

وقد يطرح سؤال يخطر أحياناً على ذهن الكثير من الناس، خصوصا عندما يشتد عليهم البلاء، وهو: لماذا يبتلينا الله سبحانه وتعالى؟

ولماذا جعل الله أحبّ الناس إليه - كالإمام الحسين عليه السلام - موضعاً للبلاء والامتحان؟

فالإنسان عندما يحبُّ شخصاً، فإنه يرعاه ويحفظه ويجعله دائماً في راحة

---

(١) مثير الأحزان:٥٧.

(٢) محمد: ٣١.

واستقرار وطمأنينة، إذن فلماذا تعرض الإمام الحسين عليه السلام لمثل هذا البلاء مع أن الله سبحانه وتعالى قادر، وأنه أرحم الراحمين، كما يصفه الإمام الحسين عليه السلام في دعائه ((اللهم متعالي المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة صادق الوعد سابغ النعمة حسن البلاء، قريب إذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، ومدرك ما طلبت، وشكور إذا شكرت، وذكور إذا ذكرت، أدعوك محتاجا وأرغب إليك فقيرا وأفزع إليك خائفا وأبكي إليك مكروبا وأستعين بك ضعيفا وأتوكل عليك كافيا، أحكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرونا وخدعونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد بن عبد الله الذي اصطفيته بالرسالة وائتمنته على وحيك، فاجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا برحمتك يا أرحم الراحمين))(١)؟

لقد افترض البعض: إنّ الله سبحانه وتعالى أنما أمتحن الإمام الحسين عليه السلام حتى نبكي عليه ونحصل على الثواب، فكأن هذا الابتلاء من أجلنا.

وقد يجيب آخرون: بأنّ الله امتحن الإمام الحسين عليه السلام حتى يصبح مائدة واسعة يستفيد منها الفقراء والمساكين.

وبعضهم يترقّى قليلاً فيقول: إنّ الله ابتلى الإمام الحسين عليه السلام؛ لكي تنعقد المجالس الشريفة، ويتحدّث الخطباء والعلماء والشعراء والأُدباء عن نهضته عليه السلام، ومفاهيمه وكراماته، وبالتالي فالناس يهتدون، والإسلام يتقدم.

إن هذه الأجوبة على فرض صحتها لا تقدم لنا جوابا، بل يبقى السؤال

---

(١) مصباح المتهجد:٨٢٧.

قائماً وبحاجة إلى إجابة، والإجابة الكاملة والشافية لا تتم إلاّ من خلال معرفة التقييم الآلهي للبلاء، وموقف المؤمن من الابتلاء والامتحان[١].

إن البلاء الذي يتعرّض له الإنسان ينقسم إلى قسمين:

الأول: البلاء الشخصي، كأن يُبتلى الإنسان بمرض شديد ببدنه، أو يبتلى بفقد أمواله ويصبح فقيراً، أو يُبتلى بفقد أولاده، وأمثال هذه الابتلاءات التي يتعرض لها الإنسان في حياته.

الثاني: البلاء الاجتماعي، وهو الناشئ من حركة الإنسان الاجتماعية، بحيث لو بدل الإنسان حركته الاجتماعية بحركة أُخرى لما حلّ به البلاء، ولترتبت أوضاع أُخرى تختلف عن تلك التي يعيشها في حالات المحنة والابتلاء، وهذا ما تحدّث عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٢] .

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٣] .

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[٤].

---

(١) وهذه قضية مصيرية وليست سهلة، فكل شخص لو يستعرض حياته يجد نفسه دائماً مبتلـى، خصوصاً ونحن الآن نعيش أشدّ ألوان المحن والبلاء في بلاد الهجرة، بعد أن تسلط هذا الظالم المجرم على أرض العراق، وبطش بأبنائه وعرّضهم لألوان المحن والابتلاءات، وهكذا يتعرّض المسلمون في مختلف أنحاء العالم الإسلامي في هذا العصر لمختلف ألوان المحن والابتلاءات.فإذا أردنا أن نتثقف بثقافة الإسلام، وبثقافة أهل البيت بشكل خاص، فهذه القضية تشكل القاعدة العقائدية الأساسية بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى. (منه قدس سره).

(٢) الرعد: ١١.

(٣) الأعراف: ٩٦.

(٤) الأنفال: ٢٥.

وعندما ينزل هذا البلاء لا يختص بأُولئك المنحرفين الذين بدّلوا المنهج، وإنما يعم كل الناس، الظالمين وغيرهم، وهذا ما نطق به القرآن الكريم.

إذن، عندما نتحدث عن البلاء فلابد أن نتحدث عن القسمين معاً.

تقييم أهل البيت للبلاء

وردت مجموعة من النصوص الشريفة عن أهل البيت عليهم السلام في تقييم البلاء، وعند الاطلاع عليها قد يصاب المرء بالدهشة أحياناً، ويبتهج عند فهمه لتقييم الإسلام للبلاء. وكل هذه الأخبار أو أكثرها على اقل تقدير صحيحة السند(١).

فقد روى الكليني عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: ((ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام البلاء، وما يخص الله عزّ وجلّ به المؤمن، فقال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله من أشد الناس بلاء في الدنيا؟ فقال: النبيون ثم الأمثل فالأمثل، ويبتلي المؤمن بعد على قدر إيمانه وحسن أعماله، فمن صحّ إيمانه وحسن عمله اشتد بلاءه، ومن سخف إيمانه وضعف عمله قلّ بلاءه))(٢).

وفي رواية أُخرى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((إنّ في كتاب علي عليه السلام أنّ أشد الناس بلاء النبيون، ثم الوصيون، ثم الأمثل فالأمثل، وإنما يُبتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة، فمن صحّ دينه وحسن عمله اشتد بلاؤه، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن، ولا عقوبة

---

(١) إن نقل الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام كثيرة جداً، بعضها صحيحة السند، والبعض الآخر ضعيفة وضعها بعض الكذابين، وأصحاب الأغراض الخاصة، وأصحاب الأهواء، ولذا ينبغي الاهتمام بنقل الروايات، كما يهتم الفقهاء عندما يريدون أن يستنبطوا حكماً شرعياً، فإنهم يفتشون عن الأخبار ويدققون فيها، ويستخرجون الحكم الشرعي من الأخبار الصحيحة السند التي وردت عن الأئمة عليهم السلام. (**منه قدس سره**).

(٢) الكافي ٢: ٢٥٢، ح٢.

لكافر، ومن سخف دينه وضعف عمله قل بلاؤه، وإنّ البلاء أسرع إلى المؤمن التقي من المطر إلى قرار الأرض))[١].

وروى محمد بن مسلم عن الإمام الصادق عليه السلام - وهي رواية مهمة جداً- قال: ((سمعت أبا عبد الله يقول: المؤمن لا يمضي عليه أربعون ليلة إلاّ عرض له أمر يحزنه، يذكر به))[٢].

وفي رواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((إنّ الله عز وجل ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالهدية من الغيبة، ويحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض)) [٣].

فاهتمام الله سبحانه وتعالى بعبده المؤمن في تعاهده بالبلاء، كاهتمام الرجل عندما يذهب في سفر ويجلب هدية لأهله، فالله سبحانه وتعالى يتعاهد المؤمن بهذا الشكل، ويحميه من الدنيا ويبعده عنها، كما يحمي الطبيب المريض.

وفي رواية أُخرى عن الإمام الصادق عليه السلام وكان عنده سدير، وهو أحد كبار أصحابه عليه السلام انه قال: ((إنّ الله إذا أحبّ عبداً غتّهُ بالبلاء غتّاً[٤]وإنّا وإيّاكم يا سدير لنصبح به ونمسي))[٥].

وفي رواية عبد الله بن أبي يعفور قال: ((شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام ما ألقى من الأوجاع - وكان مسقاماً[٦] - فقال لي: يا عبد الله لو يعلم

---

(١) الكافي٢: ٢٥٩ ح٢٩.

(٢) الكافي٢: ٢٥٤، ح١١.

(٣) الكافي٢: ٢٥٥، ح١٧.

(٤) غتَّه غتًّا: أي غمسه فيه غمساً متتابعا، ويقال غتَّه بالماء أي غطه.

(٥) الكافي٢: ٢٥٣، ح٦.

(٦) أي دائم المرض.

المؤمن ماله من الأجر في المصائب لتمنى أنه قرّض بالمقاريض))[1].

وفي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال: ((إنّ الله تبارك وتعالى إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً، وثجّه بالبلاء ثجّاً، فإذا دعاه، قال: لبيك عبدي لئن عجلت لك ما سألت إني على ذلك لقادر، ولئن ادخرت لك فما ادخرت لك فهو خير لك))[2].

الموازنة بين الإيمان والبلاء

من خلال التقييم المتقدم للبلاء نجد أنّ هناك موازنة وضعها الله سبحانه وتعالى بين الإيمان والبلاء، فكلّما كان بلاء الإنسان أشد كان إيمانه أكثر، وكلّما كان إيمانه أكثر، فالنتيجة المترتبة على ذلك أن يكون أكثر بلاءً.

وإذا طبقنا هذه الموازنة على الإمام الحسين عليه السلام تصبحُ قضية ابتلائه الشديد واضحة جداً، فإيمان الإمام الحسين عليه السلام يكون بمستوى البلاء الذي نزل به، ولذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ((ما أُوذي نبيٌّ كما أوذيت))[3]؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء وأفضل البشرية، فبطبيعة الحال أن يتعرض لبلاء لم يتعرض له أي نبيٍّ من الأنبياء.

ولكن قد يطرح تساؤل آخر، وهو: لماذا جعل الله سبحانه وتعالى هذه الموازنة؟

إذا تمّ النظر إلى حركة الإنسان الذاتية، نجد تكامله وصعوده إلى الدرجات العالية الرفيعة التي تقرّبهُ من الله سبحانه وتعالى إنما يتم من خلال الاختبار

---

(١) الكافي٢: ٢٥٥، ح١٥.

(٢) الكافي٢ : ٢٥٣، ح٧.

الثج: إسالة الدماء من الذبح، والنحر في الأضاحي، وفي حديث المستحاضة: إني أثجّه ثجّاً أصبّه صبّا، ومنه الحديث: إذا أحب الله عبداً ثجّه بالبلاء ثجّا. مجمع البحرين١: ٣٠٨.

(٣) مناقب آل أبي طالب٣ : ٤٢.

والامتحان، كالتلميذ الذي يريد التدرج من مرحلة دراسية إلى أُخرى، فالطريق له هو امتحانه، رغم أن الامتحان صعب عليه وفيه جهد وإحراج له، وهكذا حال الرياضيين فهم إنما يتكاملون ويتصاعدون في درجاتهم من خلال الممارسة والامتحان، فكل من يمارس أكثر يتمكن أن يصعد درجة أعلى، وان كان في هذه الممارسة تعب وجهد وعرق جبين، وهكذا الفولاذ الجيد، الذي كلّما تعرض إلى النار أكثر، أصبح أفضل، ويكون السيف الذي يصنع منه أقطع.

وهكذا الإنسان في تصاعده الروحي والنفسي لا يمكنه أن يتكامل إلاّ من خلال الامتحان، لأنّه إنما يتصاعد إذا استطاع من السيطرة على شهواته ونزعاته ورغباته، وعلى هواه الذي يجرّه إلى الأسفل، وهذا كلُّه نوع من أنواع الامتحان. فالإنسان يحبُّ المال والأولاد لأنّ الله جعل ذلك في غريزته، ويحبُّ الصحة والجاه وعندما يفقد هذه الأمور أو شيئاً منها فهذا نوع من أنواع الامتحان، فإذا تمكن أن يتغلب على كلّ هذه الرغبات والشهوات فسوف يتصاعد ويتكامل في حركته الشخصية.

وهكذا في حركته الاجتماعية، عندما يتعرض للامتحان ويرى صراع الحق مع الباطل، الذي هو موجود منذ اليوم الأول لوجود الإنسان، ففي هذا الصراع يكون بين خيارين: إما أن يستسلم إلى الظالم ويكون بإزاء ذلك الاستسلام استقرار وراحة ودعة، وإما أن يقف بوجه الظالم، ويكون هناك تشريد وتهجير وقتل وسجن وتعذيب.

فلو أراد الإنسان أن يتكامل في حركته الاجتماعية، فلابد له أن يقف إلى جانب الحقّ، الذي سيعرّضه للأذى والظلم والاضطهاد، وعندئذ يصبح البلاء عنصر موازنة في تكامل الإنسان.

الموقف عند البلاء

ذكر الأئمة عليهم السلام موقفين مهمين وأساسيين في حالة البلاء:

الموقف الأوّل: الرضا بما يقضي الله سبحانه وتعالى للإنسان، ومن أروع الأمثلة على ذلك دعاء الإمام الحسين عليه السلام في آخر لحظاته، حيث قتل أهل بيته وأصحابه، وعياله على أبواب السبي، وقد أخذت الجراحات مأخذها منه، وهو عطشان ينادي ولا من مجيب، ومع ذلك يقول عليه السلام: ((يا الهي صبراً على قضائك ولا معبود سواك يا غياث المستغيثين))[1].

هذا هو التسليم المطلق لله سبحانه وتعالى، وهو موقف أساسي ومهم جداً في حركة الإنسان المؤمن، وإلاّ فالإمام الحسين عليه السلام لم يرض بظلم يزيد، ولذلك قاتل وضحّى بكل شيء، لكن عندما قسم الله له هذه النهاية لم يعترض على ذلك ويقول: يا ربّ أنا قاتلت من أجلك، ومن أجل دينك ومن أجل الحقّ، وأنت تبتليني بقتل أولادي، وسبي عيالي، ونهب أموالي، بل كانت عنده حالة التسليم المطلق لله سبحانه وتعالى.

ومن هنا نجد أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام يؤكّدون على التسليم لله في أحاديثهم الشريفة حتى أنّ صاحب كتاب الوسائل يعقد باباً بعنوان: وجوب الرضا بالقضاء[2]، فقد روى الكليني بسند صحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عزّ وجلّ له قضاء إلاّ كان خيراً له..))[3].

---

(١) ينابيع المودة٣: ٨٢.

(٢) وسائل الشيعة٣: ٢٥٠، باب ٧٥ من أبواب الدفن وما يناسبه.

(٣) الكافي٢: ٦٢، ح٨.

وفي رواية أُخرى يرويها عمرو بن نهيك بياع الهروي قال: ((قال أبو عبد الله عليه السلام: قال الله عزّ وجلّ: عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلاّ جعلته خيراً له، فليرض بقضائي، وليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي أكتبه يا محمد من الصدّيقين عندي))(١).

إن وجوب التسليم حكم شرعي يذكره الفقهاء، كوجوب الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، فعندما يجزع الإنسان وتصدر منه بعض الكلمات التي تدلُّ على الجزع وعدم الرضا، فهو - في الواقع - يرتكب محرّماً.

الموقف الثاني: الصبر بمعناه الصحيح، فالبعض يفهم الصبر أن ينزوي الإنسان ويتراجع ويستسلم ويقول: أنا أصبر على قضاء الله، ويترك الأمر هكذا، ولكن هذا الفهم خاطئ، فالإسلام لايريد بالصبر هذا المعنى، وإنّما معناه التحمل وعدم الانهيار عند الشدائد، وهذا ما فعله الإمام الحسين عليه السلام فإنه جاهد وقاتل وتحرك من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى الكوفة وخطب وتحدّث مع الناس، وقاتل هو وأصحابه وأهل بيته، وما ترك وسيلة يمكن أن تؤثر في الناس إلاّ واستخدمها، ولم يستسلم، بل واصل طريقه إلى النفس الأخير.

فمثلاً عندما ينزل البلاء بالإنسان، كأن يمرض ويستسلم له ولا يراجع الطبيب، فليس هذا صبراً، وإنما هو استسلام، بل الصبر أن يتحمل مرضه ويواصل ما يأمره به العقل والشرع من مراجعة الأطبّاء حتى النفس الأخير. وكذلك في كلّ المحن الاجتماعية، فعندما يجد الإنسان محناً وبلاءات في طريق العمل الاجتماعي، فلا يعني ذلك أن يستسلم ويتراجع ويتخاذل، أو ينهار أمام هذا الابتلاء، بل لابد أن يواصل العمل ويتحمل الصعاب.

ولذلك ورد في رواية صحيحة يرويها أبو حمزة الثمالي عن أبي عبد الله

---

(١) الكافي٢: ٦١، ح٦.

الصادق عليه السلام، قال: ((من ابتُلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه، كان له مثل أجر ألف شهيد))[١].

وفي رواية أُخرى صحيحة السند عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((دخل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) المسجد، فإذا هو برجل على باب المسجد، كئيب حزين، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما لك؟ قال: يا أمير المؤمنين أُصبت بأبي وأخي، وأخشى أن أكون وجلت، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: عليك بتقوى الله والصبر تقدم عليه غدا، والصبر من الأُمور بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد، وإذا فارق الصبر الأُمور فسدت الأُمور))[٢].

فالإنسان إذا فقد صبره بعد كلّ الأُمور المترتبة على حياته تصبح حياته فاسدة، وليس له شيء.

وهناك رواية يصور فيها الإمام الصادق عليه السلام موقع الصبر في مجمل العبادات التي يقوم بها الإنسان، حيث يقول عليه السلام: ((إذا أدخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن يساره، والبرّ مظل عليه ويتنحى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته، قال الصبر للصلاة والزكاة والبرّ دونكم صاحبكم، فإن عجزتم فأنا دونه))[٣].

فالصبر: هو أن يتحمل الإنسان الشدائد ولاينهار أمامها ولايتراجع ولاينخدع، قال تعالى: ﴿اَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[٤].

---

(١) الكافي٢: ٩٢، ح١٧.

(٢) الكافي٢: ٩٠، ح٩.

(٣) الكافي٢: ٩٠، ح٨.

(٤) الأحقاف: ٣٥.

الفصل الثاني

مقومات نجاح الثورة

من الأسئلة التي لازالت عالقة في أذهان الكثير من الدارسين والباحثين عن ثورة الحسين عليه السلام، هو: لماذا لم يكن هدف الحسين عليه السلام الوصول إلى السلطة والإطاحة بالحكم الذي كان يمثّل نموذجاً للأنظمة الطاغوتية الفريدة في تأريخ الإنسان؟

ثم الأهم من ذلك، لماذا لم يتحقق للحسين عليه السلام أن يصل إلى تغيير الحكم والإطاحة بنظام يزيد بن معاوية، مع أنّ الحسين عليه السلام قد أعلن عن سعيه لذلك، وأنّه يريد إقامة حكم الله سبحانه تعالى في الأرض، واستجاب لدعوته أهل الكوفة وبذل جهوداً كبيرة في هذا السبيل؟

نحن كمسلمين مؤمنين بإمامة الحسين عليه السلام وبعصمته، وببعده عن كلّ خطأ وتقصير نعتقد - بشكل مسبق - أنه عليه السلام لايتحمّل أية مسؤولية عن عدم تحقّق هدف الإطاحة بنظام يزيد، وإنما تقع المسؤولية على عاتق الأُمّة نفسها.

كما نعتقد أن ثورته عليه السلام ليست مجرّد حادثة وقعت في تأريخ المسلمين ثم انتهت، وإنما هي ثورة وحركة تتجدّد على مرّ العصور والأيام، ولازالت تمدّنا بالعطاء والقوّة والعزيمة والقدرة، شأنها شأن القرآن الكريم الذي لايختصّ مضمونه بعصر نزوله وإنما يتجدّد في كل عصر؛ لأنه يعالج قضايا كلّ عصر، فالحسين عليه السلام أيضاً هو قرآن ناطق وكذلك قضيّته وحركته هي لكل عصر، ولذا سيكون البحث في جهتين:

الجهة الأولى: التعرف على الشروط الأساسية العامة التي يجب أن تتوفر في الثورة الناجحة.

الجهة الثانية: الفحص عن وجود هذه الشروط الأساسية وتوفرها في ثورة الحسين عليه السلام أو عدم توفّرها.

الجهة الأولى: شروط الثورة الناجحة

يرى الإسلام أن كل ثورة حقيقية لابد من توفر خمسة شروط فيها كي تكون ثورة ناجحة، وهي:

الشرط الأول: البعد الآلهي

أن تكون الثورة والحركة التغييرية مرتبطة بالله سبحانه تعالى، وهذه القضية ذات أهمية بالغة في كل ثورة، حيث إن مسألة الارتباط بالله تعالى تمثل الهدف الأساس لكل عمل تغييري من منظور إسلامي؛ لأن التغيير فيها يكون على أساس موازين الحق والعدل والمصالح الإنسانية الواقعية، وتجنب المفاسد والأضرار التي يمكن أن تلحق الإنسان في مسيرته الفردية أو الجماعية.

ومضافا إلى ذلك يعطي هذا الشرط الثورة بُعداً وزخماً لا يمكن أن تجده الثورة عند فقدانه، حيث يكون لهذا الارتباط تأثير بالغ على بقيّة الشروط التي سوف نشير لها.

ولعلّ أوضح مثال على فاعلية وآثار هذا الشرط هو نفس حركة الأنبياء عليهم السلام في التأريخ الإنساني، فلأنّهَا كانت تتسم بهذا الشرط نجد فيها بُعد التأثير العميق في نفوس البشر، بحيث نرى هذا التقديس والالتزام باقياً وممتداً لدى الناس تجاه هذا التحرك إلى آخر الحياة الدنيوية.

ولعل أهمّ نقطة في مسألة الارتباط بالله تعالى هو أنّ البعد الذي يعطيه الارتباط بالله تعالى يتحرّك في الوجود، لأنّ الإنسان عندما يتحرك في الوجود من دون الارتباط بالله تعالى فهو حينئذ لايرى في الوجود إلاّ حدود الحياة الدنيا ومتطلباتها والنعم الموجودة فيها والآلام، وأمّا إذا ارتبط في تحرّكه بالله تعالى فسوف يكون لتحرّكه أبعادا واسعة غير محدودة بعالم

الدنيا، وإنما يمتدّ إلى عالم الآخرة، وعندئذ سيكون للألم معنىً يختلف عن معنى الآلام التي يراها في حدود هذه الحياة الدنيا، فالألم الذي يراه في الحياة الدنيا - مهما عظم - سيبقى محدوداً ويرى أنه قادر على تحمُّله، وهكذا النعم والأفراح والراحة التي يراها في هذه الحياة والتي تميل لها النفس الإنسانية، فإنها تبقى معان محدودة قد يتنازل عنها الإنسان بسهولة.

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۝ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[2].

إذن، عندما ينظر الإنسان إلى وجوده وحركته وارتباطه بالله تعالى ويفترض أنّ له حياة أُخرى لها نعيمها وجحيمها غير المحدود، ولها أيضا راحتها وآلامها، حينئذ ستتغير صورة الراحة والألم لديه بمقدار استيعابه لمعنى الراحة والألم في الحياة الأُخرى.

---

(١) آل عمران: ١٤ - ١٥.

(٢) الحديد: ٢٠.

الشرط الثاني: البعد الإنساني

إن كلّ ثورة لا تكون قادرة على النجاح ما لم يكن فيها بُعدٌ إنساني، بمعنى أن تهتم الثورة بالمعاني التي فطر الله تعالى عليها الإنسان كالحريّة، والكرامة الإنسانية، ورفض الظلم والاضطهاد، إلى غير ذلك مما نعبّر عنها بالمعاني الفطرية والوجدانية للإنسان؛ لأنّ هذه المعاني تمثّل عنصراً ثابتاً في حياة الإنسان وتبقى معه في كل التأريخ وفي مختلف الظروف.

فالثورة عندما يكون فيها هذا البعد يمكن حينئذ أن نفترض فيها القدرة على النجاح والوصول إلى الغايات، حيث يمثّل هذا البعد الطاقة المحرّكة في داخل الإنسان، أمّا إذا فقدت الثورة ذلك فلا يمكنها تحريك الإنسان.

والمتأمل في تأريخ الأنبياء وحركتهم يجد أن هناك خصوصيتين موجودتين في تحركهم في المجتمع، مضافا إلى (البعد الآلهي)، وهما:

أولاً: رفض الظلم ومقارعته، والدعوة إلى الحق والعدل.

ثانياً: كرامة الإنسان وعزّته وحريته الحقيقية.

فهم يؤكّدون على هاتين الخصوصيتين، بحيث يمكن أن نقول: إنهما تمثّلان جوهر القضية في منطقهم وتحرّكهم، وفي قراءة بسيطة للقرآن الكريم ومطالعة في قصص الأنبياء التي وردت فيه - وهو أفضل مصدر نعتمد عليه في فهم تأريخ حركة الأنبياء - نجد أنهم عليهم السلام دائماً يؤكدون على هاتين الخصوصيتين[1].

---

(١) أتذكّر في هذه المناسبة قضية عشتها مع السيد الشهيد الصدر قدس سره وهي: أنّه في بداية تحرّكه الأخير الذي صمّم فيه على قيادة الثورة الإسلامية في العراق ومواجهة النظام، كان يقول: لابدّ لنا عندما نفكر بالثورة في العراق وتحريك الجماهير باتّجاه إسقاط الطاغوت وإقامة حكم الإسلام، من التأكيد على البُعد الإنساني؛ إذ لايكفي في تحريك الجماهير أن يأتي شخص أو جماعة أو قيادة تتحدّث عن مسألة الارتباط بالله تعالى بعيداً

←

قال تعالى: ﴿إنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

لقد اهتم النبي ﷺ في رسالته بهذا الجانب الإنساني في الحياة المعاصرة لنزول الوحي عندما تحدث عن رفض الأصنام والوثنية والأوهام والخرافات والتقليد، وكذلك عندما تحدث عن تقييم العلاقات القبلية والاجتماعية، وكذلك رفض الظلم الذي كان يمارسه الطغاة تجاه الناس، وعمل على تحرير إرادة الإنسان من الشهوات، ودعا إلى العزة والكرامة الإنسانية والمساواة بين الناس، إلى غير ذلك من المعاني الإنسانية، مضافا إلى قضية العبادة بالله وتوحيده والارتباط به.

فالتأكيد على البعد الإنساني كما يعني الاهتمام بفطرة الإنسان وحاجاته الأساسية، كذلك يعني في الوقت نفسه الاهتمام بالواقع الحياتي للأمة

عن المسائل الأساسية التي يتلمسها الإنسان في حياته ويتعامل معها يوميّاً، فلكي لا نصاب بالعزلة عن جماهيرنا ينبغي لنا أن نؤكد على هذا الجانب الإنساني. (منه ﷺ).

(١) القصص: ٤ - ٥.

(٢) الأعراف: ١٥٧.

والتأثير فيه وتحريكه من خلال القضايا الحسيّة المعاشة للسير في طريق التكامل، فالإنسان الذي يعيش حالة من الظلم والاضطهاد والرعب والذل والامتهان والعبودية للإنسان الأخر أو للحجر، لا يمكنه في يوم من الأيام أن يتّجه لله سبحانه وتعالى، أو يرتبط به ارتباطاً حقيقياً؛ لأنّه عندما يكون عبداً لغير الله لايمكن أن نفترضه في الوقت نفسه عبداً لله تعالى، وإذا أردنا منه أن يتمحّض في عبوديته لله سبحانه تعالى لابد لنا من أن نحرّره من العبودية لأيّ موجود آخر.

فمسألة رفض الذلّ تمثّل في الحقيقة تحرير الإنسان من عبودية الآخرين وإخلاص العبودية لله، وهكذا مسألة حاجات الإنسان ومتطلّباته، فهي في الوقت الذي تمثّل استجابة للمشاعر والأحاسيس الإنسانية، تمثّل أيضاً استقراراً للنفس الإنسانية وطمأنينة لها، يمكّنها من إدراك الحقائق ومعرفة طريق الهدى.

وبصدد الإشارة إلى هذا البعد جاء كلام رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يقول فيه: ((كاد الفقر أن يكون كفراً))[1]، باعتبار أنَّ مسألة اختلال حاجات الإنسان الأساسية تجعله - بطبيعته - بعيداً عن الله سبحانه وتعالى والإرتباط به، فالبعد الإنساني لا يمثل في الثورة الناجحة الأصيلة اهتماماً بمتطلبات الإنسان وحاجاته فحسب، وإنما يمثّل اهتماما بالبعد الأول أيضا.

الشرط الثالث: البعد العقلي

إن كلّ ثورة يُراد لها أن تصل إلى أهدافها وتحقّق غاياتها النبيلة، لابدّ أن يكون وراءها عقل يخطّط لها تخطيطاً علميّاً يسير بها إلى تلك الأهداف، أمّا عندما تفقد الثورة العقل المخطّط لها فإنها تفقد حينئذ التدبير والحكمة في

---

(١) الخصال: ١٢، ح٤٠.

مسيرتها، وحينئذ تتحول إلى مجرّد انفعالات عاطفية، أو مجرّد ردود فعل وتمرّد وانعكاس للواقع السيئ، أو تتحوّل إلى فوضى لايمكنها أن تحقّق مصلحة للمجتمع، أو أن تصل إلى غاية صحيحة.

والقرآن الكريم يؤكد على ذلك في مسألة الدعوة إلى الله سبحانه تعالى، وفي مسألة دفع الناس نحو الارتباط بالله تعالى، وبالتالي نحو الإسلام على هذا الجانب في العمل، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾(٢).

إذن، فمسألة الحكمة والموعظة الحسنة والتخطيط والتدبير كلّها مسائل ضرورية في نجاح الثورة والوصول إلى أهدافها؛ لأن عملية التغيير عملية معقدة وعسيرة وتحتاج إلى تدرج في العمل، واستنفاد لكل الوسائل واستفراغ لكل الجهود، وصبر وعزيمة وتشخيص لطبيعة الظروف والإمكانيات والاستفادة من كل الطاقات والعوامل المؤثرة.

ويدخل في هذا الجانب عنصر مهم - لابدّ أن ننتبه إليه - وهو عنصر المبادرة في العمل الثوري التغييري، فالثورة بمعناها الحقيقي تعني حالة من الابتكار والمبادرة يتّخذها الإنسان الثائر المستشعر للظلم والذلّ من خلال التخطيط لرفع هذا الظلم وتغيير الواقع، والبدء بعملية الهجوم الذي يتّصف بعنصر المبادرة على الواقع الفاسد، والظالمين من أعداء الله وأعداء المحرومين والمستضعفين الذين يمارسون الظلم والإذلال.

وعليه، فنحن عندما نفكّر في ثورة ناجحة لابد أن نأخذ هذا العنصر

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) الأحقاف: ٣٥.

كأساس في التحرّك، من أجل الإطاحة بالطاغوت ورفض الظلم والذلّ الذي يعانيه الإنسان المستضعف.

وعنصر المبادرة هذا يختلف في حقيقته عن عنصر ردّ الفعل، فالإنسان الذي يستشهد في سبيل الله ويقتل مظلوماً يمكن أن نفترض فيه فرضيتين:

إحداهما: الشهادة (في حالة المبادرة).

والأخرى: الشهادة (في حالة ردّ الفعل).

فالإنسان الذي يبادر إلى الشهادة معنى ذلك أنّه بتخطيط وتصميم مسبق قد فكّر بالقيام بعمل تغييري معيّن قد يؤدي به إلى الشهادة، فالشهادة هنا جاءت عن مبادرة مخطط لها سلفا.

وقد يستشهد الإنسان مظلوماً وبعدوان من الظالمين، ويكتب عند الله سبحانه تعالى في الجنان مع الشهداء، ولكن لم تكن شهادته على أساس تخطيط ولا على أساس مبادرة، وإنما جاءت تعبيراً عن ردّ الفعل والإحساس بالظلم والحيف، فيكون هذا الاستشهاد منطلقاً على أساس أنّ الظالم من أجل أن يفرض هيمنته وسيطرته على الناس يقوم بقتلهم وخصوصاً المتديّنين منهم، فهؤلاء - الذين يقتلهم الظالم بسيفه ظلماً وعدوانا - وإن كانوا شهداء، لكن شهادتهم ليست عن مبادرة ولا عن تخطيط مسبق، ولذا لايعتبر مثل هؤلاء شهداء فكر وتصميم.

فالثورة التي يمكن أن تحقق نجاحاً وتصل إلى غاياتها، هي تلك الثورة التي تخطط للانتفاضة على الظالم لدفع الظلم ورفع الذلّ الذي يعانيه المجتمع، ويكون لدى أبنائها ورجالها العزم والتصميم والإرادة على التغيير والتضحية والبذل والعطاء من اجل تحقيقه، وهذا ما أراده القرآن الكريم من المؤمنين: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ

وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾[1].

الشرط الرابع: البعد الوجداني

يعتبر البعد العاطفي والوجداني من الأبعاد المهمة جداً في الثورة التي يراد لها النجاح، فقد تملك الثورة ارتباطاً بالله تعالى، وقد تملك بعداً إنسانياً في مضمونها وأُطروحتها، وقد تملك أيضاً بُعداً عقليا، أي تخطيطاً ومبادرةً، ولكن مع ذلك لا تصل إلى غاياتها بسبب افتقادها لهذا البعد، الذي هو بمثابة الوقود للثورة، فالعقل وحده كمخطط لا يحرّك الإنسان، وإنما الذي يحرّكه ويعطيه القدرة على التحرّك والاندفاع إنما هو الجانب الوجداني فيه، فالثورة كما تحتاج إلى العقل والتخطيط، فهي تحتاج أيضاً إلى الوجدان من أجل أن تكون قادرة على الحركة والفاعلية.

فالجانب الوجداني في الثورة الصحيحة ينطلق دائماً من حبّ الإنسان لله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لله﴾[2] وبالتالي حب كل ما يرضي الله تعالى وأوليائه الصالحين، وحب كل المعاني الخيّرة التي أودعها الله تعالى في الإنسان من العدل والإحسان والعزة والكرامة والحرية، بحيث تتحوّل هذه المعاني إلى المشاعر والأحاسيس والعواطف التي يتفاعل معها الإنسان.

وأما في الحركات الثورية المادية فينطلق هذا الوجدان والعواطف من التركيز على الغرائز الإنسانية، والشهوات والملذات والمنافع الآنية، التي يتحسّسها الإنسان ويلمسها في حياته اليومية.

---

(١) النساء: ٧٥.

(٢) البقرة: ١٥٦.

ولذلك لابد في الثورة الصحيحة من تعميق عنصر الحب لله تعالى في الإنسان ولأوليائه ولكل هذه المعاني الخيِّرة، بحيث تتحوَّل إلى وجدانه وعواطفه وأحاسيسه، ولابد من إثارة جميع مكامن هذا الحب وهذه المشاعر.

ويعتبر الجهاد في سبيل الله والتصميم على الشهادة تجسيداً حقيقياً لنمو وتكامل هذه المشاعر، حيث يرغب المؤمن بلقاء الله تعالى، وتعبيراً عن تصاعد الحالة الوجدانية لدى المؤمن، بحيث يعبِّر عن هذه الحالة الوجدانية الواعية والمخططة بالإقدام على بذل نفسه وماله في سبيل تحقيق هذه الأهداف. وحالة العشق هذه هي حالة عاطفية ووجدانية تعتمد على العقل والرؤية الصحيحة للأشياء والتخطيط المسبق للعمل، وعندما نقول عاطفة ووجدان لا نريد بذلك الوجدان المفرط الذي لم يكن عن تخطيط، وإنما نقصد به الوجدان الذي يكون من ورائه تخطيط مسبق.

فالثورة إذا كانت متجاوبة مع المشاعر والعواطف ومحركة لها، يمكنها عندئذ أن تخلق من الإنسان طاقة هائلة تحركه بالاتجاه الصحيح الذي يهديه إليه العقل.

وهذا الجانب ضرورة من ضرورات الثورة الناجحة القادرة على تحقيق أهدافها وهو يمثل عنصر الوقود والطاقة المحرِّكة للثورة والقادر على دفع الإنسان؛ ومن هنا لابد أن نهتم بالجانب العاطفي في العمل الثوري ونصعِّده حتى يمكن أن يصل الإنسان إلى الإستعداد في بذل المال والجاه، أو بذل الجهد البدني حتى يصل هذا البذل إلى قمّته ببذل النفس؛ لأنّه يمثلّ قمّة الارتباط بالله تعالى، وقمة العشق له سبحانه، وقمة الوجدان في الإنسان الثائر.

الشرط الخامس: البعد الجماهيري

من أجل أن تحقّق الثورة أهدافها، لابدّ أن يكون لها وجود جماهيري وقاعدة واسعة في الأمة تتفاعل معها وتفهم مضمونها وأهدافها ومحتواها وتؤمن بمفاهيمها وشعاراتها، أمّا إذا كانت الثورة موجودة عند قائد واع مدرك متحمّل لهموم الإنسانية، وتتمثل فيه الشروط الأربعة السابقة، ولكنه كان في معزل عن الجماهير - لظرف أو سبب معيّن - أو إذا كانت الثورة في نخبة صالحة مؤمنة بالله تعالى مستوعبة للإسلام قادرة على فهمه، ومستعدَة لأن تبذل كل وجودها وقدراتها وكلّ ما لديها حتى نفسها، ولكن لا وجود لها في الجماهير وغير مستوعبة لها، فحينئذٍ لايمكن أن تحقق تلك الثورة أهدافها؛ وذلك لأن:

١. إن الهدف الحقيقي للثورة هو عملية تغيير الأمة، وإيجاد التحوّل الاجتماعي والسياسي فيها، فما لم تكن الأمة قد استوعبت بدرجة معقولة هذه الأهداف والمفاهيم والشعارات فلا يمكن أن نفرض تفاعلها مع الثورة، وإنّما تصبح الحركة عملية انتحارية، أو ثأرية، أو انفعالية، أو تعبير عن موقف محدود قد يكون مبرّراً من الناحية الشرعية أو السياسية، ولكنّه لا يحدث التغيير المطلوب.

٢. إنّ أداة التغيير في الثورة ووقودها في عملية المواجهة مع الطغاة والمستكبرين، هي الأمة والجماهير، التي يمكنها بإذن الله تعالى أن تحدث التغيير المطلوب، وتقف أمام الطغيان والجبروت وتتغلّب عليه وتحقَق النصر والفتح.

٣. لكي تستمر عملية التغيير وتدوم بعد النصر لابد للثورة من حماية تضمن لها الدفاع عن نفسها أمام الأعمال والعناصر المضادة، التي تتحرَك عادة للقضاء عليها ووأدها في مهدها، والجماهير هي العنصر الوحيد - بعد

الله تعالى - التي يمكنها القيام بهذه المهمة.

وهنا لابد أن نلاحظ أن فعلية التغيير وسرعته وحضوره، أو تأخره وبطأه يرتبط بهذا الجانب، وكذلك مدى وجود الثورة وحضورها في وسط الأمة وتفاعلها فكرياً وعاطفياً وإرادياً معها، أو تقلص دائرة التفاعل وحصرها بالدائرة الفكرية، أو الفكرية والعاطفية.

فلابدّ من أجل القيام بأية ثورة من تعبئة القاعدة الجماهيرية وتهيئتها فكريّاً وسياسيّاً ومعنويّاً، وبدون ذلك فإنّ العمل الجهادي التي تقوم به النخبة أو الشخص قد يكون مبرراً لسبب أو آخر، ويكون مصير صاحبه أو أصحابه هو الجنان، ولكنه لاتكون ثورة تغييرية على مستوى الأمة والمجتمع.

الجهة الثانية: الشروط وواقعة كربلاء

إذا تم فحص ثورة الحسين عليه السلام وتحرّكه نجد وبوضوح أنها متوفرة على الشروط الخمسة المتقدمة، ولذلك تمكّنت الثورة الحسينيّة من تحقيق أهدافها واستمرارها وخلودها الى يومنا هذا، بل الى يوم القيامة.

النهضة الحسينية والارتباط بالله

لاشك ولا ريب أن الشرط الاول متوفر في واقعة كربلاء ولا نقصد بذلك ارتباط شخص الحسين عليه السلام بالله سبحانه وتعالى فحسب، وإنما ارتباط حركته وثورته بمجملها بالأهداف الآلهيّة، وإلاّ فالحسين عليه السلام إمام معصوم مرتبط بالله سبحانه تعالى بلاشك ولاشبهة عند أحد من المسلمين.

فقد تحرّك عليه السلام بدافع من الوظيفة والمسؤوليّة الشرعيّة والمعاني التي وضعها الله سبحانه وتعالى على عاتق الإنسان المسلم، ويتضح ذلك من خلال مجموعة من الخطب التي ألقاها الحسين عليه السلام، فمنذ اليوم الأول الذي

تحرّك فيه من المدينة المنوّرة قاصداً مكة أكّد على هذا البعد في وصيّته لأخيه محمد بن الحنفيّة، حيث ورد فيها: ((هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد بن علي المعروف بابن الحنفيّة، أنّ الحسين يشهد ان لاآله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق، وأنّ الجنة والنار حق، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَن في القبور، وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر....))[1].

وهكذا عندما خاطب أصحاب الحر بن يزيد الرياحي عند لقائه بهم، حيث بيّن فيها سبب تحرّكه بقوله: ((أيها الناس، إنّ رسول الله ﷺ قال: مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله ﷺ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود...))[2].

وهكذا تتضح قضية ارتباط ثورة الحسين عليه السلام بالله سبحانه وتعالى من مجموعة الرسائل التي أرسلها إلى المسلمين في مختلف أقطارهم، منها: ما كتبه إلى أشراف أهل البصرة، حيث جاء فيها: ((أمّا بعد، فإنّ الله اصطفى محمداً ﷺ على خلقه وأكرمه بنبوّته واختاره لرسالته، ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده، وبلّغ ما أرسل به ﷺ، وكنا أهله وأولياءه...وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة

---

(١) بحار الأنوار ٤٤ : ٣٢٩ باب ٣٧.

(٢) تاريخ الطبري٤: ٣٠٤.

نبيه صلى الله عليه وآله، فإنّ السنّة قد أميتت، وإنّ البدعة قد أحييت...))[1].

وهكذا في بقية خطبه ورسائله التي يؤكد فيهما على الوظيفة الشرعية، مضافاً إلى دعوة المسلمين من أهل الكوفة وغيرهم للإمام الحسين عليه السلام ونظرتهم إلى (يزيد) من أنه إنسان منفصل عن الإسلام وبعيد عنه.

فمن كل هذه الأمور وغيرها نفهم أنّ تحرّكه عليه السلام مرتبط بالله سبحانه وتعالى وواجد له، وليس تحركاً قائماً على أساس آخر.

رفض الظلم والذلّ

وأما البعد الإنساني فهو من الأبعاد الواضحة والبارزة في ثورة الحسين عليه السلام، ويتضح ذلك جليّاً من خلال تحرّكه عليه السلام، وتعامله مع الأحداث وتأكيده في خطبه وكلماته على الكرامة الإنسانيّة والحريّة التي فطر الله سبحانه وتعالى الإنسان عليها، وتأكيده عليه السلام على العدل ورفض الظلم والذل والحرمان والاستضعاف.

وبتعبير آخر يمكن تلخيص البعد الإنساني بأمرين أساسيين موجودين منذ بداية التأريخ البشري، ولا زالا حتى الآن يمثلان محور حركة المجتمعات الإنسانية نحو التكامل والوصول إلى الأهداف في القرب من الله تعالى ودخول الجنان التي وعد بها:

الأمر الأوّل: الإخلاص في العبودية، بأن يتحرّر الإنسان من كلّ عبودية غير عبودية الله سبحانه وتعالى، فهذه هي الحرية الحقيقية التي دعا إليها الإسلام، والتي كانت محوراً لحركة الإنسان نحو التكامل.

وعند التأمل في التأريخ الإنساني نجد أنّ هناك صراعاً دائماً ومستمراً ـ منذ بداية وجود الإنسان ـ بين حركة الإنسان نحو الله تعالى والارتباط به،

---

(١) تاريخ الطبري٤: ٢٦٦، البداية والنهاية٨: ٧٠، باختلاف يسير.

وحركة الإنسان نحو الطاغوت والارتباط به.

ومن هنا يطرح القرآن الكريم دائماً (الله) في مقابل (الطاغوت) في جملة من الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾[2].

ومن هنا نجد أنّ أحد الشعارات الرئيسية، وأحد أبعاد المحتوى الأساسي لثورة الحسين عليه السلام هو دعوته للحرية في الخلاص من عبادة الطاغوت والخضوع للطغيان والظلم، ودعوته للإخلاص في عبودية الله تعالى.

وفي مقابله كانت حركة يزيد، الذي كان يسعى لتحويل إلتزام الإنسان بعبادة الطاغوت، بل إنّ يزيد طوّر هذا المفهوم، كما طوّرهُ فرعون وجعله أمراً واضحاً في الالتزامات الاجتماعية بين الناس والحاكم، حيث كان يرى أنّ العلاقة والالتزام بين الناس والحاكم، هي أن يكون الناس عبيداً للحاكم بشكل رسمي وأساسي.

كذلك صنع يزيد هذا الأمر بشكل واضح عندما دخل بجيشه إلى المدينة المنوّرة في السنة الثانية من مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وأخذ عهداً من المسلمين جميعاً بما فيهم النخبة الصالحة من الصحابة والتابعين على أن يكونوا عبيداً أقنان له.

وهذا البعد الإنساني باعتباره يمثل بعداً قائماً في حركة المجتمع الإنساني

---

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) النساء: ٧٦.

ووجود الإنسان منذ اليوم الأوّل وحتى قيام الساعة، فبطبيعة الحال يكون له تأثير في حياة الناس بشكل دائمي ومستمر، غاية الأمر أنه قد يتصاعد ويشتد فيصبح واضحاً، كما في زمن فرعون و نمرود ويزيد وأمثالهم، أو يخف فيصبح خفياً غير واضح، أو يأخذ أشكالا مختلفة في زمن آخر.

لكن محتواه ومضمونه موجود دائماً في حركة الإنسان وفي المجتمع الإنساني.

وبهذا نلاحظ أنّ الإمام الحسين عليه السلام منذ بداية حركته وحتى نهايتها كان يشير إلى هذا البعد الذي أكّده القرآن الكريم وأكده الإسلام، لأنَه يمثل حقيقة في مجمل الصراع الذي حدث بينه وبين يزيد.

الأمر الثاني: العدل في محتوى حركة الإمام الحسين عليه السلام مقابل الظلم، وإيجاد المجتمع الصالح المتمثل بمجتمع العدالة الاجتماعية والتضامن بين الناس والتعاون فيما بينهم، ومجتمع الشعور بالمسؤولية وبحقوق الآخرين، فكلّ هذه القضايا يمكن أن يكون مفهوم العدل عنواناً لها.

فالعدل في الإسلام يختلف عن مفهومه في الحضارات المادية أو النظريات الحديثة، إذ تراجع أنَّ هذا المفهوم له أبعاد واسعة جداً في الإسلام، فبالإضافة إلى العدل في العلاقات الاجتماعية والذي يمثل مفردة ومصداقاً مهمّاً للعدل، هناك عدل يتمثل في تعامل الإنسان مع نفسه، بل في كلّ حركة يقوم بها سواء كانت معنوية أم ذاتية كتعامله مع بدنه وصحته، فهناك التزامات للإنسان في نظر الإسلام تجاه نفسه.

أمّا الحضارات المادية فترى أنّ الإنسان حرٌّ في تصرفه مع نفسه، يفعل ما يشاء حتى لو أضرّ ذلك بنفسه، أو أدى إلى تسافله أخلاقياً أو مادياً أو بدنياً.

كما أنّ العدل في نظر الإسلام يشمل علاقة الإنسان بالله ﷻ الذي خلقه، والذي يريد له المصلحة والسعادة والرقي والكمال، ومن هنا عبّر القرآن الكريم عن الشرك بالله بأنه ﴿ظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١]؛ لأنّه خلاف العلاقة الطبيعية بين الإنسان وبارئه.

وكذلك يشمل مفهوم العدل في الإسلام علاقة الإنسان بالطبيعة وبالكون، فليس من الصحيح أن تطلق الحرية للإنسان للتصرف بهما كيفما شاء، بل يجب أن تكون العلاقة متّسمة بالتوازن، وإلّا تعرّض إلى الكثير من المصائب[٢].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾، ثم يقول بعد ذلك: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٣].

---

(١) قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ١٣.

(٢) نحن نعرف أنّ البشرية تواجه الآن مشكلات أساسية في ظلم الإنسان للطبيعة والكون، من خلال التطوّر الكبير الذي حصل في الصناعات، مضافاً إلى الحرية المطلقة التي أعطت الإنسان حقّ التصرف في ما يشاء، ومن تلك المشكلات ما يصيب طبقة الأوزون، حتى توقّع العلماء من خلال هذه المشكلة أن تتغير الأوضاع الطبيعة المحيطة بالإنسان، وبالتالي يتعرض إلى الظلم العظيم.
ولا زالت المجتمعات الإنسانية أكثر ما تشكو في حياتها من الظلم الذي يمارسه الإنسان في مقابل نفسه، أو في مقابل أبناء جنسه، أو في مقابل الله سبحانه وتعالى، أو في مقابل الطبيعية والكون.فهذا البعد من الأبعاد الإنسانية القائمة والمؤثرة في حياة البشرية.(**منه** ﺒﻨﺪ).

(٣) إبراهيم: ٣٢ - ٣٤.

ولذا نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام ركّز على المحتوى الإنساني في نهضته المباركة، وكانت الشعارات الأساسية في ثورته تتلخص بشعارين أساسيين هما: (الحرية) و(العدل) ويتضح ذلك من خلال خطبه ورسائله.

ولعل من الكلمات التي تجسّد هذا المعنى بشكل واضح قوله عليه السلام لقيس بن الأشعث بعد أن عرض عليه النزول على حكم يزيد:((لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد))[١].

وقوله في خطبته الثانية يوم الطف وهو يعبّأ أصحابه للقتال: ((ألا وأنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتيّن السلة والذلّة، وهيهات منّا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وحجور طهرت ونفوس أبيّة وانوف حمية منَ أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام...))[٢].

وقوله عليه السلام: ((فإني لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما))[٣].

وقوله عليه السلام في ساحة المعركة: ((القتل أولى من ركوب العار، والعار أولى من دخول النار))[٤].

من كل هذه المضامين نفهم أنّ من أوثق الأسباب التي ثار من أجلها الحسين عليه السلام هو العزّة والكرامة، فقد أراد الأمويون إذلال المسلمين واضطهادهم وممارسة حالة القيّمومة عليهم، وإرغام الحسين عليه السلام على الذل والخنوع، لكنه عليه السلام أبى الّا أن يعيش عزيزا تحت ظلال السيوف والرماح.

فالحسين عليه السلام لم يدعو الناس إلى إقامة العبادات والارتباط بالله سبحانه

---

(١) الإرشاد٢ : ٩٨، مناقب آل أبي طالب٣ : ٢٢٤.

(٢) مثير الأحزان: ٤٠.

(٣) مجمع الزوائد٩: ١٩٢، المعجم الكبير٣: ١١٥، تاريخ مدينة دمشق١٤: ٢١٨.

(٤) مناقب آل أبي طالب٣: ٢٢٤.

وتعالى منفصلين عن قضاياهم الأساسية، وإنّما كان يؤكد أيضاً على الجانب الإنساني في تحرّكه، والقضايا التي يعيشها الناس في حياتهم.

الحسين والتخطيط للثورة

وأما بُعد أو شرط التخطيط للثورة، فإنه من الأبعاد الثابتة في حركة الإمام الحسين عليه السلام، وقد يكتنف هذا البعد بعض الغموض عند بعض الباحثين، حيث تصوّروا أن الحسين عليه السلام لّما كان عارفاً بمقتله في كربلاء هو وأصحابه، لم يهتم بمسألة التخطيط للثورة وللهدف المعلن، وهو الإطاحة بنظام يزيد وإقامة حكم الإسلام مقامه، مع أنّ الحسين عليه السلام في الوقت الذي كان يعرف هذه النتيجة والنهاية، ويدرك جيداً عدم تمكّنه من تغيير الحكم الأموي كما هو واضح وصريح[1] لمن تتبّع كلماته عليه السلام، لكنه بالرغم من كل ذلك كان يخطّط لهذا التحرّك بشكل كامل، وكأنه قادر على استلام الحكم من يزيد وإقامة الحكم الإسلامي مكانه، حتى توهّم بعض الباحثين من خلال دراستهم إلى الخطط التي كان يرسمها الإمام الحسين عليه السلام أنّه كان يحتمل الوصول إلى الحكم، ولذلك خطّط على ضوء هذا الاحتمال، حتى أن بعضهم ذهب به الوهم إلى أن يتصور أنّ الحسين أخطأ في معرفة الحقيقة وتشخيص طبيعة الأوضاع السياسية والواقعية، وأنّ الرياح جرت بخلاف تقديرات ربّان السفينة.

ولكن الصحيح إنّ الحسين عليه السلام لم يقدّر في تحليله السياسي للأوضاع الوصول إلى الحكم، ولكن مع ذلك لم تفقد حركته ونهضته التخطيط، والسر في ذلك أنّ التخطيط وبذل الجهد يمثّل الوفاء بالوظيفة والواجب الشرعي في هذا المجال، فإنّ على الإنسان أن يسعى ويبذل كل قدرته

---

(١) سيتوقف الشهيد الحكيم قدس سره فيما بعد عند هذه النقطة ويبحثها بحثاً مفصلاً.

للوصول إلى الحكم الإسلامي، مضافا إلى أنَّ التخطيط بنفسه يترك آثاراً نفسية وسياسية واجتماعية على مجمل الأوضاع العامة للمسلمين، وهذا ما كان يستهدفه الإمام الحسين عليه السلام من وراء هذا التخطيط.

حيث إنّ العملية بدون التخطيط لها قد تبدو وكأنّها عملية انتحار، أو مجرّد انفعال ورفض للظلم والذل، وأما مع التخطيط فتتحوّل إلى عمل ثوري وسياسي عام يرتبط بالأمّة كلّها، وتتفاعل الأمة مع أهدافها ومقاصدها وشعاراتها ومفاهيمها، وهناك بعض الشواهد التي تؤكّد عنصر التخطيط في نهضة الحسين عليه السلام نشير إليها باختصار:

الشاهد الأول: موقف الحسين عليه السلام من البيعة عندما طلبها منه والي المدينة، فإنَّ الحسين عليه السلام قد خطَّط لإعلان الرفض في ذهابه إلى الوالي، ولم يصنع كما صنع غيره ممّن دعاه الوالي إلى البيعة كعبد الله بن الزبير أو عبد الله بن عمر، وفي الوقت نفسه لم يذهب إلى الوالي بشكل عفوي، وإنما خطط لذهابه فاصطحب معه جماعة من بني هاشم وكلّفهم بالوقوف على الباب؛ لكي يهجموا عندما يسمعون الصيحة لينقذوه، ثم إنّه عليه السلام خطط للحديث مع الوالي، كيف يبدأ وكيف ينتهي[1].

---

(١) ذكر المؤرخون هذه القصة مفصلاً ومما جاء فيها ((...فأنفذ الوليد إلى الحسين عليه السلام في الليل فاستدعاه فعرف الحسين الذي أراد، فدعا جماعه من مواليه وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: إن الوليد قد استدعاني في هذا الوقت ولست آمنا أن يكلفني أمرا لا أجيبه إليه وهو غير مأمون فكونوا معي فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب فان سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه مني فصار الحسين عليه السلام إلى الوليد فوجد عنده مروان بن الحكم فنعى إليه الوليد معاوية فاسترجع الحسين، ثم قرأ عليه كتاب يزيد وما أمر به في أخذ البيعة منه له، فقال له الحسين: إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرا حتى أبايعه جهرا فيعرف ذلك الناس، فقال له الوليد اجل فقال الحسين فنصبح ونرى رأينا في ذلك فقال له

←

الشاهد الثاني: ذهاب الحسين عليه السلام إلى مكة وبقائه هناك حتى اليوم الثامن من ذي الحجة وهو يوم التروية، فمضافا إلى أنّ مكة تعتبر موطناً آمناً نسبياً، لما حباها الله تعالى من قدسية وجعلها بلداً آمناً في الإسلام، وكذلك في تأريخ العرب أنفسهم، تمكّن عليه السلام من الاتصال بجماهير واسعة من المسلمين الذين وردوا مكة للحج، كما أنه عليه السلام قام بإرسال عدّة رسائل إلى مختلف الأقطار الإسلامية، كالكوفة، والبصرة، واليمن من أجل استنهاض المسلمين وشرح قضيته وأهدافه.

الشاهد الثالث: إرسال مسلم بن عقيل عليه السلام إلى أهل الكوفة، لكي يهيّيء الأجواء فيها، ويعبأ المسلمين وينظّمهم ويأخذ البيعة منهم، ويدرس مجمل الأوضاع السياسية والاجتماعية والروحيّة فيها، ويعرّف المسلمين أهداف الثورة ومقاصدها.

نعم، كان الحسين عليه السلام يعرف أنّ مسلم سوف يقتل في النهاية، كما يعرف أنّه سيقتل هو في كربلاء، ولكن هذه التضحية والنهاية مسألة أخرى لها غاياتها وأهدافها، فهو كإنسان ثائر سعى في بذل كل ما بوسعه وجهده من أجل تحقيق الأهداف المنشودة، ومن أجل أن يوفر للثورة شروطها ويضع عن عاتقه مسؤوليّة مواجهة النظام الأموي الفاسد.

كما أنه وضع أهل الكوفة أمام مسؤوليّات دينية وأخلاقية وسياسية، وفي الوقت نفسه وفّر الغطاء السياسي والاجتماعي والمبرر الطبيعي لحركته وثورته، ويبدو كل ذلك من خلال خطابه السياسي عند خروجه من مكة، أو في الطريق إلى الكوفة، أو في يوم عاشوراء.

الوليد: انصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس...)). أنظر: روضة الواعظين: ١٧١، الإرشاد٢ : ٣٢.

وقد قام مسلم بن عقيل بنشاط عظيم في هذا المجال وحقّق بعض الإنجازات المهمة التي كان لها بعد ذلك دور كبير في النتائج والآثار، فقد تمكن من أخذ البيعة من جماهير الكوفة، وبذلك صعّد أجواء المواجهة إلى حدّ إخراج الكوفة عملياً من سلطة الحكم الأموي، وأصبح التحرّك ضد النظام للأمة كلها لا للحسين عليه السلام وحده، وأصبحت المطاردة والمظلومية والشعارات عامة ومشتركة، كما أشترك فيها شيوخ العشائر وقادة الجيش ورجال السياسة إلى جانب الأفراد العاديين، ولم يكن النظام قادراً على السيطرة على الأوضاع من خلال الشرعيّة أو الشعارات الكاذبة أو المفاهيم المزوّرة، وكان هذا من أروع الخطط والبرامج التي وضعها الإمام الحسين عليه السلام ونفّذها مسلم بن عقيل والتي حقّقت بعد ذلك أفضل النتائج.

الشاهد الرابع: خروج الحسين عليه السلام في الثامن من ذي الحجّة، أي في يوم التروية، اليوم الذي يتوجه فيه الحجاج إلى عرفات، فإنّ الحسين عليه السلام وجد أفضل طريق للإعلان عن ثورته أمام جماهير المسلمين أن يتّخذ طريقاً آخر يلفت إليه نظر الحجّاج.

وبذلك أصبح المسلمون على علم بهذه النهضة، وفي نفس الوقت على علم بالأساليب الوحشيّة التي يستخدمها النظام لمطاردة الصالحين، حيث أعلن عليه السلام أنّ السبب في هذا الخروج المستعجل هو محاولة الحكم الأموي قتله في مكة، كما كشف عليه السلام بذلك استهتار النظام بالمقدسات الإسلامية عندما أعلن أنّ خروجه كان بسبب تجنيب الحرم والمسجد الحرام الهتك من خلال إراقة الدماء فيه[1].

---

(١) ذكر الطبري في تأريخه٤: ٢٨٩ عن أبي مخنف قال: ((... قال أبو جناب يحيى بن أبي حية عن عدي بن حرملة الأسدي عن عبدالله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين ←

الشاهد الخامس: إبقاء ابن عمه عبد الله بن جعفر، وأخيه محمد بن الحنفية، وعبد الله بن عبّاس في المدينة وفي مكّة وعدم اصطحابهم معه يمكن أن نعتبره عنصراً من عناصر تخطيط الحسين عليه السلام؛ لأنّ هؤلاء بقوا في هذه المراكز المهمة من أجل أن يؤدوا عدة أدوار يأتي في مقدمتها شرح وتوضيح خلفيات هذه الثورة، مضافا الى أنّهم عيون يرصدون حركة الأعداء ويناورون في الحركة السياسية، وبذلك تكون عملية الثورة متكاملة بأساليبها وأدوارها[1].

الشاهد السادس: اصطحابه عليه السلام لعيالاته ولأهل بيته في مسيرته إلى كربلاء، فإنّ عياله عليه السلام وبالخصوص أخته العقيلة زينب عليها السلام قامت بدور عظيم في الدفاع عن موقف الإمام الحسين عليه السلام والتعريف بالثورة بعد مقتله، وفي تأجيج العواطف وهزّ الوجدان والضمير لدى الأمة.

ومن الممكن افتراض أنّ الحسين عليه السلام بمجرد أن يتحرك يقوم النظام بإلقاء القبض عليه، وحينئذ يكون موقفه حرجاً أمام المسلمين وأمام نفسه، عندما تكون صورة الموقف هي: موقف الإنسان الذي ضيّع عيالاته من أجل

قالا: خرجنا حاجين من الكوفة حتى قدمنا مكة فدخلنا يوم التروية، فإذا نحن بالحسين وعبدالله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب، قالا: فتقربنا منهما فسمعنا ابن الزبير يقول للحسين: إن شئت أن تقيم أقمت فوليت هذا الأمر فآزرناك وساعدناك ونصحنا لك وبايعناك، فقال له الحسين: إنّ أبي حدّثني أنّ كبشا يستحل حرمتها فما أحب أن أكون ذلك الكبش)).

(١) ورد أنّ الإمام الحسين عليه السلام لما تهيأ وعزم على الخروج الى مكة، قال لأخيه محمد بن الحنفية: ((... وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي، وأمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عينا عليهم ولا تخفي عليّ شيئاً من أمورهم..)) بحار الأنوار ٤٤ : ٣٢٩، الباب ٣٧.

النجاة بنفسه[(١)].

كما أنَّ عملية السبي التي كان يتنبّأ بها الإمام الحسين عليه السلام كان لها دور كبير في فضح شراسة بني أميّة وهمجيّتهم واستهتارهم بالإسلام وقيمه؛ لأنَّ قتل الحسين عليه السلام إذا كان لبني أميّة أن يبرّروه أمام البسطاء والعامة والمغفلين - تحت شعارات الخروج عن الطاعة، وشق عصا المسلمين، وما أشبه ذلك من الشعارات والعناوين التضليلية - فلا يمكن لهم بأي حال أن يبرّروا سبي بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وذراريه وهتكهم، وتعريضهم للآلام والمحن والعذابات.

ولعل هذا الموضوع كان من أبرز وأوضح الشواهد على ضلال يزيد وانحرافه في نظر الأمة وعامة الناس.

ومن هنا يمكن فهم قول الإمام الحسين عليه السلام - حين سأله محمد بن الحنفيّة عن سبب خروجه واصطحابه للنساء-: ((إنَّ الله شاء أن يراهنَّ سبايا))[(٢)].

البعد الوجداني في واقعة الطف

إن البُعد الوجداني في حركة الحسين عليه السلام يكاد يطغى على كل الأبعاد في هذه الملحمة التأريخية، ومن يراجع التأريخ سواء في عصر الإمام

---

(١) وبهذا الصدد أذكر موقفاً للسيد الشهيد الصدر قدس سره يشبه إلى حدّ بعيد موقف الحسين عليه السلام ويدخل في عنصر التخطيط، فقد كان بعض المؤمنين الصالحين القريبين من السيد الشهيد يفكّر في إنقاذه من بيته بعد أن قام النظام باحتجازه فيه، ولكنهم واجهوا إصرار السيد الشهيد قدس سره على البقاء في بيته وعدم الاستجابة للخطة بعد أن كانت غير قادرة على استيعاب إخراج السيد الشهيد الصدر مع عائلته، فأراد السيد الشهيد أن يتفادى الوقوع في هذا المأزق، وهو أن يخرج وينجو، ولكن تتحوّل عيالاته رهينة بيد أعداء الله البعثيين، فإنَّ هذا الأمر بالإضافة إلى أنه يشكل ضغطاً نفسياً كبيراً على الإنسان، فهو في الوقت نفسه أمر غير مقبول في الذهنية العامة للناس. (**منه قدس سره**).

(٢) لواعج الأشجان: ٧٣.

الحسين عليه السلام، أم في العصور المتأخرة عنه - سواء ما كتب عنه أم الأحداث التي جرت في التأريخ الإسلامي - يجد أنَّ هذا البعد هو أبرز الأبعاد في ملحمة كربلاء، ولا زال هذا البعد يتفاعل معه الناس - المتديّنون وغيرهم، بل حتى الذين لا يؤمنون بالإسلام - في كل عصر وزمان، بل هو من أهم الأهداف التي استهدفتها حركة الإمام الحسين عليه السلام، وكان له تأثير واسع في مجرى التأريخ كلّه، وخير شاهد على تأثير هذا البعد في الأمّة حصول الثورات المتلاحقة بعد مأساة كربلاء والتي أطاحت بالحكم الأموي في النهاية.

وقد جسَّد الإمام الحسين عليه السلام هذا البعد بأقواله وأفعاله وبذله وعطائه وإدارته للمعركة، فتارة يذكّر القوم بحسبه ونسبه، وأخرى بتعمّمه عمامة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وتقلّده سيفه[1]، وثالثة ببذل أصحابه وأهل بيته الميامين وفيهم الشيوخ والكهول والشباب والغلمان والرضعان بطريقة مثيرة تستدر دموع الأصدقاء والأعداء على حدّ سواء، بل حتى بعض الذين قاتلوا

---

(١) ورد في كتب المؤرخين ((... **ثم وثب الحسين عليه السلام متوكئا على سيفه، فنادى بأعلى صوته، فقال: أنشدكم الله، هل تعرفوني؟ قالوا: نعم، أنت ابن رسول الله وسبطيه. قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أن أمي فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أن أبي علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أن جدتي خديجة بنت خويلد، أول نساء هذه الأمة إسلاماً؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أن سيد الشهداء حمزة عم أبي؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فأنشدكم الله هل تعلمون أن جعفراً الطيار في الجنة عمي؟ قالوا: اللهم نعم. قال فأنشدكم الله، هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنا متقلده؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله أنا لابسها؟ قالوا: اللهم نعم...**)). روضة الواعظين: ١٨٦.

الحسين عليه السلام وشهروا سيوفهم عليه كانوا يبكون لمأساته عليه السلام ولبذله وتضحيته وصبره.

البعد الجماهيري في حركة عاشوراء

وأما البعد الجماهيري فقد كان موجوداً في ثورة الإمام الحسين عليه السلام، بل المتأمل فيها يجد أنه عليه السلام لم يقدم على ثورته إلاّ بعد تأكده من وجود القاعدة الجماهيرية لهذه الثورة.

وهناك قرائن كثيرة على هذه الحقيقة:

منها: الرسائل والكتب التي كتبها أهل الكوفة للحسين عليه السلام، فبالرغم من أن بعض الباحثين يحاول إضفاء طابع النفاق عليها، وافتراض أنّ أهل الكوفة قد كتبوها تضليلاً للحسين عليه السلام ونفاقاً منهم، وأنهم لم يكونوا يستشعرون حقيقة الآلام التي بثّوها في كتبهم، إلاّ أن الحقيقة تؤكّد أنّ هذه الكتب - بشكل عام- كانت تعبّر عن مشاعر حقيقيّة لكل المسلمين، وواقع موضوعي قائم في المجتمع الإسلامي كلّه، وأهل الكوفة بادروا إليه قبل غيرهم وعبّروا عنه في كتبهم، ولكنهم غلبوا على أمرهم بسبب الإرهاب والخوف من الفشل وغيرهما من الأسباب التي سوف نتناولها فيما بعد.

إذن، فهذه الكتب كانت تمثّل بعداً جماهيريّا، وأنّ أهل الكوفة كانوا يحسّون بالآلام ويشعرون بالظلم والذلّ، ويرون أن الحسين عليه السلام هو الأمل في إنقاذهم من هذا الوضع المأساوي، ولذلك كتبوا له وأخذوا يلحّون عليه، وأكّدوا ذلك ببيعتهم لمسلم بن عقيل عليه السلام حيث بايعه ثمانية عشر ألف رجل على بعض الروايات، ولم يشترك في هذه البيعة الأطفال أو النساء أو العجزة، بل أخذ البيعة من أولئك الذين هم على استعداد للقتال من أجل الحسين عليه السلام، وهؤلاء أن لم نقل إنهم جميعاً كانوا يتفاعلون مع ثورة

الحسين عليه السلام وعلى استعداد للقتال والدفاع عنه، فعلى الأقل أغلبيتهم كانوا كذلك، ومن هذا المنطلق كتب مسلم بن عقيل إلى الحسين عليه السلام كتاباً يحثّه على الإقبال حيث ورد فيه: ((أما بعد: فإنّ الرائد لا يكذب أهله وإنّ جميع أهل الكوفة معك وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً فعجّل الإقبال حين تقرأ كتابي والسلام عليك ورحمة الله وبركاته))[١].

وأفضل شاهد على هذه الحقيقة، هو أنّ عبيد الله بن زياد لم يتمكن أن يقف أمام هذا التيّار الجماهيري الواسع إلّا من خلال عمليات القتل والقمع الواسعة واعتقال الكثير من الوجهاء والرؤساء أمثال المختار الثقفي، وسليمان بن صرد الخزاعي، والحارث الهمداني وغيرهم، وكذلك استخدام أساليب الإرهاب والتخويف والتهديد بجيش الشام، وأسلوب الإغراء وبذل الأموال وإعطاء الوعود.

ومما يؤكد - أيضاً - تفاعل جماهير أهل الكوفة مع ثورة الحسين عليه السلام، هو تقييم الفرزدق لهم، عند لقائه للإمام الحسين عليه السلام في الطريق حيث سأله عن وضع الكوفة بعد مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام فأجابه: ((...أما القلوب فمعك، وأما السيوف فمع بني أميّة..))[٢].

والأحداث التأريخية التي شهدتها الكوفة بعد ذلك تؤكّد هذا الواقع أيضا، فالثورات التي انبثقت بعد ثورة الحسين عليه السلام كانت أكثرها تنطلق من الكوفة ومن أولئك الذين بثّوا آلامهم ومعاناتهم له عليه السلام[٣]، كما أنّ أكثر أصحاب الحسين عليه السلام الذين قتلوا معه كانوا من أهل الكوفة ومن الشخصيّات البارزة

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٢٨١، البداية والنهاية ٨ : ١٨١، بتفاوت يسير.

(٢) أنظر: نزهة الناظر وتنبيه الخاطر:٨٧، كشف الغمة:٢ : ٢٤١، الدرجات الرفيعة: ٥٤٨.

(٣) كثورة التوابين سنة (٦٥هـ)، وثورة المختار سنة (٦٦هـ).

فيها أمثال الصحابي الجليل حبيب بن مظاهر الأسدي، وشيخ القراء برير بن خضير، ومسلم بن عوسجة وغيرهم، وهذا الجانب أعطى امتيازا إيجابياً وجوهرياً للأوضاع السياسية في الكوفة وأهلها المبادرين.

ومنها: القاعدة الشعبية الموجودة في البصرة، فقد كان للحسين عليه السلام رصيد وجماهير فيها، وهذه الجماهير لا تقدّسه لكونه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فحسب، وإنما كانت تتفاعل مع ثورته وقضيته، وتبرز استعدادها للبذل والعطاء ويشهد بذلك القصة المذكورة عن يزيد بن مسعود التميمي الذي كان أحد شيوخ بني تميم(١).

---

(١) يروي القصة بتفاصيلها السيد ابن طاووس: ((...وكان الحسين عليه السلام قد كتب إلى جماعة من أشراف البصرة كتابا مع مولى له اسمه سليمان ويكنى أبا رزين، يدعوهم إلى نصرته ولزوم طاعته، منهم يزيد بن مسعود النهشلي والمنذر بن الجارود العبدي فجمع يزيد بن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني سعد فلما حضروا قال: يا بني تميم كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم؟ فقالوا: بخ بخ أنت والله فقرة الظهر، ورأس الفخر حللت في الشرف وسطا، وتقدمت فيه فرطا، قال: فإني قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاوركم فيه، واستعين بكم عليه، فقالوا: إنما والله نمنحك النصيحة، ونحمد لك الرأي فقل نسمع. فقال: إن معاوية مات فأهون به والله هالكا ومفقودا، ألا وإنه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضعت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمرا ظن أن قد أحكمه، وهيهات والذي أراد، اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل، وقد قام يزيد شارب الخمور، ورأس الفجور، يدعي الخلافة على المسلمين، ويتأمر عليهم مع قصر حلم وقلة علم، لا يعرف من الحق موطئ قدمه. فاقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين، أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ذو الشرف الأصيل والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسنه وقدمته وقرابته يعطف على الصغير، ويحنو على الكبير، فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، ولا تعشوا عن نور الحق، ولا تسكعوا في وهدة الباطل، فقد كان صخر بن قيس أنخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ←

ويدلّل أيضاً على هذا البعد إقبال الناس على الحسين عليه السلام في مكة بعد معرفتهم بأنه إنسان ثائر رافض للحكم الأموي ولسلطان يزيد الطاغية، وقد جاء إلى مكة معلناً هذا الرفض، فقد اجتمعت جماهير كبيرة من المسلمين

ونصرته، والله لا يقصر أحد عن نصرته إلا أورثه الله الذل في ولده، والقلة في عشيرته، وها أنا قد لبست للحرب لأمتها، وأدرعت لها بدرعها، من لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله رد الجواب.

فتكلمت بنو حنظلة فقالوا: أبا خالد! نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرة إلا خضناها، ولا تلقى والله شدة إلا لقيناها، ننصرك بأسيافنا، ونقيك بأبداننا، إذا شئت.

وتكلمت بنو سعد بن زيد، فقالوا: أبا خالد! إن أبغض الأشياء إلينا خلافك والخروج من رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال فحمدنا أمرنا وبقي عزنا فينا، فأمهلنا نراجع المشورة ويأتيك رأينا.

وتكلمت بنو عامر بن تميم فقالوا: يا أبا خالد نحن بنو أبيك وحلفاؤك لا نرضى إن غضبت، ولا نقطن إن ظعنت، والأمر إليك فادعنا نجبك، ومرنا نطعك، والأمر لك إذا شئت.

فقال: والله يا بني سعيد لئن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم أبدا، ولا زال سيفكم فيكم.

ثم كتب إلى الحسين صلوات الله عليه: ((بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد وصل إلي كتابك وفهمت ما ندبتني إليه ودعوتني له، من الأخذ بحظي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك، وإن الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير أو دليل على سبيل نجاة، وأنتم حجة الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرعتم من زيتونة أحمدية، هو أصلها وأنتم فرعها، فأقدم سعدت بأسعد طائر، فقد ذللت لك أعناق بني تميم، وتركتهم أشد تتابعا في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم خمسها وقد ذللت لك رقاب بني سعد، وغسلت درن صدورها بماء سحابة مزن حين استحل برقها فلمع.

فلما قرأ الحسين الكتاب قال : مالك آمنك الله يوم الخوف وأعزك وأرواك يوم العطش.

فلما تجهز المشار إليه للخروج إلى الحسين عليه السلام بلغه قتله قبل أن يسير فجزع من انقطاعه عنه...)). اللهوف في قتلى الطفوف: ٢٦.

على الحسين عليه السلام، حتى تمنّى عبد الله بن الزبير خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة ليصفو له الجو ويكون هو الإنسان البارز فيها والمحور لأهلها[1].

وبذلك نعرف أنّ الشروط الأساسية لنجاح الثورة كانت متوفرة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام، كما نعرف أيضاً أنّ الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه لايتحمّلون مسؤولية عدم الوصول إلى هدف الإطاحة بالحكم اليزيدي الظالم، وإنّما تتحمّل ذلك الأمّة نفسها لأسباب كان يريد الإمام الحسين عليه السلام أن يعالجها بنهضته وتضحيته كما سنعرف إن شاء الله تعالى.

---

(١) كل من ترجم حياة الحسين عليه السلام ذكر أنّ ابن عباس بكى حينما عزم الحسين عليه السلام الخروج من مكة قاصداً الكوفة، وخرج من عنده فمرَّ بابن الزبير وهو جالس، فقال له: قرَّت عينك يابن الزبير بخروج الحسين وأنشد:

يا لك من قبَّرة بمعمر ... خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقّري ما شئت أن تنقّري ... هذا حسين خارج فأبشري

راجع:مقاتل الطالبين:٧٣، تاريخ مدينة دمشق١٤ : ٢١١، تاريخ الطبري٤ : ٢٨٨، الأخبار الطوال:٢٤٤، وغيرهم كثير مع تفاوت يسير فيما بينهم.

الفصل الثالث

فلسفة
الثورة الحسينية

لقد اختلف المراقبون في تفسير ثورة الحسين عليه السلام وأهدافها ودوافعها الحقيقية اختلافاً كبيراً، فالأعداء فسّروها بتفسيرهم المعادي، ومن آمن بالحسين عليه السلام وبخطّه وبإمامته فسّروها بتفاسير أُخرى، ومن لم يؤمن بإمامته عليه السلام حاول أن يفسّرها بتفسير قد لا يكون عدائياً، ولكنّه فسّرها من وجهة نظره الضيّقة وفهمه للحياة ولدور الإمام عليه السلام فيها.

ونستعرض بشكل إجمالي بعض هذه النظريات لنتعرّف على أصحها[1]، وبالتالي نتعرّف على الدرس العملي الذي أراده الإمام الحسين عليه السلام من وراء هذه الثورة.

النظرية الأولى: الصراع القبلي

تفترض هذه النظرية أنّ حركة الحسين عليه السلام حركة قبليّة (عشائرية) تعبّر عن الصراع المحتدم بين قبيلتين قرشيتين - بني هاشم وبني أميّة - تصارعتا على السلطة والهيمنة قبل الإسلام، واستمرّ هذا الصراع إلى ما بعد الإسلام.

وقد تبنّى هذا التفسير أعداء الإمام الحسين عليه السلام، وفي مقدمتهم يزيد بن معاوية (لعنه الله)، حيث ذكر المؤرخون وأرباب المقاتل أنّ يزيد حينما بلغه

---

(١) إن دراسة التأريخ كما علمنا القرآن الكريم يجب أن تكون ذات هدف اجتماعي وأخلاقي وسياسي، وذلك من خلال استكشاف السنن المؤثرة في حركة المجتمع من ناحية، واخذ الاعتبار من وقائع واحداث التأريخ من أجل أن يتكامل الانسان روحيا ومعنويا من ناحية اخرى، مضافا الى استنباط المواقف وفهم الاحداث والاساليب التي يستخدمها الاعداء في محاربة الحق من ناحية ثالثة.

وهذا المنهج هو الذي يحسن، بل يجب على كل الباحثين والخطباء والكتاب أن يلتزموا به عندما يتحدثون عن التأريخ ويعملون على تطبيقه على الواقع المعاش من خلال تشخيص المصاديق الخارجية المعاشة في هذا العصر للاحداث التأريخية الماضية، وهذا ما صنعه القرآن الكريم عند حديثه عن قصص الانبياء واقوامهم. (منه قدس سره).

مقتل الحسين ووُضعَ الرأس الشريف بين يديه، جعل يضرب ثناياه، ثم تمثل بأبيات من الشعر يصوّر فيها أنّ صراعه مع الحسين عليه السلام صراعاً قبليّاً، وأنه أدرك ثأر أسلافه بقتله للحسين عليه السلام حيث قال:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا واستهلوا فرحا ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من ساداتكم ... وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خندف إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل[1]

كما يدلّل على تبنّي يزيد لهذه النظرية قوله - بعد قتل الحسين عليه السلام -: ((يوم بيوم بدر))[2].

وبعد ذلك سار على منواله بعض المؤرّخين الحاقدين، حتى انتهى الأمر إلى المستشرقين الذين حاولوا تفسير تأريخ المسلمين وإرغامهم بشكل وآخر على قبول هذا التفسير بأساليبهم وحيلهم وأضاليلهم الخبيثة، بل تعدّوا في التفسير القبلي لهذا الصراع إلى دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله للإسلام، فحاولوا أن يفسّروا الصراع بين رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي سفيان بأنه امتداد لذلك الصراع القبلي والعشائري.

ولكن لايمكن أن ينسجم هذا التفسير مع الحقائق التأريخية الثابتة، فالمتأمل في نهضة الإمام الحسين عليه السلام ومن خلال مجموعة من الظواهر يجد

---

(١) أنظر: تاريخ الطبري٨: ١٨٧، البداية والنهاية٨: ٢٠٩، مدينة المعاجز٤: ١٤٠، الخرائج والجرائح٢: ٥٨٠ وغيرهم كثير مع تفاوت يسير.

(٢) مناقب آل أبي طالب٣: ٢٦٠، أمالي الصدوق: ٢٢٩.

أنّ قضيته عليه السلام لا يمكن أن تكون صراعاً بين قبيلتين.

فمن تلك الظواهر، ظاهرة أصحاب الحسين عليه السلام، فإنّ نوعيتهم سواءً كانت من ناحية الانتماء القبلي أم القومي أم المذهبي، بل حتى من حيث المستوى الثقافي والوضع الاجتماعي، تختلف اختلافاً كبيراً بينهم فلا يمكن أن تجمع هؤلاء، أو توحّدهم قضية الصراع القبلي، فجون العبد الأسود، وحبيب بن مظاهر سيد عشيرة بني أسد العربية لا يمكن أن يوحّد بينهما قضية صراع عشائري، كما لا يمكن أن يوحّد بين كل أولئك الذين كانوا بالأمس أعداءً للحسين عليه السلام، كالحرّ بن يزيد الرياحي، وزهير بن القين وغيرهما[1] من الذين انضمّوا إلى معسكر الحسين عليه السلام أثناء المعركة عندما سمعوا حديثه واستغاثته، وبين من كان موالياً للإمام الحسين عليه السلام منذ اليوم الأول لنهضته.

فمن الذي جعل زهير بن القين يتحول من عثمانيته[2] - الذي يمثّل القطب المعارض تماماً لخط أهل البيت عليهم السلام وكان زهير بن القين إلى حين لقاء الحسين عليه السلام به يتبنّى هذا الخط؟![3] - إلى جانب الحسين عليه السلام إذا كان الصراع بين الحسين عليه السلام ويزيد (لعنه الله) صراعاً قبليّاً، مع أنّه - زهير - كان في جانب بني أميّة ومن خطهم.

وكذلك موقف الحر بن يزيد الرياحي الذي كان إلى آخر لحظات

---

(١) منهم: الأنصاريان سعد بن الحارث وأخوه أبو الحتوف، والأخوان عبد الله وعبد الرحمن أبنا عزرة الغفاريان، وأبو الشعثاء الكندي يزيد بن زياد.

(٢) أسّس هذا الخط معاوية لتبرير موقفه المعارض لعلي عليه السلام، والذي كان يدّعي أنّ عثمان قتل مظلوماً وأنّه لابد من الأخذ بثأره، وأنّ وراء قتله علي بن أبي طالب عليه السلام. **(منه قدس سره)**.

(٣) انظر: تاريخ الطبري٤: ٣١٦.

المواجهة قائداً عسكريا يقود ربع جيش عمر بن سعد، ثم تحوّل إلى جانب الحسين عليه السلام ليستشهد معه؛ بعد أن خيّر نفسه بين الجنّة والنار فاختار الجنّة في اللحظة الأخيرة وحظى بالسعادة الأبديّة[١].

فظاهرة أصحاب الحسين عليه السلام إذا تمت دراستها بتأمل وموضوعيّة نجدها ترفض بشكل قاطع هذه النظرية، ولا يمكن افتراض بناءً على هذه الظاهرة أنّ الصراع كان عشائرياً، خصوصاً إذا عرفنا أنّ أصحاب الحسين عليه السلام كانوا يعيشون الحقيقة بعقولهم كما كانوا يعيشونها بوجدانهم وضميرهم، وأنّهم كانوا يعيشون الأوضاع السياسية والاجتماعية بكلّ ظروفها ومواصفاتها وجزئياتها؛ لأنّهم قريبون منها وليس حالهم كحالنا، حيث ننظر إلى التأريخ من خلال هذا الفاصل الزمني الكبير.

فهذه النظرية مرفوضة ولا يمكن الأخذ بها، بل هي نظرية معادية، حيث إنّ الأعداء دائماً يحاولون تفسير أيّ تحرّك يقوم على الحقّ بإعطائه بعداً ضيقاً من قبيل البعد القبلي أو العنصري؛ لكي يحجّموا الحقّ ويقفوا في وجهه.

النظرية الثانية: الصراع على السلطة

تفترض هذه النظرية: أنّ الحسين عليه السلام إمام معصوم مفترض الطاعة منصّباً من قبل الله سبحانه تعالى، فهو أحقّ بالحكم من غيره، وقد وجد يزيد إنساناً ضعيفاً في الحكم لا يملك القاعدة السياسية التي كان يملكها معاوية بدهائه وخبرته، وأنّ يزيد كان معروفاً بمجونه وتمرده على الإسلام وتجاهره بالفسق، وأنّه يعيش العزلة والبعد عن المجتمع الإسلامي، ولذا رأى

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى١: ٤٦٠.

الحسين عليه السلام أن من واجبه السعي إلى السلطة؛ من أجل أقامة حكم الإسلام العادل وإرجاع الحق إلى نصابه.

إذن، فصراع الحسين عليه السلام مع يزيد أنما هو صراع على السلطة، ولكن لا من أجل الهيمنة والتسلُّط فحسب، وإنما من أجل إحقاق الحقّ وإقامة العدل الآلهي، ولكن لم تسنح له الظروف لتحقيق هذا الهدف رغم أنّ أهل الكوفة أرسلوا له آلاف الكتب ووعدوه بالنصرة والوقوف إلى جانبه، غير أنّهم خذلوه في اللحظة الأخيرة، وإذا به يجد نفسه وحيداً فريداً غريباً الأمر الذي أدّى به إلى النهاية المأساوية المعروفة، فلو كان يعلم أنّه لا يمكن له أن يحقق هدفه لجلس في بيته كما جلس أخوه الحسن عليه السلام، وقبله أبوه علي عليه السلام مدة طويلة حتى تهيّأت له الظروف المناسبة.

وهذا التفسير يذكره الكثير من المؤرّخين، وهو المتبادر إلى أذهان الكثير من الناس، فالحسين عليه السلام باعتباره الأحقّ بهذا المنصب، فمن الطبيعي أن يسعى إليه باعتبار المسؤولية الدينية التي يشعر بها تجاه إقامة الحكم الآلهي في الأرض، وقد سعى بجدّ وتخطيط لتحقيق هذا الهدف السامي لا حبّاً بالسلطان، وإنَما لإقامة العدل الآلهي، ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى هذا الهدف لا لضعف في قيادته، وإنما لتخاذل الناس عنه، وهذا ما حدث بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام، حيث سعى لهذا الأمر واستلم الخلافة، ولكنه لم يستمر بسبب استشهاده على يد ابن ملجم.

ولكن هذا التفسير أو النظرية لا نقبلها أيضاً؛ لأننا نرى أنّ هدف الإمام الحسين عليه السلام من وراء حركته لم يكن الوصول إلى السلطة، لا بسبب أنّ السعي إلى الخلافة أو السلطة وإلى الحكم الإسلامي وإقامة العدل والقسط بين الناس سعي غير مشروع، أو أنّ الحسين عليه السلام لم يكن مسؤولاً عن ذلك، بل إنّ هذا السعي كان سعياً مشروعاً، بل هو واجب آلهي، وأنّ الحسين عليه السلام

وكل إنسان سائر في خطه يجب عليه أن يسير في هذا الطريق، وأن يعمل من أجل تحقيق حكم الله وإقامة العدل الآلهي في الأرض، والإمام الحسين عليه السلام مسؤول عن هذا الأمر إذا تحققت شروطه الموضوعية، وهذا من الأمور الواضحة وليست مورد نقاش وشك، ولكن مع ذلك نرى أنّ الحسين عليه السلام لم يكن هدفه من وراء نهضته ذلك؛ لأنه كان يعرف النتيجة التي سوف يصل إليها، وأنّه لا يتمكّن من تحقيق ذلك الهدف بسبب إدراكه لطبيعة الظروف السياسية والنفسية والاجتماعية للأمة، وكان هذا الامر واضحا له عليه السلام، فمع معرفته بذلك لايمكن أن نفترض أنّ الهدف من وراء حركته وثورته هو الوصول إلى السلطة؛ لأنّ معنى ذلك أنّ الحسين عليه السلام كان يسعى إلى هدف غير واقعي ويكون عمله حينئذٍ انتحاريا، وهذا لاينسجم مع شخصيته عليه السلام وتجاربه السياسية والاجتماعية، كما لاينسجم مع فرضيّة إمامته.

إذن، نحن نرفض هذه الفكرة التي تبنّاها أصحاب هذا التفسير؛ لأنّ الحسين عليه السلام كان يعرف من أول الأمر أنه لا يصل إلى تحقيق وإقامة الحكم الإسلامي، ومع ذلك تحرّك لأنّ هدفه ليس الوصول إلى السلطة.

ويمكن معرفة هذه الحقيقة من خلال عدة أمور عند مراجعة تأريخ حركة الحسين عليه السلام بشكلٍ واضح:

الأمر الأول: إنّ العقلاء من خُلّص أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، أو من غيرهم من أصحاب الرأي وممن لهم معرفة بالأوضاع السياسية في ذلك الزمان كانوا متفقين على أنّ الإطاحة بحكم يزيد لا يمكن أن يتحقق للإمام الحسين عليه السلام، فمثلاً عبد الله بن العبّاس الذي يعتبر من حكماء العرب، بحيث إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام اختاره مندوباً عنه في قضية التحكيم في

صفين[1]، كان ينصح الحسين عليه السلام بعدم التوجه إلى الكوفة، لأنّ أهلها سيخذلونه في النهاية، وهكذا كان موقف محمد بن الحنفية، وعبد الله بن جعفر، وجماعة أخرى ممّن يحبّون الحسين ويخلصون له.

وقد جاءت نهاية المأساة متطابقة مع ما ذكره هؤلاء المخلصون والمحبّون للإمام الحسين عليه السلام ويمثّل الحقيقة بعينها.

وعلى هذا لا يمكن افتراض أن الحسين عليه السلام - الذي هو وريث محمد صلى الله عليه وآله وعلي والحسن عليهما السلام، وقد عاش مختلف الظروف والتحولات السياسية والتأريخية - غير مدرك لهذه الحقيقة التي أدركها أمثال أولئك المخلصين، فهل من المعقول أن يكون أولئك الصحابة قد توصلوا إلى هذه الحقيقة وأدركوا هذا الأمر وبقى هذا الأمر بعيداً عن حسابات الحسين عليه السلام وتوقعاته؟! وهل كان الحسين عليه السلام يتصوّر - نتيجةً لرسائل أهل الكوفة ولإصرارهم وإلحاحهم عليه بالثورة - أنّه يتمكن أن يصل إلى هذا الهدف الخاص مع إجماع كل أُولئك على خلاف ذلك؟!

الأمر الثاني: موقف الحسين عليه السلام وإصراره على المضي في طريقه، حتى بعد تدهور الوضع السياسي في الكوفة وتوارد الأنباء عليه بمقتل مسلم بن عقيل ورسوله مسهر بن قيس الصيداوي وغيرهما، وقد كانت تُقدّم له النصائح بالرجوع عن قصده ومع ذلك كان يصرّ على الاستمرار في الحركة ويترك للآخرين أن يختاروا مصاحبته أو تركهم له.

الأمر الثالث: وهو أوضح من الأولّين في رفض هذا التفسير، وهو النصوص التي وردت عن الإمام الحسين عليه السلام التي تؤكد أنّه كان على علم واطلاع بمصيره ومصير أهل بيته وبالنتيجة المأساوية وتفاصيلها.

---

(١) تاريخ الطبري٤: ٣٦، وقعة صفين: ٥٠٠.

فقد ورد على لسان الحسين عليه السلام خلال مسيرته نحو كربلاء في عدّة مواضع من أنّ مصيره سيكون القتل والعطش هو وأهل بيته وأطفاله وعياله.

كقوله عليه السلام في كتابه لبني هاشم لما توجه إلى العراق: ((بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى بني هاشم: أما بعد فانّه من لحق بيْ استشهد، ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح والسلام))[١].

وقوله عليه السلام لما عزم على الخروج من مكة قاصدا الكوفة قبل أن ينكشف له أي شيء عن أهل الكوفة، وكانت الكتب والرسائل تتوارد عليه منهم بالمئات، وأكّدها سفيره وابن عمه مسلم بن عقيل عليه السلام:((...خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه كأنّي بأوصالي يتقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأنّ مني أكراشا جوفا، وأجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم...))[٢].

وقوله لأخيه محمد بن الحنفية: ((أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك فقال: يا حسين اخرج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلا...))[٣].

وقوله عليه السلام لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب: ((...إنّي رأيت رؤيا، ورأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وأمرني بأمرٍ أنا ماضٍ له، ولست بمخبرٍ بها أحداً حتى ألاقي عملي))[٤].

وقوله لأم سلمة: ((...يا أماه والله إنَي لمقتول، وإنَي لا أفرّ من القدر

---

(١) نوادر المعجزات: ١١٠، ح٦.

(٢) كشف الغمة٢: ٢٣٩.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٠.

(٤) تأريخ مدينة دمشق١٤: ٢٠٩.

والمقدور، والقضاء المحتوم، والأمر الواجب من الله تعالى، فقالت: واعجباه فأين تذهب وأنت مقتول؟! فقال: يا أمّه إن لم أذهب اليوم ذهبت غداً، وإن لم أذهب غداً لذهبت بعد غد، وما من الموت - والله يا أمّه - بدّ، وإنّي لأعرف اليوم والموضع الذي أقتل فيه، والساعة التي أقتل فيها، والحفرة التي أدفن فيها كما أعرفك وأنظر إليها كما أنظر إليك...))[1].

إلى غير ذلك من تصريحاته عليه السلام، ومضافا إلى ذلك أنّ هناك الكثير من الروايات عن الرسول صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليه السلام وعن الزهراء عليها السلام تؤكّد وقوع هذه المأساة[2].

إذن، فنحن عندما نلاحظ موقف الإمام الحسين عليه السلام ومسيرته نرى أنه عليه السلام كان متأكداً من هذه النتيجة، والمتأكد من هذه النتيجة لا يمكن أن يخطر في ذهنه أنه سيصل إلى الحكم. فكل هذه الأمور تؤكد بطلان النظرية المتقدمة.

النظرية الثالثة: العامل الأخلاقي

هناك تفسير آخر يعتمد على افتراض أنّ ثورة الحسين عليه السلام ونهضته كانت بدوافع أخلاقية ذاتية تنطلق من العوامل النفسية والأخلاقية الإسلامية العربية التي كان يتمثّل بها الحسين عليه السلام، فيقال في توضيح ذلك: إنّ الحسين عليه السلام كان أبيّ الضيم، وإنساناً شريفاً وعزيزاً وكريماً، وهو ابن البيت المجيد، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وابن علي ابن أبي طالب عليه السلام،

---

(١) الثاقب في المناقب: ٣٣١.

(٢) راجع: أمالي الصدوق: ١٧٧، ح٢ و٣، بشارة المصطفى: ٣٠٨، كامل الزيارات: ١٤٦، ذوب النضار: ١٧، مدينة المعاجز ٣: ١٤٠، كمال الدين وتمام النعمة: ٥٣٣.

الذي لا يمكن أن يخضع لإنسان وضيع، ملحد، فاسق، فاجر، إلى غير ذلك من الصفات التي كان يتّصف بها يزيد.

إذن، فأخلاقية الحسين عليه السلام وصفاته النفسية العالية كانت تأبى عليه مبايعة يزيد ووضع يده بيده، وقد عبّر عن ذلك في عدّة مواطن كقوله: ((لا والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ لكم فرار العبيد)).

وقوله لوالي المدينة: ((أيها الأمير، إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله..))[1].

وقوله في خطبته الثانية يوم الطف وهو يعبأ أصحابه للقتال: ((... ألا وأنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين السلة والذلّة، وهيهات منّا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وحجور طهرت ونفوس أبيّة وأنوف حمية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام...)).

إلى غير ذلك من كلماته وتصريحاته التي قد تدعم هذا التفسير، وتوجد عشرات الآلاف من الأدبيات الحسينية التي تنسجم مع هذا التفسير.

إنّ التفسير المذكور وإن كان يشكل جزءاً مهماً من حركة الحسين عليه السلام، حيث إن من أهدافه عليه السلام رفض الضيم والذل والخضوع للظالم، إلاّ أنها لايمكن أن تكون هي التفسير الكامل لهذه الحركة، وبالتالي فلايمكن أن يمثل هذا التفسير نظرية هذه الثورة وتفسيراً لكل تفاصيلها وبجميع أبعادها؛ وذلك لأنّ الإمام الحسين عليه السلام - كإمام يتحمّل مسؤوليات تجاه الأمة الإسلامية - لاينطلق في تحركه من المشاعر الخاصة والعواطف أو الأحاسيس الأخلاقية

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف:١٧.

الذاتية فحسب، بل ينطلق أيضاً من المصالح الإسلامية العليا للدين، والواجبات والمسؤوليات العامة للأمة حتى لو كانت على حساب العواطف والأحاسيس النبيلة والأخلاق الإسلامية الذاتية الخاصة.

ولذا فقد يفرض على الإمام الحسينعليه السلام أحياناً أن يقف موقفاً يتّسم بالتنازل من أجل مصلحة إسلامية أكبر وأعظم، كما وقف الإمام الحسنعليه السلام في الهدنة مع معاوية على خلاف ميوله عليه السلام وعواطفه النبيلة، وحينئذ لايمكن - بأي حال من الأحوال - أن نفترض أنّ أخلاقيّة الإمام الحسنعليه السلام تختلف عن أخلاقيّة الإمام الحسين عليه السلام بحيث يرضى أحدهما بالضيم والذل والأخر لايرضى بهما، ويؤكد ذلك قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ((الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا))[١]، أي أنّهما متساويان من حيث الإمامة، وقد تربّيا في بيت واحد وحجر واحد ومن أم واحدة وأب وجدّ واحد، وعاشا عليهما السلام جنباً إلى جنب ينهلان من هذا البيت الطاهر، فهما لا يختلفان في شيء من الأشياء النفسية والأخلاقية والاجتماعية.

إذن، افتراض أنّ حركة الحسينعليه السلام كانت منطلقة من قضية أخلاقية ذاتية فردية، تضعنا أمام تساؤل - لا جواب له - وهو: لماذا وجدت هذه الأخلاقية في الإمام الحسينعليه السلام ولم توجد في الإمام الحسنعليه السلام مع أنّهما متساويان من حيث الإمامة، ومن حيث الأخلاقية والمستوى الاجتماعي والنسب والإنتماء العائلي، ومن حيث التربية وكل الخصوصيات الأخرى؟!

إذن، فالثورة الحسينية في الحقيقة ليست ثورة رفض ظلم وذل فقط، وإن كانت هذه المعاني عزيزة على الإنسان إلّا أنها ليست كلّ شيءٍ في حياته، فالإمام الحسينعليه السلام بقوله ((الموت أولى من ركوب العار، والعار أولى من

---

(١) مناقب آل أبي طالب٣: ١٦٣، التعجب:٥٢، روضة الواعظين:١٥٦، عوالي اللئالي٤: ٩٣.

ركوب النار)) يريد بيان أنّ الفرد الإنساني إذا تُرك له الخيار بين الموت وركوب العار، فالموت أهون وأقل شأناً من العار، ولكن لدى الإنسان هدف أعلى وأسمى من الموت، ومن الكرامة الذاتية، وهو رضا الله سبحانه وتعالى والدخول إلى الجنة، وفي سبيل ذلك يتحمّل الإنسان ذو الأخلاقية الإنسانية العالية هذا العار في سبيل أن يكسب رضا الله سبحانه وتعالى، وفي سبيل الموقف الصحيح الذي يخدم به الإسلام[1].

التصور الإسلامي تجاه الضيم

إنّ الإسلام يفرض على الإنسان أن يكون عزيزاً وكريماً في حياته كما دلّت الآيات الكريمة على ذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[2].

أو ما يفهم من موضوع الأمر الآلهي للملائكة بالسجود لآدم، وكذلك الآيات التي تشير إلى صفات المؤمنين بأنّهم ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[3]، أو التي تقول: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[4]، أو الأحاديث التي تؤكد أنّ المؤمن لم يأذن الله تعالى له أن يذلّ نفسه، أو

---

(١) ومن هنا نعرف أنّ الإمام الحسن عليه السلام كان مظلوماً مظلومية لا نظير لها، فهذا الإنسان العظيم ابتلي في موقف الصلح مع معاوية بشئ أشد عليه من الموت، باعتبار أن مصلحة الإسلام العليا فرضت عليه ذلك، ولو ترك له الخيار لاختار الموت كما اختاره الحسين عليه السلام، ولكان ذلك أشهى لقلبه وأقرب إلى نفسه، ولكنه عليه السلام دخل في هدنة مع معاوية من أجل المصالح الإسلامية العليا.(منه قدس سره).

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) المائدة: ٥٤.

(٤) النساء: ١٤١.

التي تقول: ((لاتكن عبدَ غيرك وقد جعلك الله حرّاً..))[1] فإنَّ كل ذلك يؤكد هذه الحقيقة.

ومن هنا أصبح الذل والضيم أشد على الإنسان من الموت نفسه، وصح للإنسان أن يجاهد ويقاتل من أجل الخلاص منهما والدفاع عن النفس.

إن الذل والضيم الذي يواجهه الإنسان على نوعين:

الأول: الذل والضيم الشخصي.

الثاني: الذل والضيم الاجتماعي الذي يتعرض له المجتمع بجميع مقوماته وأبعاده.

والنوع الثاني هو الأشد والأولى في المقاومة والمواجهة، وهو الذي يمارسه الطغاة والجبابرة تجاه المجتمعات الإنسانية.

ومن هنا دعا الإسلام والقرآن لمواجهة الذل والضيم، الذي يعبّر عنه بالظلم حينما يتعرّض المجتمع إلى ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيراً﴾[2] وقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[3].

وبذلك أصبح رفض الظلم والضيم مبدأً أخلاقيّاً رفيعاً وعالياً، وفي هذا المجال يجب الالتفات إلى نقطتين مهمتين لهما تأثير في فهم هذا المبدأ الأخلاقي ونتائجه وآثاره:

الأولى: إنّ الإسلام ينظر إلى الحياة على أساس أنّها طويلة وممتدة، وإنّ

---

(١) نهج البلاغة٣: ٥١.

(٢) النساء: ٧٥.

(٣) الحج: ٣٩.

الأصل فيها هي الحياة الأخروية، وإنّ الذل الحقيقي هو الذي يواجهه الإنسان في الحياة الآخرة عندما يخرج عن طاعة الله تعالى في الحياة الدنيا.

ومن هنا أصبح رضا الله سبحانه وتعالى مقدّماً على كلّ شيءٍ في هذه الحياة، وأن العبودية لله تعالى هي أفضل ألوان العزّة والكرامة ((كفى بي عزّاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي ربّاً))[1] وتصبح الذلّة للمؤمنين وللوالدين والتواضع لهم من أفضل الأعمال والصفات؛ لأنّها توجب رضا الله تعالى وتحقّق المصالح العليا في تماسك المجتمع، وكذلك الطاعة والتسليم لأولياء الأمور الشرعيين وللحكم والقضاء الشرعي ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾[2].

وبهذا تختلف النظرة الإسلامية لهذا المبدأ عن النظرة الجاهلية، التي كانت تنظر إلى قضية الذل والضيم من زاوية الحميّة الشخصية أو العائلية أو القبلية فقط.

الثانية: لابد من التمييز بين الذل والضيم الفردي، وبين الذل والضيم الاجتماعي بالنسبة إلى الأفراد الذين يتحمّلون مسؤوليات اجتماعية كالأنبياء والأوصياء والأئمّة الأطهار، أو أولياء الأمور من المؤمنين كالقادة والعلماء وغيرهم حسب اختلاف مراتبهم، فإنّ هؤلاء لابّد لهم أن ينظروا إلى هذا المبدأ الأخلاقي من خلال مسؤولياتهم والحالة الاجتماعية العامة، لا من خلال أوضاعهم الفردية الشخصية الخاصة فإنّ مسؤوليتهم ـ بالأصل ـ ترتبط بالجانب العام للمجتمع.

---

(١) كنز الفوائد: ١٨١.

(٢) النساء: ٦٥.

ولذا فقد يكون من الواجب على احدهم أن يتحمّل بعض ألوان الذل والضيم لتحقيق مصالح إسلامية ذات بُعد اجتماعي عام مرتبط بالأمّة أو العقيدة أو ذات مستوى عالٍ يضرُ بمصالح المجتمع الكليّة، وبهذا الصدد يمكن أن نفهم الموقف الذي وقفه الإمام عليعليه السلام حينما يقول: ((ووالله لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصّة))[1]، أو موقف الإمام الحسنعليه السلام الذي أراد أن يحفظ قوة المجتمع الإسلامي من ناحية، واستمرار وجود الجماعة الصالحة من ناحية أخرى، وكشف الحقيقة للإدعاء الأموي من ناحية ثالثة، فتحمّل شخصيّاً هذا اللون من الأذى.

وعندما تطوّرت الأوضاع في زمن الإمام الحسينعليه السلام وأصبحت ممارسة الإذلال منهجاً لحكم (يزيد) تجاه المسلمين، وأدرك المسلمون ذلك، وأخذ الحكم ينظر إلى الجماعة الإسلامية والأموال الإسلامية على أنّها ملك يده يتصرف بها كيف يشاء، وقد كشف يزيد عن هذه الحقيقة عملياً بموقفه عندما أخذ البيعة من أهل المدينة المنورة بعد عام من مقتل الحسين عليه السلام في واقعة الحرة على أنهم عبيد أرقاء ليزيد[2]، فعندما تصبح الأوضاع بهذا الشكل وتصل إلى هذا المستوى، يكون الموقف له منحاً واتجاها آخر.

وبذلك يمكن أن نعرف أن حركة الإمام الحسينعليه السلام وان كانت ذات منطلق أخلاقي أيضا، ولكنها ليست منطلقة من مبدأ الأخلاقية الذاتية، وليست هذه الأخلاقية هي مجرد رفض الظلم والضيم، بل إلى جانب ذلك شيء آخر مهم يرتبط بمصالح الأمة والإسلام.

إذن، فالنظرية التي تقول: بان الحسين إنسان عربي، من بيت شريف

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد٦: ١٦٦.

(٢) راجع: العمدة: ٣٢٢، الغارات٢: ٤٦١، الطرائف: ١٦٦.

عظيم، وذو أخلاقية عالية تفرض عليه رفض الظلم والذل، وبالتالي تفرض عليه التضحية بكلّ غال ونفيس، وقد ثار فعلاً وضحّى بنفسه وأهل بيته وأطفاله وأصحابه، وعرّضهم للخطر من أجل هذا الإحساس مرفوضة، وأن كان الحسين عليه السلام يتصف بكل هذه الصفات الحميدة وقد يتعرض للموت من أجل رفض الذل، لكن حركته هذه لم تكن لهذا الهدف فحسب كما تقدم.

النظرية الرابعة: النظرية الغيبية

تنطلق هذه النظرية في تفسير ثورة الحسين عليه السلام من العنصر الغيبي فتقول: إنّ الحسين عليه السلام إمام معصوم، والله سبحانه وتعالى كتب عليه في عالم الذر أن يموت في كربلاء بهذا الوضع المأساوي المعيّن، وبالطريقة التي يشرحها أرباب المقاتل.

وإنّ الإنسان العادي لا يمكن أن يعرف حكمة هذا السرّ الغيبي والقرار الالهي؛ لأنه من أسرار الله سبحانه تعالى، وبالتالي فلا يمكننا السير في خط الحسين عليه السلام، أو التأسي بثورته والإقتداء بمنهجها ومضمونها وآثارها؛ لأنّ هذه المسألة مسألة فريدة ومرتبطة بالله سبحانه وتعالى، بشّر بها الأنبياء، كما بشّر بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام.

مضافاً إلى كلمات الحسين عليه السلام وتصريحه في مواطن عدّة بهذه النهاية المأساوية المفروضة عليه من الغيب.

إذن، فالقضية هي أمر الهي خاص بالحسين عليه السلام يجب أن يُنفّذ بطريقة معيّنة.

ثمّ جاء بعد ذلك مواله وشيعته فأقاموا مجالس العزاء النافعة، فمنهم من يبكي، ومنهم من يبذل الطعام والشراب، ومنهم من يصعد المنابر للتحدّث

عنه عليه السلام وعن أهل البيت عليهم السلام وعقائدهم وأخلاقهم ويثيرون، العواطف، ويستدرّون الدموع وما يعقب ذلك من الاجر والثواب، وبالتالي فهم يستفيدون ويفيدون الناس.

ونحن هنا لانريد أن نشكّك في حقيقة الأجر والثواب المترتّب على التفاعل مع مأساة الحسين عليه السلام خصوصاً في المجالس، والبكاء، والزيارة، وبذل الطعام، بل لا يمكن التشكيك بعد صدور عشرات الروايات عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام في الثواب المترتّب على مثل هذه الأعمال[1]، إلّا أنّ ما نعنيه هو أنّ هذه النظرية تريد أن تحوّل قضية الحسين عليه السلام بأكملها إلى هذه الأمور المستحبة، وتُرجعها إلى أمر غيبي مجهول دون أن يكون لها صلة بحياتنا وواقعنا السياسي والاجتماعي.

إن هذه النظرية مرفوضة لا لأننا نرى أن هذه المظاهر والشعائر لا تمثل شيئاً من الحسين عليه السلام، أو أننا نشكّك في حقيقة الأجر والثواب المترتّب على التفاعل مع مأساة الحسين عليه السلام خصوصاً في المجالس والبكاء والزيارة وبذل الطعام، بل إنّ المظاهر والشعائر الصحيحة هي جزء من قضية الحسين، ولها أهمية في تحقيق أهداف ثورته عليه السلام، ولابدّ من التأكيد عليها، لأن هذه المظاهر والمجالس والأعمال هي أدوار حقيقية تعبّر عن شيء آخر حقيقي يمكن أن نسير على طريقه وعلى ضوئه ونقتدي به ونستضيء بهداه.

نعم، لو قال الله سبحانه وتعالى في شأن أئمة أهل البيت عليهم السلام: إنّ هؤلاء لهم أحكام وأدوار خاصة، ولهم حياة وممارسات خاصة بهم، وأنّهم عندما يقومون بعمل لايعنيكم أمرهم وعملهم، كان من الممكن في هذه الحالة تعقّل هذه النظرية، فنقول عندئذ إنّ الأئمّة عليهم السلام مكلّفون بتكليف معيّن ولهم

---

(١) راجع الوسائل ١٤: ٤٣٧، باب ٤٠ إلى ٧٧ من أبواب المزار وما يناسبه.

دور معيّن، وهذا الدور المعيّن قام به هذا الإنسان الذي اختاره الله له، والله أعلم بهذا الدور، وبالسر الذي يكمن وراءه.

ولكنّ الصحيح عكس ذلك، فإنّ الأئمّة عليهم السلام جعلهم الله سبحانه تعالى قدوة للمسلمين، كما ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وآله: ((إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة))[1]. وأنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام أكّدوا على قضية الحسين عليه السلام وألفتوا إليها الأنظار في مختلف المناسبات، كما أكّدوا دائماً على أهداف الحسين وأسباب نهضته والمظلوميّة التي تعرّض لها هو وأهل بيته، وعلى إدانة الحكم الأموي في نهجه وأهدافه وغاياته وأساليبه، وعلى ضرورة الأخذ بثأره، بل إنّ أحد الأهداف الرئيسية لظهور مهدي أهل البيت الحجة المنتظر عجل الله فرجه هو الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام وتحقيق العدل الآلهي.

فهم أرادوا لها أن تكون قضيّة مركزية في أوساط أتباع أهل البيت ليؤشروا بها إلى طريقهم ومنهجهم، ويؤكّد ذلك بقاء هذه النهضة حيّة في تأريخ التشيّع إلى يومنا هذا.

إذن، فما قام به الإمام الحسين عليه السلام لا يُراد منه أن يكون مختصاً به شخصيّاً، وأن يكون سرّاً لا يفهمه إلّا الله سبحانه والراسخون في العلم دون أن يكون للناس علاقة به، بل يراد من هذه النهضة أن يتأسّى بها الناس ويسيروا على ضوئها وهداها ويلتزموا بمنهجها ويتفاعلوا معها، كما أنها منطلقة من رؤية وفهم للإسلام والواجبات الإسلامية، وبالتالي فلابدّ لنا أن نفهم التفسير الصحيح لها ونتعرّف عليه، حتى يمكن أن نحقّق من

---

(١) مدينة المعاجز ٤: ٥٢. وهناك أحاديث كثيرة مروية عن النبي تؤكد أن أهل البيت عليهم السلام قدوة للمسلمين.

خلال ذلك أهداف الحسين عليه السلام وغاياته.

وعندما نرفض التفسير الغيبي لا نريد من ذلك - كما قد يفهم البعض - أنّ قضية الحسين عليه السلام ليست مورداً للعناية الآلهيّة، بل إنّ نهضته عليه السلام أُطروحة آلهية موضوعة من قبل الله تعالى ومصمّمة على يد رسوله صلى الله عليه وآله ونفّذها إمام من الأئمّة المعصومين الذين لا يعرفون إلا حكم الله، والله سبحانه وتعالى - في علمه الذي يحيط بكلّ شيء - عندما وضع هذه الأطروحة للأمّة أراد من ذلك خير الناس وخير البشرية، وأراد من المؤمنين والناس جميعاً الإقتداء بها، كما هو الحال والشأن في القرآن الكريم.

فالقرآن الكريم كتاب الله، وهو منزّل من قبله تعالى عن طريق وحيه، ولكن لا يراد من هذا الوحي أن يكون معلّقاً بين الأرض والسماء يمجّده الناس ويقدّسونه فحسب، وإنما أريد به أن يكون هادياً للبشرية، تسير على تعاليمه وعلى منهجه، فكذلك الأمر بالنسبة لنهضة الإمام الحسين عليه السلام وثورته. وقد فهم هذا التفسير الرسالي المسلمون بوجدانهم في الأدوار والعصور المختلفة وتفاعلوا معه، ولكن بعضهم فهمه بشكل تفصيلي، وبعضهم الآخر فهمه بشكل إجمالي، أي: تفاعلت ضمائرهم مع هذه القضية وساروا على هديها، ولو لم يعرفوا بالضبط الأهداف الخاصة التي كانت وراء حركة الحسين عليه السلام ووراء نهضته.

النظرية الخامسة: ثورة الحسين هزة ضمير

تقوم هذه النظرية على أن ثورة الحسين عليه السلام كانت من أجل تثبيت الموقف الشرعي والحكم الإسلامي تجاه ظاهرة الطغيان اليزيدي، والحكم الكسروي الجديد الذي جسّده هذا الحاكم المستهتر بالقيم والشعائر الإسلامية، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى المحافظة على وجود الرسالة الإسلامية واستمرارها من خلال تثبيت هذا الموقف، وما يمكن أن يحدث عنه من تفاعلات في الأمّة.

ومن ناحية ثالثة إيقاظ ضمير الأمّة وهزّ مشاعرها وأحاسيسها وتحريك وجدانها، من أجل العمل على مواجهة هذه الظاهرة الخطيرة في حياتها.

فالدوافع الحقيقية لثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت ترتبط بهدف له أبعاد ثلاثة:

- بُعد يرتبط بفهم الرسالة الإسلامية، وذلك بتوضيح الموقف الشرعي تجاه الظاهرة الخطيرة.
- وبُعد آخر يرتبط بحركة رسالة الإسِلام المستقبلية.
- وبُعد ثالث يرتبط بحركة الأمّة الفعلية وأوضاعها السياسية والاجتماعية والنفسية.

لقد استهدف الإمام الحسين عليه السلام في مجمل حركته هذه الأبعاد والأهداف المترابطة فيما بينها، وقد تمكّن عليه السلام بتضحيته الكبيرة، وبذله وعطائه الذي قدّمه للإسلام، وبالتخطيط الرائع والتصميم المحكم والقوي من تحقيق هذه الأهداف العظيمة.

وبهذا التفسير لحركة عليه السلام الحسين وثورته يمكن أن نحتفظ بكرامة الحسين عليه السلام وعظمته، فإنّ هذا الإنسان الذي قدّم كل ذلك القدر الكبير من البذل والعطاء استطاع تحقيق أهدافه، بمعنى أن بذله وعطاءه لم يكن بلا هدف، بل كانت ثورته لها هدف، وقد نجحت وانتصرت في تحقيقه، بل هي فتح آلهي كما عبّر عنها الحسين عليه السلام حينما قال: ((ومن تخلّف لم يبلغ الفتح))، ومن هنا نجد أن الحسين كان على بصيرة من أمره، ويؤكد هذه الحقيقة الدرجة العالية من العزم والتصميم والإصرار على تنفيذ هذه المهمّة، ممّا يدلّل على أنّ الهدف الذي

أراد تحقيقه من وراء هذه المهمة هدف عظيم وواضح، وفي الوقت نفسه لديه ثقة عالية بتحقيقه.

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام يمثّل الضمير الحي للأمّة الإسلامية، والعقل الواعي والمدرك للأخطار التي تتهدّدها وطبيعة المشاكل والظروف التي تحيط بها، وكان عليه السلام يدرك أنّ في مقدمة هذه الأخطار خطر موت الضمير والوجدان لدى الأمة، والذي يتحوّل بعد ذلك - عادة - من خلال الاستمرار والقبول بالأمر الواقع إلى نسيانها لدورها وفقدانها لخصوصيتها وتشويه الحقيقة والواقع، والتحوّل عن الصراط المستقيم إلى الانحراف والطغيان.

أهداف الثورة الحسينية

ومن أجل اتضاح الصورة بشكل أفضل سنتناول أهداف الثورة بشيء من التوضيح:

الهدف الأول: تحويل الموقف النظري إلى موقف عملي

أراد الحسين عليه السلام تحويل الموقف النظري للأُمّة تجاه يزيد إلى موقف عملي، حيث كان عليه السلام يدرك أنّ الناس يعرفون حقيقة يزيد وطغيانه واستهتاره العلني بالقيم والمثل والأحكام الإسلامية، فقد كان يلعب بالقردة والخنازير، ويشرب الخمر علناً، وكان فاسقاً فاجراً، وأنّه ليس أهلاً للخلافة، وأنّ معاوية فرض خلافته على المسلمين مع رفضهم واستنكارهم لها[1].

---

(١) قال الطبري في تاريخه: ((... ودعاؤه - أي معاوية - عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمير صاحب الديوك والفهود والقرود وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهديد والرهبة وهو يعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه ويعاين سكرانه وفجوره وكفره...)). تاريخ الطبري٨: ١٨٧.

هذه الحقيقة كان يعرفها الناس، ولكن مع ذلك هم الذين قتلوا الحسين ووقفوا في الصف المعادي له، بل ظهروا وكأنهم أعدى أعدائه مع علمهم - أيضاً - بأنّه على حق وأنّه ابن بنت رسول الله ﷺ وأحقّ من يزيد بالخلافة، وأنه يقيم العدل والقسط بين الناس، ويحقّق لهم العزّة والكرامة إن جاء إلى الحكم، بل إنّ الكثير من هؤلاء قد حرّضوا الحسين عليه السلام على الثورة، وكتبوا له، وتحرّكوا في سبيل تحقيق هذا الهدف.

كلّ هذه الحقائق كان يعرفها ويدركها الناس، وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى هذه الحقيقة في بعض خطبه، كخطبته في أصحاب الحر بن يزيد الرياحي حيث قال فيها: ((أيها الناس، إنّ رسول الله ﷺ قال: مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله ﷺ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقُّ ممن غيّر. وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم، أنّكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن أتممتم عليّ بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم، ولكم فيّ أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، فالمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيّعتم، ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته))[1].

---

(١) تاريخ الطبري٤: ٣٠٤.

فهذه الحقائق كانت معروفة في أذهان الناس وعقولهم، وهم يعلمون أنهم أمام مأساة حلّت بالمجتمع الإسلامي، وهي أن يأتي إنسان إلى دفة الحكم الإسلامي ويدّعي أنه خليفة لرسول الله ﷺ ومطبّق لأحكام الإسلام، وهو يقوم بخرق هذه الأحكام والاستهتار بها بشكل علني فظيع، ولكن الموقف العملي تجاهها لم يكن واضحاً عندهم، ولم يعرفوا ماذا يصنعون، ومتحيّرون في اتخاذ الموقف المناسب، ولذلك فمنهم من وقع تحت تأثير الشهوات والإغراءات والأموال والوعود، ومنهم من كان موقفه الاعتياد على سلوك الظلم والذل والخنوع والاستسلام للأمر الواقع، كما حدث بالنسبة لبني إسرائيل في زمن فرعون، ومنهم من تعرّض إلى عمليات التضليل وغسيل الدماغ تحت شعار حرمة الخروج على السلطان مهما بغى وانحرف وتجبّر؛ لأنَّ ذلك شق لعصا المسلمين وخروج على الجماعة، وهناك ممّن يدرك الحكم الشرعي ولكن كان يعتقد ضرورة توفّر القدرة على الحركة، بحيث تنتهي إلى الإطاحة بالحكم وتغييره، وبدون ذلك تصبح الحركة - بنظرهم - بدون هدف، إلى غير ذلك من العوامل الأخرى التي يطول ذكرها.

كل هذه العوامل كانت تُوجِد حالة من الانفصام والتمزّق في موقف الأمّة العملي، فهي من ناحية تدرك حقيقة يزيد وحكمه وأنّه إنسان خارج عن حكم الله والإسلام وليس أهلاً للخلافة، ومن ناحية أخرى تتردّد في اتخاذ الموقف الذي يجب أن تتخذه وتسير عليه في مواجهة هذه الظاهرة.

ولهذا أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يحوّل هذا الفهم النظري للموقف من حكم يزيد إلى موقف عملي ووظيفة شرعية واضحة يُبرّر لهم التحرك والعمل ويفك الحصار عن إرادتهم، وينهي حالة التردد والحيرة في موقفهم.

وقد كان الإمام الحسين عليه السلام الإنسان الأصلح للقيام بهذه المهمة، لما يتمتع به من مواصفات فريدة في عقول الناس وتأريخهم ووجدانهم ومشاعرهم،

والوضوح في طبيعة انتساب موقفه إلى الشرع والإسلام؛ لأنَّ الإمام الحسين عليه السلام هو من أهل بيت النبوة وأقربهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وأكثرهم حرصاً على الإسلام ومعرفة بأحكامه وإدراكاً لظروف الأمّة وأوضاعها السياسية وأوسعهم ارتباطاً في أوساطها.

وهذا الأمر يمكن أن نلمسه بشكل واضح في وصيته الفريدة لأخيه محمد بن الحنفية عند خروجه من المدينة بعد رفضه لبيعة يزيد حيث جاء فيها: ((هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب الى أخيه محمد بن علي المعروف بابن الحنفيّة، أنّ الحسين يشهد أن لا آله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق، وأنّ الجنة والنار حق، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَن في القبور، وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب))[(١)].

ومن الواضح أنّ تثبيت هذا الموقف الشرعي عملياً لا يكفي فيه إعلان الثورة أو بيان الحكم الشرعي ونشره بين الناس، بل يحتاج إلى موقف عملي يتّسم بالبذل والعطاء والتضحية والفداء، ليكون واضحاً بيّناً لا يمكن أن تستره الشبهات أو تشوّهه الشكوك والاحتمالات، وقويّاً لا تقف في وجهه الرغبات والشهوات ومحاولات التضليل.

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.

الهدف الثاني: تحويل الإدراك العقلي إلى إدراك وجداني

إنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكتف بتثبيت الموقف الشرعي وتوضيحه عملياً من خلال موقفه الجهادي، بل اهتمّ بشكل خاص أن يحوّل الإدراك العقلي للأمّة تجاه حكم يزيد وطغيانه إلى موقف وجداني يتّسم بالشعور بالمسؤولية، وذلك من خلال نقل الصورة من العقل والذهن إلى القلب والوجدان، ولا يتم ذلك إلا من خلال إيقاظ ضمائر الناس وهزّ وجدانهم وتحريك مشاعرهم وأحاسيسهم.

فإنّ ضمائر هؤلاء الناس كانت مخدّرة، أو تكاد أن تموت تدريجياً، فالإنسان قد يدرك بعقله أشياء كثيرة وصحيحة، ولكن موقفه ووجدانه وحركته قد تختلف عن ذلك الإدراك الصحيح، وكل إنسان في حياته العملية يتمكن أن يدرك هذا الواقع وهذا الانفصال والإنفصام، فمثلاً يدرك أنّ شرب الخمر حرام ومضر بعقله وصحته، أو أنّ الظلم قبيح، أو أنّ الذل والاستسلام يؤدي إلى الفساد في الأرض، ولكن مع ذلك يرتكب أحيانا هذه الأعمال؛ لأنّ هناك ميولاً وشهوات، وهناك إرادة مفقودة أو أسباباً أُخرى تضغط عليه وتمنعه من الحركة.

لقد كان الناس في زمن الإمام الحسين عليه السلام يعيشون هذه الحالة، فأراد عليه السلام من خلال حركته وثورته أن يقول للناس: إنّ الموقف العملي تجاه الظاهرة اليزيدية هو أن نموت وأن نستشهد ونبذل ونضحّي من أجل الخلاص، كما أراد أن يحرّكهم لهذا البذل والعطاء.

وليس واجب التضحية والفداء لإيقاظ ضمير الأمة مختصا بالإنسان الكبير، بل يشمل الصغير أيضاً، كما أنّه ليس مختصاً بالرجال دون النساء، ولا يختص القتال بالإنسان الذي له أصحاب وأنصار كثيرون، بل يجب حتى مع القلّة من

الأصحاب والأنصار، فيجب على الإنسان أن يقاتل وأن يموت من أجل قضاياه العليا حتى يحيي الحكم الإسلامي ويحقق العدل الآلهي في الأرض.

فحينما يأتي على دفّة الحكم إنسان مثل يزيد يستهتر بالإسلام والمسلمين، ويتصف بكل صفات الرذيلة، فيجب على الناس حينئذ أن يرفضوا هذا الوضع ويتحرّكوا من أجل أن يحطّموا هذا الطاغوت، وهذا الشيء هو الذي أراده الحسين عليه السلام واستهدفه، ولم يستهدف الوصول إلى السلطة، لأنّه كان يعرف مصيره، ولكنه أراد عليه السلام أن يهزّ ضمائر الناس ووجدانهم لا من خلال المنطق والبرهان وحده، بل كان عليه أن يقدم دمه الغالي رخيصاً في سبيل هذا الهدف، وكان عليه أن يقتل ويذبح عطشاناً وبالطريقة المأساوية المعروفة التي شملت الشيوخ والغلمان والنساء والأطفال حتى تتحرّك هذه الضمائر والقلوب والمشاعر.

لقد وجد الإمام الحسين عليه السلام أنّ الطريق الوحيد لهزّ ضمائر الناس وتحريكهم هو أن يضع أمامهم هذه الملحمة التأريخية وهذه المأساة الإنسانية من أجل كشف الحقيقة لهم كشفاً وجدانيّاً من خلال السلوك بأن يضحّي ويبذل كل ما لديه من أجل تحقيق هذا الهدف النبيل. ولم يكن هذا البذل من قبله عليه السلام بذلاً عشوائيّاً، بل خطّط ومهّد له تخطيطاً عظيماً ورائعاً يصبُّ في هذا الهدف الكبير، ونرى معالم ذلك في كل خطواته وحتى النفس الأخير، وأنّ هذا التخطيط ضروري لمثل هذا البذل، إذ مجرد أن يتخذ الإنسان هذا الموقف لا يكفي لتحقيق هذه الهزّة، بل لابد من تغطية سياسية وإعلامية، وتخطيط دقيق ومحكم، وهذا ما فعله الإمام الحسين عليه السلام حيث خطّط في مواقف عديدة من أجل تحقيق هذه الهزة، وقد تحققت بالفعل، ففي السنة الثانية لملحمة كربلاء ثارت المدينة المنوّرة على يزيد فكانت المأساة

الأخرى في واقعة الحرّة التي استباح فيها يزيد مدينة رسول الله ﷺ وقتل خيرة أبناء الأنصار[١]، ثم ثارت مكة بعد ذلك، وتتفاعل هذه الهزّة في ضمير الأمّة وتتوالى الثورات ويثور الثائرون ضد نظام بني أُميّة حتى تمّ أسقاطه[٢].

وبقيت ثورة الحسين عليه السلام ونهضته مشعلاً تحرّك الضمائر بشكل متواصل إلى يومنا هذا؛ لأنّ ثورته وحركته تذكّر الناس بالهدف السامي الذي من أجله ضحّى بنفسه وعياله، وبهذا يكون الإمام الحسين عليه السلام قد حقّق غرضه تحقيقاً كاملاً.

الهدف الثالث: حفظ الخط الإسلامي الأصيل من الانحراف

إن حفظ الخط الأصيل للإسلام هو الهدف الأسمى والأقصى الذي عمل من أجله الأئمّة الأطهار عليهم السلام وشاركوا الحسين في تحقيقه، فقد كان الإسلام في ذلك العصر مهدّداً بالتغيير والتحريف، كما حُرّفت وشُوّهت ديانات سماوية أُخرى.

ولايمكن القول: إنّ الإسلام لّما كان دين الحقّ، ودين منزل من قِبَل الله سبحانه تعالى فلابد أن يبقى، وقد وعد الله تعالى ببقائه وحفظه في قوله:

---

(١) حدثت وقعة الحرَّة في سنة (٦٣هـ) والتي استباح بها مسلم - أو مسرف - بن عقبة المدينة المنوَّرة ثلاثة أيام بأمر من يزيد بن معاوية، تلك المعركة التي كان عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري زعيمها البارز، حيث لم تخضع المدينة بزعاماتها الأنصارية للمسار الأموي... راجع: نيل الأوطار ٧: ٣٤٢، فتح القدير ١: ٥٨.

(٢) كثورة التوابين سنة(٦٥هـ) في الكوفة الذين خرجوا ينادون: يا لثارات الحسين، ثم ثورة المختار في الكوفة سنة (٦٦هـ)، ثم ثورة زيد الشهيد وابنه يحيى. راجع: تاريخ الطبري، وابن الأثير، وابن كثير في ذكرهم حوادث سنة (٦٥، ٦٦، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥هـ).

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، فإنّ ذلك وأن كان حقاً وصحيحاً إلّا أنّ الوعد الآلهي إنّما يتحقّق من خلال السنن والنظام الذي يحكم حركة التأريخ، ومن خلال الأسباب والوسائل التي تؤثر في حركة الجماعة الإنسانية، وقد كان لهذا الدم الشريف الأثر الكبير في تحقيق هذا الوعد والمحافظة على الإسلام والخط الأصيل له بشكل خاص.

فإنّ الديانة اليهودية ديانة سماوية أيضاً جاء بها رسول مبعوث من قبل الله سبحانه تعالى وجاهد من أجل الحق والتوحيد وإقامة المجتمع الإنساني الصالح، ووصلت هذه الديانة إلى الحكم، ولكن بعد ذلك ونتيجة لتغيُّر الظروف ومجيء الطغاة والمحرّفين انحرفت هذه الديانة عن مسارها الصحيح، بحيث إنّ الإنسان لو أراد - الآن - أن يبحث عن الدين والشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام لما تمكن أن يتعرّف على هذه الحقيقة؛ لأنّ معالم تلك الديانة قد ضاعت بشكل لا يتمكن حتى الإنسان الصادق مع ربّه أن يتوصّل إلى معرفتها.

وكذلك الديانة النصرانية مرّت بمثل هذه المأساة أيضاً، فعيسى عليه السلام رسول من قِبَل الله تعالى ومن أولي العزم، وجاهد جهاداً عظيماً، وكان معه أصحاب آمنوا به وبثّوا ديانته، إلاّ أنها تعرّضت فيما بعد إلى التحريف نتيجة لحكم الطغاة والمنحرفين، بحيث لا يمكن لأي إنسان الآن على وجه الأرض مهما كان باحثاً وعالماً صادقاً أن يصل إلى حقيقة الديانة النصرانية التي جاء بها عيسى عليه السلام.

أمّا الديانة الإسلامية فإنّها تتميّز عن هاتين الديانتين بأنّ الحقيقة والذكر

---

(١) الحجر: ٩.

الآلهي فيها بقِيَ محفوظاً على مرّ العصور والأزمان.

صحيح، توجد بين المسلمين جماعات منحرفة عن الإسلام تعتقد باعتقادات تظن أنّها هي الإسلام ولكنّها بعيدة عنه، وفيها تغيير لبعض معالمه، إلّا أنّ الإنسان لو كان صادقاً مع نفسه وأراد إدراك الحقيقة والتعرّف على حقيقة الإسلام، فإنّه يتمكن من الوصول إلى الإسلام الحقيقي الذي جاء به محمد ﷺ.

ولكن كيف حصل هذا الأمر ؟ وما الذي أوصل لنا الإسلام مع الفاصل الزمني الطويل بيننا وبين مصدره؟ خصوصا وأنّه تعرّض أيضاً إلى محاولات تحريف واعتداءات كثير، ويمكن ملاحظة هذه المحاولات الكثيرة في مراجعة للتأريخ الإسلامي سواء في العصر الأول الذي حاول فيه المنافقون القيام بهذا الدور،أم في عصر الأمويين والعباسيين والحركات الأخرى المضادة.

إنّ الشيء الذي كان له الأثر الكبير في المحافظة على الإسلام النقي هو دور أهل البيت عليهم السلام إلى جانب القرآن الكريم، وخصوصاً الدم الشريف الذي بذله الحسين عليه السلام في سبيل ذلك، وبقي نوراً هادياً للمسلمين ومؤشّراً على الانحرافات ومثيراً للأحاسيس والمشاعر ضدها والموقف العملي منها، بل إنّ المحافظة على فهم القرآن فهماً صحيحاً كان بسبب الدور العظيم لأئمّة أهل البيت ولدم الحسين عليه السلام، وقد أكّد أئمّة أهل البيت عليهم السلام على قضية الحسين عليه السلام؛ لأنّهم كانوا يدركون هذا الدور العظيم لها.

وهناك أدلة قاطعة تؤكد وجود هذه الحقيقة حتى في أوساط أولئك الذين لا يلتزمون بإمامة الحسين والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، ويرون فيه أنّه من رجال الإسلام العظام، فالحقيقة عندما تنكشف للناس فإنّها لا تختص بمذهب دون آخر، خصوصاً إذا كان عنوانها وشعارها شمولياً، والهزة الوجدانية تتفاعل مع الفطرة والأحاسيس الإنسانية إذا كانت منطلقة من الحاجات

الإنسانية والوجدان الحي والفطرة النقية، مع قطع النظر عن متبنياتها المذهبية.

وصرخة الحق مدوّية وقوية تصل إلى أعماق النفس البشرية والعقول المدركة والأسماع الواعية، ولا يمكن أن تحدّها الأغلال والقيود المصطنعة، فكيف إذا كانت هذه الحقيقة وهذه الهزّة والصرخة مرتبطة بالنبي وعلي والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام.

وهناك بعض الظواهر البارزة المؤشرة على تفاعل عامة المسلمين مع قضية الحسين عليه السلام:

منها: ظاهرة اتفاق جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم بأنّ الموقف الحسيني كان يمثل موقفاً إسلامياً شرعياً، وأنّ يزيد كان مرتدّاً ومتمرّدا على الإسلام والشرع والموازين الدينية.

وهذه الظاهرة ثابتة في التأريخ الإسلامي من خلال الاحترام والتقديس لهذا الموقف والدم الطاهر بالرغم من استمرار الحكم الأموي بعد يزيد لعشرات السنين وبشكل قوي وفعّال، وبالرغم من وجود بعض الروايات الموضوعة على لسان النبي صلى الله عليه وآله أو المتبنيات الفقهية لبعض الأدعياء.

ومنها: تحرّك المجتمع الإسلامي بعد نهضة الحسين عليه السلام بقوة لم تتمكن من السيطرة عليها أو مواجهتها جميع محاولات القمع الأموي حتى انتهى الأمر بالمسلمين أن يتمكنوا من إسقاط الحكم الأموي إلى الأبد.

ومنها: بقاء الرأي الفقهي الذي يربط أصل مشروعيّة الحكم الإسلامي بالعلم والاجتهاد وانتخاب الأمّة أو النص من المعصومين بالرغم من أنّ الحكم الإسلامي من الناحية الواقعية في القرون المتوالية له كان يتم بطريقة أخرى وعلى أساس الوراثة تقريباً، الأمر الذي يعني أنّ هناك عاملاً مهماً ومؤثراً في المجتمع الإسلامي كان قادراً على أن يحفظ هذه

الرؤية الصحيحة للحكم الإسلامي، وهذا العامل لا يمكن أن يكون مجرّد الفتاوى التي كان يصدرها الفقهاء؛ لأنّهم تعرّضوا للتحريف أيضاً. وكانوا يخضعون في كثير من مواقفهم إلى الضغوط أو الإغراءات.

صحيح إنّ بعض الآراء الفقهية تقبل نظرية التسليم والطاعة للحكم الجائر والمنحرف، إلّا أنّ هذه الآراء أيضاً - فضلاً عن غيرها - بقيت تؤكد على أنّ هذه الحالة استثنائية لمعالجة الموقف الشاذ.

ومنها: إنّ جميع العصور الإسلامية لم تخلُ من المحولات البطولية التي كان يقوم بها الثوّار والمصلحون لمواجهة الظلم والانحراف الذي يصدر من الحكّام، وهذه المحاولات وإن كانت تستمد حيويتها من الفطرة الإنسانية، إلّا أنّ الغطاء الشرعي والوقود الإنساني لها كان يتمثّل بالثورة الحسينية.

وكانت هذه المحاولات - بالرغم من عمليات القمع - تسجّل انتصارات كبيرة على المستوى السياسي، ولكن انتصارها الأكبر أنّما هو في الواقع الفكري والوجداني والثقافي والأخلاقي للأمّة وفي استمرارها الواعي والمدرك للحقائق الآلهية.

لقد كان من الممكن أن تتغير كل معالم الإسلام بسبب الظروف القاسية التي تعرّض لها المجتمع الإسلامي ويصلنا شيء آخر بعيد عن الإسلام تمام البعد ويتحول إلى صيغة مشوّهة، كما نرى ذلك في بعض المذاهب الشاذة في الفقه الإسلامي، ولكن ببركة دم الإمام الحسين عليه السلام وببركة هذه الدفعة التي كان لها تأثير على كل الساحة الإسلامية والتأريخ الإسلامي بقي الإسلام محفوظاً من هذا الخطر العظيم، وكان محور هذه الحركة هو الخط الأصيل للإسلام، خط أهل البيت عليهم السلام الذي وصلنا ببركة هذا الدم الشريف.

هذا هو التفسير الصحيح للنهضة الحسينية والذي نراه منسجماً مع حركة الحسين عليه السلام منذ البداية وحتى استشهاده.

الفصل الرابع

دور النهضة الحسينية في إيقاظ الضمير وتحرير الإرادة

لقد كان لحركة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته دور كبير في أن تملك الأمة إرادتها وإن تتحرك بالاتجاه الصحيح، حيث نجد بعد عام من ثورته عليه السلام أن المدينة المنورة تثور على يزيد، وتطرد واليه وجميع الأمويين، بحيث يضطرون للجوء إلى الإمام زين العابدين عليه السلام لحمايتهم، ولا يتمكن أن يصنع يزيد شيئاً أمام هذه الثورة، حتى يبعث بجيش الشام للقضاء عليها، في حين أن المدينة لم تكن مستعدة لاحتضان ثورة الحسين عليه السلام قبل عام، بحيث يضطر عليه السلام إلى الخروج منها لمكة، ومن ثم إلى الكوفة. وفي السنة الثانية تثور مكة المكرمة على الطاغية يزيد، فيقوم المجرم بعمل وحشي وهو هدم الكعبة الشريفة بعد محاصرتها لفترة من الزمن، وتتوالى الثورات حتى ظهرت ثورة (التوابين)، والتي تعتبر أثراً مباشراً لثورة الحسين عليه السلام حيث كانت شعارات الثائرين (يا لثارات الحسين)، وقد تمكنت من زعزعة الجيش الأُموي وطرده من الكوفة. ثم أعقبتها ثورة المختار الذي قام من أجل الثأر لدماء الحسين عليه السلام، وتمكن من عمل عسكري مهم، وهو القضاء على الجيش الأموي وقتل عبيد الله بن زياد الذي كان يقوده، وعمل سياسي، وهو تصفية الكوفة من جميع قتلة الحسين عليه السلام ومن أنصار الأمويين.

وقد استمرّ هذا التحرك والرفض في الأمة حتى تمت الإطاحة بالحكم الأموي بعد عدة عقود من الزمن.

لقد وصل وعي الأمة ويقظة الضمير فيها وقوة الإرادة لديها إلى درجة لم تسمح فيه بقيام الحكم (القيصري) أو (الكسروي) مهما تجبّر الحاكم واستهتر أو ارتكب من الظلم والجرائم، حيث كان يواجه في كل هذه الحالات بالرفض، والمطالبة من الأمة بتطبيق حكم الإسلام وتحقيق العدل في صفوفها.

والشواهد التأريخية على هذه الحقيقة كثيرة، يجدها الباحث في حركات

المقاومة في عصر العباسيين والعثمانيين، كما نجدها أيضاً في هذا الإجماع المطلق لدى الأمة بقبول وتمجيد ثورة الحسين عليه السلام بالرغم من محاولات الأمويين وأزلامهم وأتباعهم تشويه خلفيات هذه الثورة أو التشكيك في شرعيتها ومبرراتها.

ومن الواضح أن موت الضمير وفقدان الإرادة، هذين المرضين الخطيرين ينعكس احدهما سلباً على الآخر، فان موت ضمير الإنسان والطبع على قلبه يصيبه بالعمى والجهل ويجعله غير قادر على فهم الأشياء ومعرفتها ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾[1]، وبالتالي يفقد الإنسان إرادته، وكذلك التمادي في فقد الإرادة والحيرة والضياع يؤدي إلى قسوة القلب ومرضه، وبالتالي موت الوجدان والضمير لدى الإنسان.

ومن هنا سنبحث الضمير والإرادة وما يرتبط بهما من بحوث:

أ) الضمير

إنَّ كلمة الضمير تتكرر كثيراً في الأحاديث الاجتماعية والسياسية، فيقال: إنّ فلاناً عنده ضمير، وفلاناً لا ضمير له، وفلاناً مات ضميره، وفلاناً ضميره حي وواعٍ.

الضمير: هو الوجدان أو ذلك الشيء الذي يتحدّث عنه القرآن الكريم في آيات ومجالات كثيرة ويسمّيه (القلب)، الذي ينسب إليه أو يصفه بالعمى والمرض والتشتت والرعب والإثم والريب والرين والقسوة واللهو، وغير ذلك من صفات السوء والمرض، كما يصفه بالفقه والتقوى والاطمئنان والثبات والإيمان والطهارة والرأفة والرقّة والخشوع والهداية، إلى غير ذلك

---

(١) التوبة: ٨٧.

من صفات الصحة والحسن والكمال.

ويربط القرآن الكريم مصير الإنسان وحياته الذاتية والاجتماعية والدنيوية والأخروية بحركة هذا القلب والأوضاع والحالات التي يعيشها أو يتصف بها، وذلك في عشرات من الآيات الكريمة، ويشير إلى أدوار مختلفة ومتعددة تمر بها حركة القلب، وتتأثر حياة الإنسان صعوداً ونزولاً بهذه الأدوار.

ولا يبعد أن يكون المراد من القلب (الضمير) الجانب الروحي الذي خلقه الله تعالى في الإنسان، والذي تتمركز فيه مجموعة الصفات والأفعال الداخلية، والتي تتأثر بالإرادة والاختيار صعوداً ونزولاً وتكاملاً وتسافلاً، والتي تكون قابلة للتطور والنمو والتربية، حيث خلق الله سبحانه وتعالى في الإنسان اتجاهاً طبيعياً نحو الإيمان به، وأدراك حسن الكمالات، كالخير، والعدل، والإحسان، ولكن هذا الاتجاه قابل للتغيّر والاختلاف والانحراف، أو التكامل؛ بسبب الأفعال الإرادية التي يقوم بها الإنسان، أو بسبب المؤثرات الخارجية.

وهذا هو ما يمكن أن نطلق عليه بـ(الفطرة الإنسانية) التي تكون قابلة للتغيّر والاختلاف والتطور، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وروي عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: ((ما من مولود يولد إلّا على الفطرة فأبواه اللذان يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه))[2].

كما أنّ هذا الاتجاه يسميه الحكماء والفلاسفة بـ(العقل العملي)، حيث

---

(١) الروم: ٣٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه٢: ٤٩، ح١٦٦٨.

يقسّمون العقل والإدراك لدى الإنسان إلى قسمين:

١. العقل النظري: وهو عبارة عن الخصوصية التي أودعها الله تعالى في الإنسان، والتي تمكّنه من إدراك حقائق الأشياء الثابتة في الواقع الموضوعي الخارجي، سواء كانت مادية أم غيبية، أي: هذا الشيء الذي يستطيع الإنسان من خلاله إدراك حقيقة وجود الله سبحانه وتعالى، وإدراك النظام الكوني وعلاقات الأسباب بعضها بالبعض الآخر، وكذلك معالم هذا الكون والحياة وكيف يسيّر حياته عليها.

٢. العقل العملي: وهو قسم آخر من مدركات العقل يسميه العلماء بـ(العقل العملي)، أي: تلك الأحاسيس والمشاعر التي أوجدها الله سبحانه وتعالى في هذا الإنسان وأودعها فيه، وجعلها هادية له في مسيرة حياته، بحيث يتمكن هذا الإنسان من خلال تلك المدركات والتوجهات والمشاعر أن يميّز بين الحسن والقبيح، وما يحسن به أن يفعله ويعمله، وما لا يحسن ويقبح له أن يقوم به.

فمثلاً إدراك الإنسان لقبح الظلم يعتبر إدراكاً من العقل العملي، فالله سبحانه وتعالى أودع في ضمير الإنسان حالة وجدانية معينة يمكن أن يميز بها بين نوعين من (الضرب) فمثلاً:

أ. ضرب اليتيم من قبل وليه لتأديبه وتعليمه وهدايته.

ب. ضربه للانتقام منه والتشفي وفرض السيطرة عليه وإخضاعه.

فالأول يكون حسناً بإدراك الإنسان العاقل، بخلاف الثاني الذي يدرك العقل قبح هذا الفعل(الضرب).

وبنفس هذا الإدراك يستنكر الإنسان (الخيانة) ويستحسن (الأمانة)، بغض النظر عن الشريعة وأحكامها، أي: حتى أُولئك الذين لا يلتزمون بشريعة أو

حكم شرعي نجد في وجدانهم هذا الرفض للظلم والخيانة.

فمركز هذه المشاعر والأحاسيس التي أودعها الله في فطرة الإنسان تسمى بـ(الضمير)، ويكون دوره في حياة الإنسان دور الهادي والمحرّك، أو الطاقة التي تدفع الإنسان بالاتّجاه الصحيح، ودور الإحساس والشعور بالمسؤولية والتفاعل مع الأحداث من خلال الحق والعدل والإنصاف، ولكن عندما يموت هذا الضمير، أي: عندما يفقد الإنسان المحرّك الذي يحرّكه أو يوجّهه بالاتّجاه الصحيح، يصبح شأنه في حياته شأن السفينة في مهبّ الرياح وهي في وسط البحر المتلاطم، دون أن يكون لها محرّك أو شراع يوجهها نحو الاتجاه المطلوب، بل قد يتحول هذا الضمير - عندما يموت ويقسو أو يمرض - إلى أداة توجيه مضاد، وتخضع حياة الإنسان حينئذ إلى الغرائز والشهوات والانفعالات الآنية.

أسباب موت الضمير

إن مرض القلب ليس شيئاً أصيلاً في الإنسان، فالله سبحانه وتعالى خلقه طاهراً زكياً نقياً، ولكن الإنسان بسوء اختياره يصاب بهذا المرض المميت بالمعنى الحقيقي للموت، فالإنسان قد يصاب بمرض ويموت، لكن هذا ليس هو المعنى الحقيقي للموت؛ لأنّ وراءه الدار الآخرة، وهناك قد يكون وضعه أفضل من وضعه في الحياة الدنيا، أما عندما يصاب بمرض القلب فهذا هو المرض المميت، الموت الحقيقي الذي يجعله يخرج عن إنسانيته ويتحوّل إلى وحش، وبالتالي سوف يُعامل في الدار الآخرة أشدّ مما تعامل الوحوش الكاسرة، باعتبار أن هذا الإنسان بإرادته اتجه نحو التسافل والانحدار.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الأسباب التي تؤدي إلى الإصابة بهذا المرض، منها:

السبب الأول: انهيار القاعدة الأخلاقية

يعتبر انهيار القاعدة الأخلاقية واختلال موازينها وضبطها سبباً رئيسياً لموت الضمير، وفي مقدمة مؤشرات هذا الانهيار هو: التمرُّد على الله سبحانه وتعالى، الذي هو أحد الأسباب الرئيسية التي تؤدي بالإنسان إلى قسوة القلب وموت الضمير؛ لأنَّ هذا التمرد يعبِّر عن نقض العهود والمواثيق التي أخذها الله تعالى على الإنسان عند خلقه، ويعبِّر عن كفران النعمة بدل شكرها، ويعبِّر كذلك عن التخلي عن تحمل المسؤولية للاستخلاف حيث جعل الإنسان خليفة له، وخيانة الأمانة التي تحملها الإنسان، إلى غير ذلك من المعاني الأخلاقية.

فالإنسان الذي لا ينسجم في سلوكه وتصرفاته مع الأحكام والحدود الشرعية ولا يطبِّق حكم الله ولا ينعكس إيمانه بالله تعالى على أعماله والتزاماته يصاب بقسوة القلب، وقد ينتهي به الأمر في مسيرة التسافل والتمرد إلى الكفر بالله تعالى كما هو الحال في المنافقين، حيث إن النفاق على درجات، يبدأ من التمرد وعدم الطاعة والالتزام ونقض العهود والمواثيق، وقد ينتهي بممارسة الظلم والكذب والخديعة والبخل وأكل المال بالباطل، وهتك الحرمات والمتاجرة بالمقدسات وعدم الشعور بالمسؤولية واللامبالاة والشعور بالتعب والملل[1].

---

(١) إن هذه الظواهر وأمثالها هي ظواهر اجتماعية مترتبة على موت الضمير وفقدان الإرادة، والبحث فيها واسع تناولته الكتب الأخلاقية، وكتب الحديث في جانبها السيئ، أو الايجابي الحسن والتي تكون نتيجة لحياة الضمير وقوة الإرادة، مثل: العدل، والإحسان، والصدق، واحترام حقوق المؤمنين والناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر، والتضحية، والإيثار.. **(منه قدس سره)**.

وإذا لاحظنا حديث القرآن الكريم عن الطبع على القلب وقسوته ومرضه وأسباب ذلك، وحديثه عن المنافقين الذين يصفهم مع الكافرين والمتمردين بهذه الأوصاف، نجد أنَّ هذا الحديث يقترن دائماً بموضوع التمرد على الله تعالى في المنافقين، وفي تكذيب آياته في الكافرين والمشركين، فمثلاً عندما يتحدث القرآن الكريم عن مسيرة بني إسرائيل التي انتهت بهم إلى قسوة القلب يستعرض مجموعة من المخالفات ومظاهر التمرد على الله تعالى، كاتخاذهم العجل آلهاً، أو تبديلهم الكلام الذي أمرهم الله أن يقولوه عند دخولهم الباب، أو عدم صبرهم على الطعام الواحد، وقتلهم الأنبياء والعصيان ونقضهم الميثاق وعدوانهم في السبت، وموقفهم في قضية البقرة حيث يختم القرآن الكريم هذا الاستعراض بقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]، ثم يستعرض القرآن الكريم الآثار التي تترتب على قسوة القلب ومرضه.

وكذلك عندما يتحدث القرآن الكريم عن المنافقين في سورة التوبة ويذكر مظاهر تمردهم وتخلّفهم عن طاعة الله، وما يفرضه الواجب الشرعي والمسؤولية الاجتماعية تجاه حركة الأمة والجماعة، يعقب على ذلك بمثل هذه الآيات الكريمة: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[2].

قال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا

---

(١) البقرة: ٧٤.

(٢) التوبة: ٤٥.

وَعَدُوهُ وبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾[١].

قال تعالى: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَيَفْقَهُونَ﴾[٢].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٣].

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[٤].

إلى غير ذلك من الموارد القرآنية الأخرى.

ولعل من الآيات الواضحة التي تعبر عن هذا السبب هو ما جاء في سورة الحديد من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٥].

ولعل سورة الحديد من أروع السور القرآنية التي خصصت تقريباً لمعالجة هذا المرض في المجتمع الإسلامي.

كما أنَّ القرآن الكريم يربط حالة الزيغ عن الحدود الشرعية بزيغ القلب وانحرافه، ويتضح ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ

---

(١) التوبة: ٧٥.

(٢) التوبة: ٨٧.

(٣) التوبة: ٩٣.

(٤) التوبة: ١٢٥.

(٥) الحديد: ١٦.

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١].

وهناك قضايا رئيسية وأساسية ترتبط بحركة المجتمع ولها تأثير كبير في موضوع مرض القلب وقسوته، يأتي في طليعتها - كما يظهر من القرآن الكريم - قضية الجهاد في سبيل الله والاستعداد للتضحية بالنفس والمشاركة في القتال، وقضية بذل الأموال والإنفاق في سبيل الله، حيث يكون التخلّف عن ذلك سبباً لمرض القلب، وقضية الطاعة لولي الأمر في الأوامر التي يصدرها لإدارة العملية الاجتماعية والسياسية للجماعة الإسلامية، حيث يفتح التمرّد في هذه المجالات بشكل خاص باب النفاق ومرض القلب ومن ثم قسوته.

ولاشك أنّ المخالفة تارة تكون حالة طارئة تنشأ من بعض عوامل الضعف الإنساني فتلم بالإنسان بشكل مؤقت، وبالتالي تستتبعها حالة التوبة والندم والإنابة إلى الله تعالى، فهي لا تدلل على مرض القلب، وليس لها الأثر السيئ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢].

وأخرى تكون المخالفة تعبيراً عن حالة التمرّد والعصيان والإصرار على المعصية واللامبالاة بها، فهذه هي الحالة الخطيرة التي تنتهي بالإنسان أو الجماعة إلى موت الضمير ومرض القلب وقسوته[٣].

---

(١) الصف: ٥.

(٢) الأنعام: ٥٤.

(٣) لابدّ لنا أن ننتبه إلى أنه كلما ارتكبنا شيئاً نهى عنه الله سبحانه وتعالى، أو كلما ابتعدنا عن شيء أمر به الله سبحانه وتعالى، نكون قد اقتربنا من حالة مرض القلب، لأن ارتكاب الذنوب، وترك الواجبات، يمثل حالة من حالات التمرّد عليه سبحانه وتعالى، غاية الأمر أنّ هذا المرض قد يكون مرضاً شديداً، وقد يكون خفيفاً يمكن علاجه. فارتكاب الذنب والجرم والتمرُّد على الله سبحانه وتعالى بأي لون من ألوان التمرّد يؤدي بالإنسان إلى الإصابة بمرض القلب، وقد ←

السبب الثاني: حب الدنيا

يعتبر حب الدنيا والانغماس في شهواتها ولذّاتها، والحرص على زخارفها، واللهو بالأموال والأولاد عن ذكر الله والدار الآخرة سبباً مهماً لموت الضمير، وقد تحدّث القرآن الكريم في موارد كثيرة عن تأثير هذا السبب في مرض القلب وطريقة معالجة ذلك، منها:

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ

يستحكم هذا المرض في قلبه فيتحول بالتدريج إلى شمر بن ذي الجوشن وأمثاله ممن قد نستغرب ونتعجّب من أفعاله التي ارتكبها والتي ارتكبها آخرون قد لا يكون لهم هذا الاسم ولكن تكون لهم هذه الأفعال وما يشبهها. (**منه** رحمه الله).

(١) الجاثية: ٢٣ - ٤٢.

(٢) محمد: ١٦.

(٣) النحل: ١٠٧ - ١٠٨.

بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۝ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[١].

ولعل هذا المشهد الذي يتحدّث فيه القرآن الكريم عن مصير المنافقين يوم القيامة يجسّد لنا صورة تأثير حب الدنيا في النهاية المأساوية التي تصيب مرضى القلوب وما يلاقونه في الدار الآخرة من عقاب.

كما تحدّثت النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال، منها:

ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: ((حب الدنيا رأس كل خطيئة))[٢].

ووعظ علي عليه السلام بعض أصحابه قائلاً: ((...فارفض الدنيا فإن حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب، فتدارك ما بقي من عمرك ولا تقل غداً وبعد غد، فإنما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأماني والتسويف حتى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون))[٣].

كما ورد عنه عليه السلام في وصف أثر حب الدنيا على قلب الإنسان قوله: ((ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط قلبه منها بثلاث: هم لا يغبُّه، وحرص لا يتركه، وأمل لا يدركه))[٤].

ووصف الفسّاق وأهل الدنيا وتأثير سلوكهم على قلب الإنسان بقوله: ((أقبلوا على جيفة افتضحوا بأكلها، واصطلحوا على حبها، ومن عشق

---

(١) الحديد: ١٣ - ١٤.

(٢) الخصال: ٢٥، ح ٨٧.

(٣) الكافي٢: ١٣٦، ح٢٣.

(٤) نهج البلاغة٤: ٥١، حكمة ٢٢٨.

شيئا أعشى بصره، وأمرض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأذن غير سميعة قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، وولهت عليها نفسه، فهو عبد لها، ولمن في يده شئ منها، حيثما زالت زال إليها وحيثما أقبلت أقبل عليها. ولا يزدجر من الله بزاجر، ولا يتعظ منه بواعظ. وهو يرى المأخوذين على الغرة حيث لا إقالة ولا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون، وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون، وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون..))(١).

ولعل من أهم مقاصد الدين هو معالجة هذا السبب، وذلك من خلال أساليب الموعظة والتحذير وبيان الدور الحقيقي للحياة الدنيا وموازنتها بالحياة الآخرة، وقد اشتمل القرآن الكريم على المئات من الآيات الكريمة التي تناولت هذا الموضوع وفي مختلف أدوار نزوله.

ومن الأمثلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ

---

(١) نهج البلاغة١: ٢١١ الخطبة١٠٩.

(٢) آل عمران: ١٤ - ١٥.

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۞ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٤).

وهذا الحب للدنيا وإن كان غريزة في نفس الإنسان ولكن عالجه القرآن الكريم والدين الحنيف من خلال إثارة عوامل التقوى والورع، ومن خلال التعويض عن التضحية بثواب الآخرة ورضوان الله، ومن خلال التقييم الصحيح لدار الدنيا، قال تعالى:﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾(٥).

---

(١) الحديد: ٢٠ – ٢١.

(٢) المنافقون: ٩.

(٣) التوبة: ٢٤.

(٤) المجادلة: ٢٢.

(٥) الرعد: ٢٦.

قال تعالى: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[(١)].

قال تعالى: ﴿وما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[(٣)].

وأمثال هذه الآيات الكريمة.

ثم إنَّ هذا السبب قد يتحول إلى حالة خطيرة حين تتعرض الجماعة بأكملها إلى خطر موت الضمير عندما تتوفّر لها بشكل عام أسباب الترف والدعة وتنفتح عليها أبواب الثروة والأموال والرخاء. وهذا ما واجهته الأمة الإسلامية في الصدر الأول للإسلام، فإنَّ شهوات الدنيا وزينتها لم تصبح قاصرة على فئة معينة ومحدودة من الناس، بل أصبحت في متناول عموم الجماعة الإسلامية بسبب الفتوحات وتدفّق الأموال الهائلة عليهم بسبب هذا الفتح.

لقد كان المسلمون في السابق جماعة من الفقراء يعيشون حالة صعبة وقاسية فيها الكثير من شظف العيش والحرمان، فإذا بهم تنفتح عليهم بلاد كسرى وقيصر وتقع بأيديهم أرض السواد والشام ومصر وأفريقيا، وتتهيّأ لهم الوسائل المختلفة للعيش المرفّه وأساليب الترف الجديدة، وأصبحت أمامهم فرص واسعة لم يعرفوها من قبل، فهذا الإنسان الذي لم يكن يستطيع عدَّ الأشياء بأكثر من الألف، ولم يكن يتصور أنَّ هناك عدداً أكبر من الألف، وإذا به يملك الملايين من الأموال ولا يعرف كيف يتصرف بها، حتى أنَّ بعض الصحابة أخذ يملك من الذهب

---

(١) التوبة: ٣٨.

(٢) آل عمران: ١٨٥.

(٣) الإنعام: ٣٢.

كميات كبيرة تكسّر بالفؤوس مثل عبد الرحمن بن عوف[١]، أو أنَّ بعضهم كان قد أقتطعه الخليفة خراج أفريقيا بأكمله، أو خمس غنائمها مثل مروان بن الحكم[٢].

إن مثل هذه الأوضاع الاجتماعية والسياسية تحولت إلى مرض اجتماعي خطير في غياب التخطيط الاقتصادي الصحيح، والتوجيه التربوي والأخلاقي السليم، أو التوزيع العادل الذي يقوم على أساس المقاييس القرآنية من العلم والتقوى والجهاد والحاجة.

لقد أصبحت الحالة تشبه إلى حدٍّ كبير الحالة التي يعيشها بعض المسلمين في أيامنا المعاصرة عندما انفتحت عليهم أبواب النفط، وأصبحت الأموال تأتيهم من كل جانب ومكان، وأخذوا يتصرّفون فيها بعقلية الترف

---

(١) ذكر بن سعد في الطبقات الكبرى: ((ترك عبد الرحمن بن عوف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة بالبقيع ومائة فرس ترعى بالبقيع، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً، وكان يدخل قوت أهله من ذلك سنة... وكان فيما ترك ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه، وترك أربع نسوة فأخرجت امرأة من ثمنها بثمانين ألفا..)). الطبقات الكبرى٣: ١٣٦.

(٢) قال العلامة المجلسي في بحاره: ((... وروى الواقدي، عن أسامة بن زيد، عن نافع مولى الزبير، عن عبد الله ابن الزبير، قال: أغزانا عثمان سنة سبع وعشرين افريقية فأصاب عبد الله بن سعد بن أبي سرح غنائم جليلة، فأعطى عثمان مروان بن الحكم تلك الغنائم. وروى الواقدي، عن عبد الله بن جعفر، عن أم بكر بنت المسور، قالت: لما بنى مروان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه - وكان المسور ممن دعاه - فقال مروان - وهو يحدثهم: والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهما فما فوقه. فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكت كان خيرا لك، لقد غزوت معنا افريقية وأنك لأقلنا مالا ورقيقا وأعوانا وأخفنا ثقلا، فأعطاك ابن عمك - يعني عثمان بن عفان - خمس افريقية وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين)) بحار الأنوار ٣١: ٢٢١، باب٢٥.

والإسراف والتبذير، الأمر الذي أدّى بهم أن يصابوا بحالة مشابهة لحالة المسلمين الأوائل، وهي حالة مرض القلب وموت الضمير.

والقرآن الكريم يشير إلى هذا المرض الخطير والأوضاع الاجتماعية التي تنشأ منه عند حديثه عن الأمم السابقة وكأنّه يتحدث عن هذه الأمة الخاتمة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۞ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ۞ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[2].

هذا هو الشيء الذي أصيب به أولئك الذين قاتلوا الحسين عليه السلام، فقد ماتت ضمائرهم وقست قلوبهم، حتى كأن الله لم يجعل في قلب أحد منهم من الرحمة شيئا، فهؤلاء لم يرجعوا إلى الله فسدّ عليهم باب رحمته وهدايته، فأعطاهم الأموال الزائلة والجاه المؤقت، ولكنه سبحانه وتعالى أخذهم - بعد ذلك - بغتة فإذا هم مبلسون متحيرون قد خسروا الدنيا والآخرة، وبقيت تلاحقهم لعنة التأريخ وعذاب الله الأليم في اليوم الآخر.

ولا يمكن لأمة أن تتغير إلّا إذا تنازلت عن حب الدنيا وزخارفها، وارتبطت بالقيم الصالحة والمثل الرفيعة، وكان حبها لله ولرسوله وللإسلام هو الحب الأشد والأقوى من كل حب، واستجابتها له أقوى من كل

---

(١) الأنعام: ٤٢ - ٤٤.

(٢) الأعراف: ٩٤ - ٩٥.

استجابة، والجهاد في سبيل الله وبذل النفس والمال من أجل الله والدفاع عن المظلومين والمستضعفين هي دعوة الله والرسول إلى المؤمنين لما فيه حياتهم وصلاحهم، كما يفهم ذلك من سياق الآيات.

السبب الثالث: نسيان الله

إن نسيان الله وما يتشعب عن هذا النسيان من القضايا، كالغفلة عن الدعاء والصلاة، وعن نعمه وما تفضل به على الإنسان تجعل الإنسان في معرض الإصابة بهذا المرض الروحي، وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع الى هذه الحقيقة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١].

فنسيان الله سبحانه وتعالى يؤدي بالإنسان إلى الخروج عن كونه ذلك المرئي من قبل الله، وعن كونه ذلك المتفضّل عليه من قبل الله، فيصبح إنساناً آخر غير الذي خلقه الله سبحانه وتعالى لغايات وأهداف معيَّنة.

السبب الرابع: إيذاء الصالحين

يعتبر إيذاء الصالحين من عباد الله سبحانه وتعالى من أسباب الابتلاء بهذا المرض.

مظاهر موت الضمير في عاشوراء

لقد كانت ظاهرة موت الضمير هي المظهر البارز لمأساة يوم عاشوراء وأحداثه، والطريقة الوحشية والمعاملة القاسية التي استخدمها عبيد الله بن زياد وقادة الجيش اليزيدي مع الحسين وأصحابه وأهل بيته، وخصوصاً مع

---

(١) الحشر: ١٨ - ١٩.

الأطفال والنساء والعاجزين.

وهذا الأمر أثار استنكار عدد واسع من أفراد الجيش اليزيدي أنفسهم، وعبروا عنه أحياناً بالانضمام إلى جيش الإمام الحسين عليه السلام، كما صنع الحر بن يزيد الرياحي - وهو احد أربعة رئيسيين كانوا مسؤولين عن قيادة الجيش - وعدد آخر من الإفراد.

وكان التعبير عن ذلك أحياناً أخرى بالكلام والحديث، كما ينسب ذلك إلى شبث بن ربعي وبعض العناصر الأخرى، وأحياناً أخرى يتم التعبير بالبكاء وعدم المشاركة الفعالة في القتال والتزعزع في الموقف، كما هو الموقف العام في قضية أبي الفضل العباس وقتل الحسين عليه السلام.

ومن خلال الملاحظة الدقيقة للأحداث، يبدو أن هناك مجموعة من العناصر الفاسدة المجرمة من قساة القلوب وميتي الضمائر وقادة الجيش، كانت هي التي ترتكب الأعمال الإجرامية وتحث عليها، ويقع فاقدو الإرادة تحت تأثيرهم وتأثير الجو العام للصراع والحالة العامة التي يعيشها الناس، لاننا نجد أن أسماء كانت تتكرر في الأحداث أمثال شمر بن ذي الجوشن، وحجار بن ابجر، والحصين بن نمير، وعمرو بن الحجاج، وسنان بن انس، وحرملة بن كاهل، وقيس بن الأشعث، وهاني بن شبيب، وعزرة بن قيس، وبحر بن كعب، وكثير بن عبد الله الشعبي، وحكيم بن الطفيل، وغيرهم وبعض الجلاوزة الآخرين الذين كانوا يحيطون بهم.

ولكن الجو العام في الأمة كان يعبّر أيضاً عن وجود هذا المرض، حيث نلاحظ أن الإمام الحسين تحدث عن هذا الجو العام عندما خطب أصحابه بعد أن توضَّحت معالم المعركة، وتمخضت الأوضاع السياسية عن المواجهة بين عبيد الله بن زياد وجيشه، والحسين عليه السلام والنخبة الصالحة معه، حيث

اقبل الحسين عليه السلام على أصحابه فقال: ((قد نزل من الأمر ما قد ترون، وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، واستمرت جدا فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يعمل به وان الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا، فاني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما))[١].

وبالرغم من أن الطابع العام لمأساة يوم عاشوراء يعبر عن ظاهرة موت الضمير بشكل خاص، ولكن هناك بعض المواقف ذات تعبير أبلغ وأوضح في التعبير عن هذه الظاهرة نشير إلى عدد منها:

١. الجانب الإنساني

قطع الماء عن الحسين وأهل بيته عليهم السلام منذ اليوم السابع من المحرم مع شدة الحر وحدّة المعركة، وقد كان الحسين يستغيث يوم عاشوراء من العطش في عدة مواضع ويطلب الماء ولو من أجل الأطفال والنساء، فلم يجيبوه حتى في حالة الاحتضار.

فقد أنزل عمر بن سعد الخيل على الفرات وحالوا بينه وبين سيد الشهداء، ولم يجد أصحاب الحسين طريقاً إلى الماء حتى اشتدّ بهم العطش، فاخذ الحسين فأساً وخطا وراء خيمة النساء تسع عشرة خطوة نحو القبلة، وحفر فنبعت له عين ماء عذب فشربوا ثم غارت العين ولم ير لها أثر، فأرسل ابن زياد إلى ابن سعد: ((بلغني أن الحسين يحفر الآبار ويصيب الماء فيشرب هو وأصحابه، فانظر إذا ورد عليك كتابي فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت، وضيق عليهم، ولا تدعهم يذوقوا الماء))[٢]، فبعث في الوقت

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٤ :٣٠٥، تاريخ مدينة دمشق١٤: ٢١٧، سير أعلام النبلاء٣: ٣١٠، باختلاف يسير فيما بينهم.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٨، باب ٣٧، مقتل العوالم: ٢٣٨.

عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس ونزلوا على الشريعة.

وبقي الأمر على هذا الحال حتى مصرعه عليه السلام، ولعل اشد الصور فضاعة في هذا المجال هي: صورة قتال علي الأكبر وطلبه للماء ومقتله، وكذلك قتال العباس من أجل الماء، ومقتل الطفل الرضيع، ومصرع الحسين نفسه.

روى هلال بن نافع قال: ((إني كنت واقفا مع أصحاب عمر بن سعد (لعنه الله) إذ صرخ صارخ: أبشر أيها الأمير فهذا شمر قتل الحسين عليه السلام، قال: فخرجت بين الصفين فوقفت عليه وإنه ليجود بنفسه، فوالله ما رأيت قط قتيلاً مضمخاً بدمه أحسن منه ولا أنور وجها، ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيئته عن الفكرة في قتله، فأستسقى في تلك الحال ماء، فسمعت رجلا يقول: والله لاتذوق الماء حتى ترد الحامية فتشرب من حميمها، فسمعته يقول: يا ويلك أنا لا أرد الحامية ولا أشرب من حميمها، بل أرد على جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وأسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأشرب من ماء غير آسن، وأشكو إليه ما ارتكبتم منى وفعلتم بي.

قال: فغضبوا بأجمعهم حتى كأن الله لم يجعل في قلب واحد منهم من الرحمة شيئا))[1].

٢. الجانب الأخلاقي

نقض العهود والمواثيق من قبل الزعماء وقادة الجيش الذين كتبوا إلى الحسين عليه السلام يبايعونه ويحرضونه على المجيء إلى الكوفة، لكنهم بعد أن قبضوا الأموال والرشاوى انقلبوا في موقفهم السياسي.

وهذا ما أشار له مجمع بن عبد الله العائذي ورفاقه عندما سألهم الحسين عليه السلام

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٧٥.

عن رأي الناس في الكوفة فاخبروه: ((أما أشراف الناس فقد عظمت رشوتهم وملئت غرائزهم، يستمال ودهم))[١].

ويشير إلى هذا الموقف أيضاً كلام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء عندما نادى: ((يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن ابجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلي إن أقدم، قد أينعت الثمار، واخضر الجناب وطمت الجمام، وإنما تقدم على جند لك مجندة؟! قالوا له: لم نفعل. فقال: سبحان الله بلى والله لقد فعلتم..))[٢].

ويؤكد ذلك ما رواه الطبري أيضاً من أن عمر بن سعد دعا عزرة بن قيس الاحمسي وأمره أن يلقى الحسين ويسأله عما جاء به فاستحيا عزرة لأنه ممن كاتبه، فسأل من معه من الرؤساء أن يلقوه فأبوا لأنهم كاتبوه[٣].

٣. الجانب السياسي

الخطاب السياسي للحكام وطريقة تعاملهم مع أنصارهم وأعوانهم والأمة بشكل عام، فانه يعتمد في احد أسسه الرئيسية على وجود هذا المرض في الأمة، فمثلاً نجد أن الخطبة الأولى ليزيد التي تمثل منهجه العام في الحكم تعتمد في خطابها السياسي على وجود هذا المرض في الأمة: ((..وإنَّ معاوية كان يغزبكم في البحر، واني لست حاملا أحدا من المسلمين في البحر. وكان يشتيكم بأرض الروم ولست مشتياً أحدا بأرض الروم،

---

(١) تاريخ الطبري٤ : ٣٠٦.

(٢) مقتل الحسين لأبي مخنف: ١١٨.

(٣) تاريخ الطبري٤: ٣١٠.

وإنَّ معاوية كان يخرج لكم العطاء أثلاثاً، وأنا اجمعه لكم كله))[١].

وكذلك خطبة ابن زياد عندما أراد أن يعبأ الناس لقتال الحسين عليه السلام فجمعهم في جامع الكوفة، ثم صعد المنبر وقال: ((أيها الناس أنكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبون، وهذا أمير المؤمنين يزيد قد عرفتموه، حسن السيرة محمود الطريقة محسناً إلى الرعية، يعطي العطاء في حقه، وقد أمنت السبل على عهده وكذلك كان أبوه معاوية في عصره، وهذا ابنه يزيد من بعده يكرم العباد ويغنيهم بالأموال ويكرمهم، وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة، وأمرني أن أوفرها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين، فاسمعوا له وأطيعوا))[٢].

ويعبر عن هذا الاتجاه في وجود هذا المرض الخطير، هو أن مجموعة من القادة والعناصر كانت تقوم بأخس الأعمال الوحشية طمعاً بالمال أو الغنائم أو الجائزة.

ولعل من ابرز هذه المظاهر وحشية ودلالة حادثة سلب الحسين عليه السلام، حيث ذكر ابن نما الحلي: ((ولما قتل الحسين عليه السلام مال الناس إلى سلبه ينهبونه، فأخذ قطيفته قيس بن الأشعث فسمي قيس القطيفة، وأخذ عمامته جابر بن يزيد وقيل أخنس بن مريد ابن علقمة الحضرمي فاعتمَّ بها فصار معتوها، وأخذ برنسه مالك بن بشير الكندي - وكان من خز - واتى امرأته فقالت له: أسَلْب الحسين يدخل بيتي؟! واختصما.

قيل: لم يزل فقيراً حتى هلك.

واخذ قميصه إسحاق بن حوية فصار أبرص، وروي انه وجد في القميص مائة وبضع عشر ما بين رمية وطعنة وضربة، قال الصادق عليه السلام:

---

(١) البداية والنهاية٨: ١٥٣.

(٢) بحار الأنوار٤٤ : ٣٨٥.

وجد به ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة. وأخذ درعه البتراء عمر بن سعد، وأخذ خاتمه بجدل بن سليم الكلبى وقطع إصبعه، واخذ سيفه الفلافس النهشلي وقيل جميع بن الحلق الأودي.

ثم اشتغلوا بنهب عيال الحسين ونسائه، حتى تسلب المرأة مقنعتها من رأسها، أو خاتمها من إصبعها، أو قرطها من إذنها وحجلها من رجلها))[١].

٤. الجانب العسكري

قتل النساء والأطفال والأسرى والشيوخ والقراء وأصحاب الفضل، مع سبق الإصرار والتصميم والمعرفة بهم.

مشاهد قبل المقتل

ومن أجل توضيح هذا الخط العام لموت الضمير وقسوة القلب نستعرض هذه المشاهد:

١. ((وخرجت امرأة الكلبي تمشي إلى زوجها - أم وهب - فجلست عند رأسه تمسح التراب عن وجهه، وتقول: هنيئاً لك الجنة فأمر شمر غلاماً اسمه رستم فضرب رأسها بالعمود فشدخه فماتت مكانها))[٢]، وهي أول امرأة قتلت من أصحاب الحسين.

٢. ((وجاء شمر بن ذي الجوشن قبحه الله إلى فسطاط الحسين فطعنه برمحه - يعني الفسطاط - وقال: إيتوني بالنار لأحرقه على من فيه، فصاحت النسوة وخرجن منه، فقال له الحسين: أحرقك الله بالنار. وجاء شبيث بن

---

(١) مثير الأحزان:٥٧.

(٢) الكامل في التأريخ٤: ٦٩.

ربعي إلى شمر قبحه الله فقال له: ما رأيت أقبح من قولك ولا من فعلك وموقفك هذا، أتريد أن ترعب النساء؟ فاستحيى وهمّ بالرجوع))[1].

٣. يروي عفيف بن زهير بن أبي الأخنس فيقول: ((خرج يزيد بن معقل من بنى عميرة بن ربيعة فقال: يا برير بن خضير كيف ترى الله صنع بك؟ قال: صنع الله والله بي خيرا وصنع الله بك شرا قال: كذبت وقبل اليوم ما كنت كذابا، هل تذكر وأنا أماشيك في بنى لوذان وأنت تقول أن عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفا وان معاوية بن أبي سفيان ضال مضل وان امام الهدى والحق علي بن أبي طالب، فقال له برير: اشهد أن هذا رأيي وقولي فقال له يزيد بن معقل: فأني أشهد أنك من الضالين، فقال له برير بن خضير: هل لك أن أباهلك ولندع الله أن يلعن الكاذب وأن يقتل المبطل ثم اخرج لأبارزك فخرجا فرفعا أيديهما إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب وأن يقتل المحق المبطل ثم برز كل واحد منهما لصاحبه فاختلفا ضربتين فضرب يزيد بن معقل برير بن خضير ضربة خفيفة لم تضره شيئا وضربه برير بن خضير ضربة قدت المغفر وبلغت الدماغ فخر كأنما هوى من شاهق وإن سيف ابن خضير لثابت في رأسه وحمل عليه رضى بن منقذ العبدي فاعتنق بريرا فاعتركا ساعة ثم إن بريرا قعد على صدره فقال رضى: أين أهل المصارع والدفاع؟ فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدي ليحمل عليه فقلت - عفيف بن زهير بن أبي الأخنس -: إن هذا برير بن خضير القارئ الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد فحمل عليه بالرمح حتى وضعه في ظهره فلما وجد مس الرمح برك عليه فعض بوجهه وقطع طرف أنفه فطعنه كعب

---

(١) تاريخ الطبري٤: ٣٣٤.

بن جابر حتى ألقاه عنه وقد غيب السنان في ظهره ثم أقبل عليه يضربه بسيفه حتى قتله فلما رجع كعب بن جابر قالت له امرأته أو أخته النوار بنت جابر أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيد القراء لقد أتيت عظيما من الامر والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبدا))(١).

٥. ((وكان أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي شيخاً كبيراً صحابياً، رأى النبي ﷺ وسمع حديثه وشهد معه بدراً وحنيناً، فاستأذن الحسين وبرز شادّاً وسطه بالعمامة، رافعاً حاجبيه بالعاصبة. ولما نظر إليه الحسين بهذه الهيئة بكى وقال: شكر الله لك يا شيخ، فقتل على كبره ثمانية عشر رجلاً وقتل))(٢).

٦. ((فتقدم إلى باب الخيمة وقال لزينب ناوليني ولدي الصغير حتى أودعه فأتي بابنه عبد الله وأمه الرباب بنت امرى القيس فأخذ واجلسه في حجره وأومأ إليه ليقبله فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فوقع في نحره فذبحه فقال: لزينب خذيه ثم تلقى الدم بكفيه فلما امتلأتا رمى بالدم نحو السماء ثم قال هون علي ما نزل به انه بعين الله))(٣).

٧. ((فخرج إليه عبد الله بن الحسن وهو غلام لم يراهق من عند النساء يشتد حتى وقف إلى جنب الحسين عليه السلام، فلحقته زينب بنت علي عليهما السلام لتحبسه فامتنع امتناعاً شديداً وقال: لا أفارق عمي فأهوى بحر بن كعب وقيل حرملة بن كاهل إلى الحسين فقال له الغلام ويلك يا بن الخبيثة أتقتل عمي، فضربه بالسيف فاتقاها بيده فبقيت على الجلد معلقة، فنادى يا عماه فأخذه وضمه إليه وقال: يا بن أخي اصبر ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير فإن الله يلحقك

---

(١) تاريخ الطبري٤: ٣٢٨. بتصرف بسيط.

(٢) مقتل الحسين للمقرم: ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٣) لواعج الاشجان: ١٨١.

بآبائك الصالحين، فرماه حرملة فذبحه))[1].

مشاهد بعد المقتل

وهناك شواهد ومشاهد عديدة جداً تدلل على قسوة قلوب أعداء الحسين، ولعل من اشد المشاهد لوعة وحسرة وتفجعاً وتعبيراً عن قسوة القلوب وموت الضمائر، هو مشهد الأحداث بعد مقتل الحسين عليه السلام، والذي يرويه جماعة من المؤرخين، ويكاد يجمعون فيه على هذه الحقيقة، وان كانوا يختلفون في بعض التفاصيل الصغيرة.

لما قتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام مال الناس على ثقله ومتاعه وانتهبوا ما في الخيام وأضرموا النار فيها، وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول صلى الله عليه وآله ففررن بنات الزهراء عليها السلام حواسر مسلبات باكيات، وان المرأة لتسلب مقنعتها من رأسها وخاتمها من إصبعها وقرطها من أذنها والخلخال من رجلها[2].

أخذ رجل قرطين لام كلثوم وخرم أذنها، وجاء آخر إلى فاطمة ابنة الحسين فانتزع خلخالها وهو يبكي، قالت له: ما لك؟ فقال: كيف لا ابكي وأنا اسلب ابنة رسول الله، قالت له دعني. قال: أخاف أن يأخذه غيري.

ورأت رجلاً يسوق النساء بكعب رمحه، وهن يلذن بعضهن ببعض وقد اخذ ما عليهن من أخمرة وأسورة، ولما بصر بها قصدها ففرت منه فأتبعها فسقطت لوجهها مغشياً عليها، ولما أفاقت رأت عمتها أم كلثوم عند رأسها تبكي[3].

ونظرت امرأة من آل بكر بن وائل كانت مع زوجها إلى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) مثير الأحزان: ٥٥.

(٢) الكامل في التأريخ ٤: ٧٩.

(٣) بحار الانوار ٤٥: ٦٠.

بهذه الحال، فصاحت يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله؟! لاحكم إلا لله، يا لثارات رسول الله، فردها زوجها إلى رحله[1].

وقال السيد ابن طاووس في اللهوف: ((قال الراوي: ثم نادى عمر بن سعد في أصحابه من ينتدب للحسين فيواطئ الخيل ظهره وصدره فانتدب منهم عشرة وهم: إسحاق بن حوبة الذي سلب الحسين عليه السلام قميصه وأخنس بن مرثد، وحكيم بن طفيل السنبسي، وعمر بن صبيح الصيداوي، ورجاء بن منقذ العبدي وسالم بن خثيمة الجعفي وواحظ بن ناعم، وصالح بن وهب الجعفي، وهاني بن شبث الحضرمي، وأسيد بن مالك (لعنه الله). فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم حتى رضوا صدره وظهره.

وجاء هؤلاء العشرة حتى وقفوا على ابن زياد فقال: أسيد بن مالك أحد العشرة:

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر ... بكل يعبوب شديد الأسر

فقال ابن زياد: من أنتم؟ قالوا: نحن الذين وطئنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنا حناجر صدره، قال: فأمر لهم بجائزة يسيرة))[2].

((ثم إن عمر بن سعد بعث برأس الحسين عليه السلام في ذلك اليوم وهو يوم عاشوراء مع خولى بن يزيد الأصبحي، وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد وأمر برؤوس الباقين من أصحابه وأهل بيته فنظفت، وسرح بها مع شمر بن ذي الجوشن (لعنه الله) وقيس بن الأشعث، وعمرو بن الحجاج، فاقبلوا حتى قدموا بها إلى الكوفة، وأقام بقية يومه واليوم الثاني

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٧٧ - ٧٨.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ٧٩.

إلى زوال الشمس، ثم رحل بمن تخلف عن عيال الحسين عليه السلام وحمل نسائه صلوات الله عليه على إجلاس أقتاب الجمال بغير وطاء مكشفات الوجوه بين الأعداء وهن ودائع الأنبياء، وساقوهن كما يساق سبي الترك والروم في أشد المصائب والهموم))[١].

((وروى: أن أصحاب الحسين عليه السلام كانت ثمانية وسبعين رأساً، فاقتسمتها القبائل لتقرب بذلك إلى عبيد الله بن زياد وإلى يزيد بن معاوية (لعنه الله)، فجاءت كندة بثلاثة عشر رأسا وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن باثني عشر رأسا وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن (لعنه الله) وجاءت تميم بسبعة عشر رأسا، وجاءت بنو أسد بستة عشر رأسا، وجاءت مذحج بسبعة رؤوس، وجاء باقي الناس بثلاثة عشر رأسا))[٢].

موقف الحسين إزاء موت الضمير

لقد كان للحسين عليه السلام يوم عاشوراء مواقف عالج فيها أسباب موت الضمير لدى الأمة.

فأما بالنسبة إلى السبب الأول من أسباب موت الضمير وقسوة القلب وهو (انهيار القاعدة الأخلاقية)، فقد وجدنا أن الإمام الحسين عليه السلام أكد في مجمل ثورته وحركته على (الجانب الأخلاقي) في الالتزامات والعهود والمواثيق وفي السلوك العام تجاه أصحابه وأعدائه وتجاه الأمة بشكل عام، والذي يمكن أن نجد تفاصيلها في جميع خطواته.

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٨٤

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ٨٥.

فهو لم يستخدم المناورة (النفاقية) تجاه الدعوة لبيعة يزيد أو التهرب منها، كما صنع الآخرون أمثال عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن ابن أبي بكر وغيرهم، بل لبّى دعوة والي المدينة وهناك تحدث بصراحة عن رأيه في بيعة يزيد ورفضها.

وفي مكة لم يتحرك إلى العراق إلا بعد أن اخذ المواثيق والعهود والبيعة، وكان تحركه استجابة للمسؤولية المترتبة على نداء الأُمة وطلبها[١].

ثم لما تبين له نقض بعض المبايعين له للبيعة وتدهور الأوضاع كان صريحاً مع أصحابه ومرافقيه الذين جاءوا معه من مكة حتى لو أدى ذلك إلى تفرّق الكثير منهم عنه. كما أنه كان في الوقت نفسه ملتزماً بعهده مع أهل الكوفة[٢].

---

(١) تحدث الحسين في جيش الحر الرياحي: ((**فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم، أن أقدم علينا فانه ليس لنا إمام، لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فأعطوني ما أطمئن به من عهودكم ومواثيقكم، وان لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم**)). الإرشاد ٢: ٧٩.

(٢) قال الطرماح للحسين عليه السلام: رأيت الناس قبل خروجي من الكوفة مجتمعين في ظهر الكوفة فسألت عنهم، قيل إنهم يعرضون ثم يسرحون إلى الحسين، فأنشدك الله أن لا تقدم عليهم، فإني لا أرى معك أحداً ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكفى.

ولكن سر معنا لتنزل جبلنا الذي يدعى (أجا) فقد لمتنعنا به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر ومن الأسود والأحمر، فو الله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى تأتيك طي رجالاً وركباناً، وأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم إلى أن يستبين لك ما أنت صانع.

فجزّاه الحسين وقومه خيراً، وقال: إن بيننا وبين القوم عهداً وميثاقاً ولسنا نقدر على الانصراف حتى تتصرّف بنا وبهم الأمور في عاقبة)). تاريخ الطبري ٤: ٣٠٧ بتصرف.

وهكذا نجد هذا (الجانب الأخلاقي) في ما قام به الحسين عليه السلام من سقي جيش الحر بن يزيد بالماء[1]، والتزام مسلم بن عقيل عليه السلام بعدم الفتك وعدم اغتياله لعبيد الله بن زياد مع وجود الفرصة لذلك، وعدم البدء بالقتال مع أصحاب الحر، مضافا إلى صفات الإيثار والصبر يوم عاشوراء والشجاعة والنصيحة، وسعة الصدر، وتحمل المسؤولية، والتعالي عن الصغائر، وغير ذلك من السلوك الأخلاقي الذي لا يفسح المجال أو يفتح أي ثغره أخلاقية في طريقة التعامل، ونجد معالم هذا السلوك في مختلف مراحل المسيرة منه ومن أصحابه، خصوصاً مواقفهم عندما استعرض رأيهم في ليلة عاشوراء وطلب منهم الاستفادة من الليل.

هذه الأمور وغيرها كانت ولا زالت تمثل دروساً في الأخلاق الإنسانية، وتشكل خطاً واضحاً في حركة الحسين عليه السلام وفي أهدافه من النهضة.

وأما السبب الثاني من أسباب موت الضمير الذي هو (حب الدنيا والانغماس في الشهوات)، فنجد أن الإمام الحسين عليه السلام يؤكد في مختلف مواقفه وخصوصاً في أحاديثه مع أهل الكوفة لمعالجة هذا السبب، سواء في التأكيد على بُعد حتمية الموت، وانه قدر إلهي لا يمكن للإنسان أن يتصرف فيه ((خطّ الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة)).

أم في التأكيد على التقلب والتصرف والتغيّر في الدنيا ولذاتها وزخرفها، كما نلاحظ ذلك بشكل واضح في خطابه الأول مع أهل الكوفة.

أم في التأكيد على الانتقام الإلهي من أولئك المنغمسين في الدنيا وشهواتها والناقضين لعهود الله تعالى، وان ذلك سنّة من سنن التأريخ،

---

(١) الإرشاد٢: ٧٨.

وعهد عهده إليه جده وأبوه.

أم في إعطاء المفاهيم والشعارات التي تزهد في الدنيا ((القتل أولى من ركوب العار))، ((لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما)).

والمهم في كل ذلك هو تجسيد كل هذه المفاهيم عملياً وواقعياً هو وأصحابه ومن مواقع القدرة على الوصول إلى نعيم الدنيا الزائل والحصول عليه، والتنازل عمّا كان لديه من كل هذا المال والجاه عملياً وواقعياً، حيث كانت الفرصة مفتوحة أمامه لذلك، وكان تحت يده إمكانيات واسعة تحدثت النصوص التأريخية عنها في سفره إلى العراق.

علاج قسوة القلب

يشير القرآن الكريم إلى مجموعة من الأساليب والطرق التي يمكن من خلالها علاج الحالة المرضية الخطيرة - مرض القلب - والتي تؤدي بالإنسان إلى الموت والهلاك، أو بتعبير آخر هناك أساليب توجب صحة القلب وسلامته لمن اتبعها وأحسن الالتزام بها، ولعلّ من أهمها:

أولاً: تعظيم شعائر الله

إنّ تعظيم الشعائر الإلهيّة توجب صحة القلب وسلامته، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[1] فالآية الكريمة تربط حالة التقوى في القلب - التي هي الأساس في طهارة القلب وسلامته - بتعظيم الشعائر، وهي وإن وردت في الحجّ باعتباره أحد الشعائر الإسلامية الرئيسية، لكنها تعطي قاعدة عامة تنسحب على كل شعيرة إسلامية،

---

(١) الحج: ٣٢.

فخصوص المورد لا يخصص الوارد كما يعبّر علماء الأصول.

إذن، من جملة الممارسات التي يمكن أن يقوم بها الإنسان من أجل بقاء قلبه في حالة الصحة والسلامة والقدرة على مواصلة الطريق هو تعظيم شعائر الله، فالاشتراك في صلاة الجماعة تعظيم لشعائر الله، والاشتراك في تظاهرات يراد منها خدمة الإسلام تعظيم لشعائر الله، والاشتراك في الشعائر الحسينية، باعتبار أن الحسين عليه السلام يمثل القدوة الصالحة في الإسلام، وهكذا كل مظهر من المظاهر تكون فيه سمة الإسلام شعيرة، وكل شيء يكون فيه هذا المظهر عندما يعظّمه الإنسان يكون قد قام بعمل يؤدي إلى طهارة قلبه وسلامته ونظافته.

ثانياً: التقوى والورع عن المحارم

تشكل التقوى والورع عن محارم الله والالتزام بالواجبات حصناً من الاصابة بمرض القلب، فالإنسان كلّما يمارس عبادة من العبادات، ويتجنّب محرماً من المحرّمات، أو يقوم بواجب من الواجبات، فهو بهذه الطريقة يربي قلبه ويطهّره، لأنّ القلب الطاهر النظيف عبارة عن مجموعة من المشاعر الخيرة التي أودعها الله سبحانه وتعالى فيه، وهذه المشاعر حالها حال جسم الإنسان، فكما أنّ الجسم عندما يمرّنه الإنسان ويغذّيه بالمواد المنسجمة معه يصبح جسماً قوياً، كذلك المشاعر عندما يغذّيها الإنسان بما ينسجم معها ويمرّنها على بعض الأعمال تصبح أكثر استحكاماً وأصالةً في قلبه، وأكثر قدرةً على القيام بواجباتها، فمثلا عندما يتعاطف الانسان ويساعد ويخدم الفقراء والضعفاء والأيتام وعوائل الشهداء فإن هذه الاعمال تؤدي به إلى طهارة قلبه وسلامته ونظافته، لأنّه يتجاوب بهذه الأعمال مع تلك المشاعر الخيّرة الموجودة في قلبه، ومن خلال هذا التجاوب يغذّيها وينمّيها ويربّيها، وبالتدريج يصبح قلبه طاهراً قوياً قادراً على المواجهة.

ثالثاً: الدعاء والتضرّع إلى الله

عندما يكون الإنسان في حالة الدعاء والارتباط بالله سبحانه وتعالى، والتعبير عن حاجته إليه، وطلب المغفرة والرحمة منه والإقرار بالذنوب أمامه، يكون إنساناً طاهر القلب، قوياً، ينمو قلبه تدريجياً بحيث يصبح قلباً سليماً يوجهه بالاتّجاه الصحيح.

وقد تحدث القرآن الكريم في بعض الآيات عن أصل قضية الامتحان والابتلاء، وأنه من أجل تمحيص قلب الإنسان وتجليه وتطهيره، والدعاء يمثل جانباً من ذلك، كقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۞ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1].

فالقرآن الكريم جعل قضية قسوة القلب في الجانب المقابل من قضية التضرع، بمعنى: أن الله سبحانه وتعالى حين يبتلي هؤلاء بالبأساء والضرّاء، يبتليهم من أجل أن يقتربوا منه، ويكونوا مرتبطين به متضرّعين له، ولكن بعضهم ونتيجة للبأساء والضراء لا يتضرّعون ولا يدعون ولا يقتربون، بل يبتعدون عن الله فيصابون بحالة قسوة القلب.

وفي آية أُخرى يتحدث القرآن الكريم عن معركة أحد، وابتلاء المسلمين ببعض الخسائر فيها، ويبيّن الشبهات التي كان يلقيها المنافقون، ثم يقول تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾[2].

أي: أن الابتلاء والبأساء والضرّاء الذي تعرّض له المسلمون آنذاك من أجل ربط الإنسان بالله، وتمحيص قلبه، بحيث يصبح إنساناً طاهر القلب.

---

(١) الأنعام: ٤٢ - ٤٣.

(٢) آل عمران: ١٥٤.

ميزان القلب السليم

ذكر القرآن الكريم بعض المقاييس للتميز بين القلب الطاهر السليم، والقلب المبتلى بالمرض - والعياذ بالله - ومن خلال تلك المقاييس يمكن للإنسان معرفة مدى طهارة قلبه ونظافته وسلامته، وأهمها: حالة الوجل والخشوع والاستجابة لذكر الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1].

فينبغي للإنسان عرض نفسه على هذه الآية الكريمة ليرى مدى تأثير ذكر الله سبحانه وتعالى، أو تلاوة آياته على نفسه وقلبه.

وفي آية أخرى يقول تعالى:﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2].

فقد ذكرت الآية الكريمة جانب طهارة القلب وسلامته، وجانب مرضه وقسوته، كما أنها تحث المؤمنين على خشوع قلوبهم، ولا يكونوا كأولئك الذين انتموا إلى ديانات وأنبياء وكتب، لكنهم تركوها وأهملوها، حتى طال عليهم أمد الإهمال والترك، فقست قلوبهم.

إذن فهناك حالتان إحداهما، تؤثر على طهارة القلب وسلامته إيجابياً، وهي حالة الوجل والخشوع، وأُخرى تؤثر بشكل عكسي، وهي حالة مرض القلب وقسوته.

---

(١) الأنفال: ٢.

(٢) الحديد: ١٦.

ب) الإرادة

إنّ دور الإرادة في حياة الإنسان تمثل اختيار الإنسان للأفعال والسلوك، فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان مريداً ومختاراً، وميّزه بذلك عن الكثير من المخلوقات التي لا يمكنها أن تحيد عن النظام الكوني القاهر أو تخرج عليه، فالشمس والقمر والأرض والكواكب تتحرك بموجب هذه القوانين الفيزيائية والفلكية التي تحكم حركتها، قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ۞ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۞ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(١).

أما الإنسان فقد خلقه الله تعالى مريداً ومختاراً:﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۞ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٤).

وإلى جانب هذه الإرادة زوّد الله تعالى الإنسان بالعقل، وفطره على الإيمان بالله والخير والصلاح، وأرسل إليه الأنبياء وأنزل الكتب والرسالات من أجل أن يُدلّه ويهديه الطريق المستقيم ويحذره من الضلال والانحراف والفساد.

إذن، فالإرادة هي تلك الصفة والقوة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في

---

(١) يس: ٣٧ - ٤٠.

(٢) الإنسان: ٣.

(٣) البلد: ١٠ - ١٢.

(٤) الكهف: ٢٩.

الإنسان والتي يتمكن من خلالها القيام بالأفعال واختيار السلوك والمنهج في هذه الحياة الدنيا، فهي علّة الأفعال وسببها الذي ينسب إليه الفعل.

ومن الواضح أنّ إرادة الإنسان واختياره ليست مطلقة، وإنّما هي خاضعة ـ شأنها في ذلك شأن جميع الموجودات ـ للإرادة الآلهية.

فهي منحة آلهية جاءت وفق المشيئة والحكمة والرحمة الآلهية التي شملت كل الموجودات، والله قادر على أن يسلبها من الإنسان إذا شاء، فقدرة الإنسان على إعمالها والاستفادة منها بمشيئة الله تعالى وإذنه: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

إن الإرادة صفة وقوة إنسانية شأنها شأن القوى الأخرى التي أودعها الله في الإنسان قابلة للشدة والقوة والنمو والتطور، والرخاوة والضعف الضمور والتراجع؛ وذلك من خلال التربية والعناية والتوفيق الآلهي، أو من خلال المؤثرات النفسية والروحية الداخلية والضغوط والأوضاع والحياة الاجتماعية التي يعيشها الإنسان وغيرها.

وفي كل الأحوال يبقى الإنسان مسؤولاً عن فعله ومحاسباً عليه من الله تعالى ومن العقلاء والمجتمع الإنساني - ما لم يفقد عقله أو يفقد اختياره بسبب القهر الخارجي المادي - حتى لو فقد إرادته بسبب ضعفها وتعرضها للضغوط النفسية الداخلية والخارجية؛ لأنه على أي حال يكون مختاراً ومريداً في أن يأتي بالفعل أو لا يأتي به.

وعندما يُخضع الإنسان إرادته للعقل والهدى الآلهي، وتنسجم مع متطلبات الفطرة الإنسانية والضمير والوجدان البشري يسير الإنسان في

---

(١) الإنسان: ٣٠.

طريق الحق والصراط المستقيم، وأما عندما يُخضع إرادته للشهوات والغرائز والانفعالات النفسية من الغضب، أو الغرور، أو التعصب، فسوف يكون مسار الإنسان إلى الهاوية والسقوط والضلال والانحراف، وينتهي الأمر إلى التسافل والنيران والغضب الآلهي.

إذن، فالإرادة الإنسانية هي التي تكون قادرة على حفظ الموازنة بين طريق الهدى والضلال، والتوفيق والاستفادة من الطيبات وما زين الله سبحانه وتعالى للإنسان ممّا أباحه له، وهي التي تمنعه من السقوط في مستنقع الشهوات والغرائز أو ما يعبر عنه القرآن الكريم بـ(الهوى)، فكلما كانت الإرادة قوية وحرّة، كلما كان قادراً على صعود مدارج الكمال والرقي في طريق التكامل، وكلما كانت ضعيفة وأسيرة ومغلولة كانت نهاية الإنسان سوداء وسيئة.

فقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ((إن الله عز وجل ركب في الملائكة عقلا بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم))[1].

هذا كله على المستوى الفردي في مسيرة الإنسان، وتترتب عليه النتائج على مستوى الفرد والذات.

وأما على المستوى الاجتماعي فالمسألة لها قوانينها وسننها الاجتماعية التي تتحكم في مسيرة الإنسان، حيث يكون حال الجماعة بأوضاعها العامة وإرادتها وضميرها ووجدانها وعقلها الجماعي هو المؤثر في هذه المسيرة مع قطع النظر عن تفاصيل الأفراد.

---

(١) علل الشرائع ١: ٤، ح١.

فالأساس هو الموقف الجماعي العام، والنتائج تترتب على أساس هذا الموقف حتى لو كان في الجماعة أفراد آخرون في أعلى مستويات الوعي والمعرفة وقوة الإرادة، فما دام الضمير العام للجماعة مريضاً والإرادة العامة للجماعة ضعيفة فإنّ النتائج تترتب على هذا الموقف العام، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

وبهذا التفسير نجد التكامل بين دور الضمير والقلب وبين الإرادة، فالضمير والقلب عندما يكون صحيحاً ويقظاً وحياً وخاشعاً لله تعالى، ويتفاعل مع مشاعر الرحمة والرأفة والألفة والشعور بالمسؤولية تجاه الله تعالى والجماعة، فإنّ ذلك يؤثر على اتجاه الإرادة واختيارها للمواقف والنشاطات والتزامها بالعهود والمواثيق والحدود الشرعية والأخلاقية، فقد روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال: ((من لم يكن له واعظ من قلبه، وزاجر من نفسه، ولم يكن له قرين مرشد، استمكن عدوه من عنقه))[2].

وكذلك عندما تكون الإرادة قوية وحرة ومتكاملة لا تخضع للضغوط والمؤثرات النفسية الداخلية، كالغرائز والشهوات، أو الخارجية كالأوضاع الاجتماعية والسياسية، كالخوف والجهل واليأس والإغراء، فإنّه بطبيعة الحال سوف يختار الأفضل وما يفرضه منطق العقل والفطرة الإنسانية.

وقد أكّد القرآن الكريم والسنة النبوية على هذا الدور العظيم للإرادة من خلال التأكيد على العوامل المؤثرة في تنميتها وتقويتها وتطويرها، كالصبر

---

(١) الأنفال: ٢٥.

(٢) أمالي الصدوق: ٥٢٦، ح٢.

والصلاة والجهاد في سبيل الله، والوفاء بالعهود والمواثيق، والتزام الحق والعدل، واستخدام العقل في رؤية الأشياء، والنظر إلى الحقائق الكونية نظرة شمولية تستوعب الدنيا والآخرة، وفهم الموازنة الصحيحة بينهما ودورهما في حياة الإنسان إلى غير ذلك من المعارف الآلهية، حيث جاء ذلك في مئات من الآيات القرآنية الكريمة.

قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[(١)].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[(٢)].

وفي الوقت نفسه نجد الحديث الشريف الذي ورد عن النبي وأهل بيته الكرام يعطي هذا التقييم الرائع لدور الإرادة في حياة الإنسان، فالإنسان الذي يجرد إرادته من الضغوط النفسية بممارسته لجهاد النفس يكون قد مارس الجهاد الأكبر في حياته، كما يعبر النبي الأكرم ﷺ، حيث ورد أنّه بعث سرية فلما رجعوا قال: ((مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس))[(٣)].

ثم تأتي جملة من الأحاديث لتشخيص النهج والطريق الذي يجب أن يسلكه الإنسان في هذا الجهاد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الورع عن محارم الله إلى ترويض النفس في جموحها وشهواتها ونزواتها.

---

(١) الحج: ٧٨.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) الكافي٥: ١٢، ح٣.

أسباب فقدان الإرادة

قد يكون للإنسان ضمير حي يتحسس به الظلم والمأساة وآلام الآخرين، وقد يكون له ضمير يدرك به الحق ويعي مواقفه، كما كان ذلك بالنسبة للكثير من أهل الكوفة في نهضة الإمام الحسين عليه السلام، فقد عبّر الفرزدق عن هذا الضمير بقوله للحسين: (القلوب معك والسيوف مع بني أميّة)، أي: أنَّ الكثير منهم كانت لهم ضمائر، وكانوا يتحسّسون ويدركون ويعرفون الحقيقة، لكنهم في الوقت نفسه فاقدو الإرادة.

والسؤال الذي يطرح هنا: ما هي أسباب فقدان الإرادة؟

ويمكن أجمال الأسباب بما يلي:

السبب الأول: القمع والإرهاب

إن حالة الشعور بالخوف من الطغاة والضعف أمامهم، يكون عاملاً مهماً في فقدان الإرادة، حيث نجد الطغاة والمستكبرين يحاولون دائماً استخدام هذا العامل وممارسة هذا الأسلوب في الضغط على إرادة الأُمة والجماعة والأفراد؛ لتحقيق مآربهم وأهدافهم في استعباد الناس والهيمنة عليهم وفرض سلطتهم ووجودهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك عندما تحدّث عن الظاهرة الفرعونية في المجتمع الإنساني من خلال قصة موسى عليه السلام والفراعنة في مصر، فمثلاً عندما يقف فرعون عاجزاً أمام الحجة والبرهان الآلهي الذي جاء به موسى في العصا واليد البيضاء، وينتصر موسى عليه السلام في المباراة مع السحرة الذين حشّدهم فرعون لمواجهته: ﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ ۞ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۞ قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، نجد

---

(١) الأعرف: ١١٩ -١٢١.

فرعون يلجأ إلى التهديد بالقمع والإرهاب من أجل الضغط على إرادة السحرة وتغيير موقفهم الإيماني: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١].

وكذلك استخدم فرعون هذا الأسلوب لمواجهة حركة موسى وبني إسرائيل التحررية: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[٢].

كما أنَّ القرآن الكريم عندما يتحدث عن فرعون، يتحدث عن هذا الإسلوب القمعي: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٣].

كما أنَّ التأريخ الإسلامي الذي تحدث عنه القرآن الكريم والسنة النبوية يشير إلى استخدام المشركين لهذا الإسلوب الوحشي في مواجهة الرسالة الإسلامية ورجالها، حيث تعرَّض المسلمون وفيهم النبي الأكرم ﷺ لألوان من العذاب والقتل والتعذيب والمطاردة من أجل الضغط على إرادتهم، حتى ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: ((ما أوذي نبي مثل ما أوذيت))[٤]، وفي حديث آخر يقول: ((لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، وأخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال

---

(١) الأعراف: ١٢٣-١٢٤.

(٢) الأعراف: ١٢٧.

(٣) القصص: ٤.

(٤) مناقب آل أبي طالب٣: ٤٢، كشف الغمة٣: ٣٤٦.

طعام يأكله ذو كبد إلا شئ يواريه إبط بلال))[١].

وقال لعمه أبي طالب عندما صعّد المشركون من وسائل الضغط والإرهاب: ((يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله، أو أهلك))[٢].

كما أنّ الأمويين بشكل عام وعبيد الله بن زياد بشكل خاص استخدموا هذا الإسلوب كمنهج عام لمواجهة حركة الإمام الحسين عليه السلام، بحيث يبدو أن هذا الإسلوب هو الطابع العام في مجمل الإجراءات والأساليب والوسائل التي استخدمها عبيد الله بن زياد ضد الأمة في الكوفة بشكل عام وضد شيعة الحسين عليه السلام بشكل خاص. والأمثلة على ذلك كثيرة، كالطريقة التي أعتقل فيها الزعيم الكبير والصحابي الجليل هاني بن عروة، وكذلك طريقة قتل ميثم التمّار من قبله، وطريقة قتل مسلم بن عقيل، وقتل رسول الحسين عليه السلام إلى مسلم، ورسول مسلم إلى الحسين، وغلق أبواب الكوفة ومسالكها، واعتقال عدة آلاف من شيعة علي عليه السلام والتهديد بجيش الشام، وفرض النفير العام على جميع أهل الكوفة وعشائرها، والتهديد بالقتل لمن تخلّف عنه.

كل هذه الحوادث وأمثالها الذي يجد الباحث تفاصيلها في كتب التأريخ والسير والمقاتل تدل على هذه الحقيقة.

السبب الثاني: الجهل والاختلاف

من أسباب فقدان الإرادة هو الجهل وعدم وضوح الحقيقة وتشوش الرؤية، أو فقدان الرؤية الصحيحة بسبب العمل الإعلامي المضاد الذي

---

(١) الجامع الصغير ٢: ٤١١، ح ٧٢٩١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٥٤.

يستخدمه الأعداء والطغاة لتضليل الأمة وتشويه الحقائق، أو بسبب انخفاض وعي الأمة، وبالتالي عدم قدرتها على فهم الحقائق، الأمر الذي يستغله الأعداء، ويؤدي ذلك عادة إلى اختلاف الأمة وتفرقها في موقفها تجاه ظاهرة الظلم والطغيان، فتفقد الإرادة للموقف الصحيح، أو تتشتت الإرادات وتتضارب وتختلف فتضعف وتذهب قوتها وريحها، كما يعبر القرآن الكريم.

ويستخدم الطغاة - عادة - لتحقيق هذا الهدف - الجهل - أسلوب الحرب النفسية، إما بالاتهام بالسحر والشعوذة أو الطعن بالمقاصد والأهداف، مثل: تحقيق الرغبات والميول الشخصية، أو الاتهام بالخروج عن الطاعة وشق عصا المسلمين، والتمرد على الجماعة ووحدتها، وبالتالي الفساد والإفساد في الأرض، وإما الاتهام بالظلم والطغيان والعدوان وتجاوز الحقوق الإنسانية والحدود الاجتماعية.

وهذه الأسباب هي الأسباب الرئيسية التي تكمن وراء ظواهر الحرب الظالمة التي عرفتها البشرية في تأريخها ورفضتها الفطرة الإنسانية في وجدانها، ولذلك يلجأ الطغاة إلى إثارتها في وجه الأنبياء والمرسلين وجميع الأئمة والدعاة المصلحين، وهي الإثارات التي نعرفها من خلال القرآن الكريم التي استخدمها المستكبرون في مقابل الأنبياء، كاستخدام فرعون لها في مقابل موسى عليه السلام والمشركون في مقابل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؛ من أجل إيجاد الاختلاف في صفوف الأمة وإضعاف إرادتها وقدرتها على الحركة في مواجهة الطغيان والظلم والفساد.

وهذا السبب وان لم يكن له دور مهم في قضية الإمام الحسين عليه السلام حيث إنَّ الأمة مرت بفترة زمنية طويلة نسبياً تكشَّفت أمامها حقيقة الفساد والظلم والجور الأموي - خصوصاً في الكوفة - من خلال المقارنة بين حكم الإمام علي عليه السلام الذي كان يمثل القمة والقدرة في العدل والإحسان، وحكم

معاوية الجائر الظالم، وكذلك من خلال موقف الإمام الحسن عليه السلام الذي تمكن من خلال الهدنة مع معاوية أن يكشف زيف الادعاءات الأموية وشعاراتهم.

والأكثر من ذلك التجربة التي عاشتها الأمة وخصوصاً في العراق من الظلم والجور والمطاردة، والعدوان على الحرمات والكرامات وقتل الصالحين كحجر بن عدي وأصحابه.

وكذلك من خلال العمل الإعلامي الرائع للإمام الحسين عليه السلام الذي تمكن أن يوضح فيه مقاصده وأغراضه من هذه النهضة، بالرغم من محاولات الأمويين وأتباعهم تشويه النهضة وصورتها من خلال إطلاق التهم الباطلة والادعاءات الفارغة، مثل: شق عصا المسلمين، والخروج على الجماعة، أو تحويل الصراع إلى صراع قبلي: أموي هاشمي، أو إقليمي: كوفي شامي، وغير ذلك من الأساليب.

ولكن مع ذلك كانت هناك قضية مهمة أثارت الاختلاف في تقدير الموقف تجاه هذا الوضوح الذي تعيشه الأمة بالنسبة إلى يزيد وحكمه، وهي قضية الحكم الشرعي تجاه ظاهرة حكم يزيد، فهل الموقف تجاه هذه الظاهرة هو الهروب من المجتمع والحياة والتخلص من المسؤولية الفردية بذلك، كما صنع عبد الله بن عمر، أو السكوت في الوقت الحاضر وانتظار الفرصة المناسبة للخروج كما صنع عبد الله بن الزبير؟ أو الاستجابة للوظيفة الشرعية الآلهية، وللرأي العام في الأمة والتفاعل معه، والذي كان يدعو إلى تسجيل موقف الرفض عملياً والسعي لتغيير الواقع فعلياً، حيث كانت تشكل ظاهرة حكم يزيد أمراً خطيراً في مسيرة التأريخ الإسلامي وحركة الأمة، بل يمكن أن تتحول إلى ظاهرة ثابتة في الأمة ومنعطف خطير يهدد

كيانها ووجودها، وليست مجرد ظاهرة عابرة يمكن الانتظار فيها فضلاً عن السكوت عنها؟

وهذا هو ما ميز موقف الإمام الحسين عليه السلام، ولكن هذا الاختلاف في الرأي كان له تأثير سلبي على إرادة الأمة وإجماعها عملياً في الموقف.

ويمكن التعرف على هذا الاختلاف ووجهات النظر المتعددة من اختلاف المواقف تجاه تحركِ الحسين عليه السلام، فقد كان من مظاهر ذلك، الاختلاف في المواقف الأربعة لوجهاء الصحابة والتابعين آنذاك - عبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي عليه السلام -، حيث كان لكل واحد منهم موقف يختلف إلى حد ما عن موقف الآخر، وان كانوا جميعاً متفقين على رفض خلافة يزيد بن معاوية.

كما أن من مظاهر الاختلاف، الاختلاف الذي ظهر في البصرة بين موقف الأحنف بن قيس الذي راسله الحسين عليه السلام فصدقه في دعوته، وان كان طلب منه الصبر ولم يستجب له في النصرة، وموقف يزيد بن مسعود التميمي(١)، الذي استجاب لدعوة الحسين عليه السلام وتحرك لنصرته وتحدث مع عشيرته.

ومن مظاهره موقف بعض خواص الحسين عليه السلام مثل عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مطيع العدوي وغيرهم، الذين كانوا ينصحون الحسين عليه السلام بعدم التحرك ويدعونه إلى السكوت والانتظار، أو يسعون لأخذ الأمان له، كما تشير إلى ذلك بعض النصوص.

مضافاً إلى مواقف بعض أصحاب المصالح الخاصة من الرافضين كعبد الله بن الزبير، الذي كان يتمنى خروج الحسين من مكة ليصفو ويخلو له

---

(١) في بعض الروايات جاء اسمه (مسعود بن عمرو).

الجو فيها، حيث كان يطمح أن يكون الأمير فيها، ومع وجود الحسين فيها فان الناس سوف يميلون إليه عليه السلام بطبيعة الحال.

وهذه الاختلافات تجعل الأمة تفقد إرادتها بالتدريج، وتجعلها غير قادرة على الاختيار المناسب واتخاذ الموقف المناسب، وقد أكد القرآن الكريم في عدة من المواضع على أهمية وحدة الكلمة والرأي، ونهى عن الاختلاف: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2].

ومن هنا نشاهد الأمم والشعوب عندما تتحد تتمكن من تحقيق الانتصار، لان الوحدة بالإضافة إلى ما توجده من قوة، تجعل الأمة قادرة على الاختيار والإرادة.

إذن، فقضية الاختلاف لها دور مهم في سلب إرادة الأمة، والإعلام المضلل له دور مهم في إيجاد الاختلاف.

السبب الثالث: اليأس والقنوط

لليأس والقنوط والإحساس بعدم القدرة في الوصول إلى الأهداف، وبالتالي عدم جدوى الحركة والتصدي له دور في فقدان الإرادة.

وهذا ما يحاول الطغاة دائماً غرسه في نفوس الأمة من خلال التظاهر بالقوة والمنعة وادعاء البقاء والاستمرار والتهديد باستخدام وتوظيف طاقات جديدة لغرض الهيمنة والسلطة، مثل التهديد الذي استخدمه عبيد الله بن زياد بدعوة جيوش الشام للتدخل في المعركة، أو التشكيك بتضافر

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) الأنفال: ٤٦.

جهود الأمة ووحدة موقفها العملي، أو التشكيك بنيات الآخرين وعزمهم في التعاون والتناصر، أو تشجيع روح الاتكالية والانتظار للآخرين لزعزعة الإرادة الواحدة للأمة والجماعة.

ولا شك أن اليأس والقنوط يقتل الإرادة ويقضي على النشاط والحركة، وبالتالي تفقد الأمة إرادتها فتختار الجلوس والقعود، أو تقف موقف المتردد والمتحير بين الدوافع الوجدانية الموجودة، والشعور بعدم القدرة على التأثير والإنتاج.

السبب الرابع: الإغراء وشراء الضمائر

من الأسباب المهمة في فقدان الإرادة، هو: الإغراء بالأموال والمناصب من أجل احتواء يقظة الضمير والوجدان وممارسة الضغط عليها - الإرادة - بتحريك نوازع النفس الإنسانية وشهواتها وميولها، للتغلب على اتجاهات الفطرة ومقتضياتها ودوافعها، وبالتالي إيجاد عامل مضاد للحياة في الضمير من أجل القضاء عليه أو تعطيل تأثيره وتخديره، الأمر الذي يؤدي إلى فقدان الإرادة والاختيار باتجاه متطلبات النظر العقلي أو الوجداني. فكما يشكل الخوف والإرهاب عامل ضغط وتعطيل لتأثير الضمير والوجدان، كذلك الإغراء بالأموال والمناصب والشهوات وتصعيد أثرها، يشكل عاملاً من عوامل الضغط على الإرادة وفعلها.

وهذا السبب نراه واضحاً في مجموعة الممارسات الأموية التي قام بها يزيد في أول استلامه للسلطة، عندما خطب في الناس، وقدم لهم الوعود والمغريات بالراحة والدعة وكذلك بزيادة العطاء والرواتب، وكذلك من خلال ما طرحه عبيد الله بن زياد من زيادة في الرواتب وتقديم الجوائز الكبيرة، وفي قضية عمر بن سعد بن أبي وقاص الذي عرضت عليه ولاية

الري وخراجه كثمن لمشاركته في قتال الحسين عليه السلام وتردده في البداية حتى حسم الموقف لصالح هذا العرض المغري والمنصب الكبير والخراج الواسع له شاهد واضح على ذلك.

مظاهر فقدان الإرادة في عاشوراء

لقد كانت حالة فقدان الإرادة ظاهرة على مستوى الأمة والجماعة بشكل عام، وفي الوقت نفسه كانت ظاهرة على مستوى بعض القادة والأشخاص المهمين في المجتمع الإسلامي أيضاً.

وقد وردت عدة نصوص تؤكد وجود هذه الظاهرة في الأمة، بحيث أدركها بعض المراقبين للحركة السياسية حينذاك على مستوى أهل الكوفة على الأقل[١].

فقد كان هذا تقييم الفرزدق بن غالب عندما سأله الحسين عن خبر الناس في الكوفة، فأجابه: (قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أُمية، والقضاء ينزل من السماء)، وكذلك تقييم بشر بن غالب حيث استخدم نفس هذا التعبير أيضاً: (القلوب معك والسيوف مع بني أمية)، وكذلك كان هذا رأي أربعة نفر من أهل الكوفة - قاتلوا مع الحسين بعد ذلك - حيث اخبروه بأنّ: (الأشراف عظمت رشوتهم...وأما سائر الناس فإنّ

---

(١) وأما غير أهل الكوفة فلم يمروا بتجربة الإمام الحسين عليه السلام بشكل مباشر، إلا أن بعض النصوص والحوادث التأريخية تشير إلى أن ظاهرة موت الضمير كانت هي السائدة في أهل الشام وأهل البصرة في ذلك العصر. ولعله كذلك في أهل مكة وقطاعات واسعة من أهل المدينة. ولذا لم يجد الحسين عليه السلام من يكاتبه ويناصره مثل أهل العراق في البلاد الإسلامية الأخرى. **(منه قدس سره)**.

أفئدتهم تهوى إليك وسيوفهم غدا مشهورة عليك..)[١].

ونشير إلى بعض الشواهد والمصاديق لهذه الظاهرة على مستوى الأمة والجماعة، وعلى مستوى الأفراد والشخصيات.

أ. ظاهرة فقدان الإرادة على مستوى الأمة

الأول: موقف الناس من دعوة الحسين عليه السلام للنهوض ومطالبتهم له بذلك من خلال المراسلة والكتب، ومن خلال إرسال الأشخاص والرسل، ومن خلال بيعتهم لمسلم بن عقيل، حيث بايعه أكثر من ثمانية عشر ألف شخص في الكوفة، فكتب مسلم إلى الحسين مع عابس بن شبيب الشاكري ((أما بعد فان الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفا فعجل الاقبال حين يأتيك كتابي فان الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأى ولا هوى والسلام))[٢].

وعندما دخل ابن زياد الكوفة متنكراً ظنّ الناس أنه الحسين عليه السلام فاستقبلوه بهتاف واحد: مرحباً بابن رسول الله. فساءه هذا الحال وانتهى إلى قصر الإمارة فلم يفتح النعمان باب القصر، واشرف عليه من أعلى القصر يقول: ما أنا بمؤد إليك أمانتي يا بن رسول الله. فقال له ابن زياد: افتح لا فتحت فقد طال ليلك. فسمعها رجل وعرفه، فقال للناس: إنه ابن زياد ورب الكعبة[٣].

ويبدو هذا الموضوع أكثر وضوحاً إذا لاحظنا محاولات أهل الكوفة ومعهم مسلم بن عقيل لنصرة هاني بن عروة عندما اعتقله ابن زياد.

---

(١) تاريخ الطبري٤: ٣٠٦.

(٢) تاريخ الطبري٤: ٢٨١.

(٣) تاريخ الطبري٤ : ٢٦٧.

((وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانئا قد قتل فأقبل في مذحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، ثم نادى: أنا عمرو بن الحجاج هذه فرسان مذحج ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة وقد بلغهم أن صاحبهم يقتل فأعظموا ذلك، فقيل لعبيد الله هذه مذحج بالباب، فقال لشريح القاضي: ادخل على صاحبهم فانظر إليه، ثم اخرج فأعلمهم أنه حي لم يقتل وأنك قد رأيته، قال شريح فدخلت إليه فلما رآني قال: يا لله يا للمسلمين أهلكت عشيرتي، فأين أهل الدين، وأين أهل المصر تفاقدوا يخلوني وعدوهم وابن عدوهم والدماء تسيل على لحيته إذ سمع الرجة على باب القصر، فقال يا شريح إنى لأظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إن دخل عليٍّ عشرة نفر أنقذوني، قال شريح: فخرجت إليهم ومعي حميد بن بكر الأحمري أرسله معي ابن زياد، وكان من شرطته ممن يقوم على رأسه، وأيم الله لولا مكانه معي لكنت أبلغت أصحابه ما أمرني به، فلما خرجت إليهم قلت: إن الأمير لما بلغه مكانكم ومقالتكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه فأمرني أن ألقاكم وأن أعلمكم أنه حي وأن الذي بلغكم من قتله كان باطلا، فقال عمرو وأصحابه فأما إذ لم يقتل فالحمد لله ثم انصرفوا))[1].

وذكر أبو الفرج صاحب المقاتل عن أبي مخنف قوله: ((حدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن حازم البكري قال: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر في اثر هانئ لأنظر ما صار إليه أمره، فدخلت فأخبرته الخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابي وقد ملأ الدور منهم حواليه فقال: ناد(يا منصور أمت)،

---

(١) انظر: تاريخ الطبري٤: ٢٧٤ بتصرف.

فخرجت فناديت وتبادر أهل الكوفة فاجتمعوا إليه، فعقد لعبد الرحمان بن عزيز الكندي على ربيعة وقال له: سر أمامي وقدمه في الخيل.

وعقد لمسلم بن عوسجة على مذحج وأسد وقال له: انزل فأنت على الرجالة. وعقد لأبي ثمامة الصائدي على تميم وهمدان. وعقد للعباس بن جعدة الجدلي على أهل المدينة ثم اقبل نحو القصر.

فلما بلغ عبيد الله إقباله تحرّز في القصر وغلق الأبواب واقبل مسلم حتى أحاط بالقصر، فوالله ما لبثنا إلا قليلا حتى امتلأ المسجد من الناس والسوقة ما زالوا يتوثبون حتى المساء، فضاق بعبيد الله أمره ودعا بعبيد الله بن كثير بن شهاب الحارثي وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيخذّل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب وعقوبة السلطان، فأقبل أهل الكوفة يفترون على ابن زياد وأبيه.

وأشرف علينا الأشراف، وكان أول من تكلم كثير بن شهاب، فقال: أيها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا، انتشروا ولا تعرّضوا أنفسكم للقتل، فهذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت وقد أعطى الله الأمير عهدا لئن أقمتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم هذه أن يحرم ذريتكم العطاء، ويفرق مقاتليكم في مغازي الشام على غير طمع، ويأخذ البرئ بالسقيم، والشاهد بالغائب حتى لا يبقى فيكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جنت.

وتكلم الأشراف بنحو من كلام كثير، فلما سمع الناس مقالتهم تفرقوا، حتى أن المرأة كانت تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجئ الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غدا يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر؟ انصرف، فمازالوا يتفرقون وينصرفون حتى أمسى ابن عقيل وما معه إلا ثلاثون نفسا، حتى صليت المغرب فخرج متوجها نحو أبواب كندة فما بلغ

الأبواب إلا ومعه منها عشرة، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه منهم إنسان، فمضى متلدداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب))[١].

الثاني: موقف الحر بن يزيد الرياحي وأصحابه عند لقائه بالإمام الحسين عليه السلام، حيث كانوا يستمعون إلى خطبه ونصائحه وحججه وقد تأثروا بها إلى حدَ كبير، حتى أنهم صلّوا مع الحسين عليه السلام بإمامته وهم قد خرجوا لمحاصرته ومنعه من الرجوع إلى مكة أو المدينة، ولكنهم بالرغم من كل ذلك لم يملكوا إرادتهم مع وضوح الموقف لديهم، إلا الحر بن يزيد الرياحي - الذي لم يراسل الحسين - تمكن من اختيار الجنة، كما قال ذلك عندما قال له صاحبه المهاجر بن أوس وقد رآه يرتعد في يوم عاشوراء: ((إنّ أمرك لمريب، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل هذا، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟! فقال له الحر: إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، فوالله لا أختار على الجنة شيئا ولو قطعت وحرقت. ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين عليه السلام))[٢].

الثالث: موقف جيش عبيد الله بن زياد والقبائل من قتل الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، فبالرغم من الجرائم الوحشية التي ارتكبها قادة هذا الجيش وبعض الجلاوزة المجرمين، الأمر الذي أدى إلى قتل جميع أصحاب الحسين وأهل بيته وحتى الفتيان والأطفال. نجد هذا الجيش يتردد في بعض الأحيان في ارتكاب جريمة قتل الحسين أو يتقاعس عن القتال والنزال.

وقد صوّر بعض المؤرخين هذا الموقف بقولهم: ((ولقد مكث طويلا من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ولكنهم كان يتقي بعضهم ببعض،

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٧٠ - ٧١. بتصرف.

(٢) الإرشاد٢: ٩٩.

ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء))[١].

ويؤكد هذه الحقيقة طول المعاناة التي مرت بالحسين عليه السلام وهو طريح على ارض المعركة حتى قام شمر بن ذي الجوشن بجريمته الشنيعة.

ب . ظاهرة فقدان الإرادة على مستوى القادة

وأما ظاهرة فقدان الإرادة على مستوى القادة والشخصيات فيمكن أن نلاحظها في عدد منهم، ولكن هنا نشير إلى نماذج ثلاثة مهمة، يعبّر كل واحد منها عن بُعد وسبب قد يختلف عن الآخر، وان كانت بأجمعها تمثل حالة فقدان الإرادة في هؤلاء الأشخاص:

الأول: (عمر بن سعد بن أبي وقاص) الذي وقف والده على الحياد في المعركة بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية، وإن كان أفصح عن رأيه في أن الحق مع علي عليه السلام. وأما ابنه عمر فقد كان منذ البداية من أنصار الأمويين ويركض وراء المناصب والأموال، ولكنه كان متردداً في موضوع قتل الحسين وتحمّل مسؤولية قيادة المعركة.

روى الطبري أنّ سبب خروج ابن سعد إلى الحسين عليه السلام ((أن عبيد الله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل الكوفة يسير بهم إلى (دستبي) وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها، فكتب إليه ابن زياد عهده على الري وأمره بالخروج فخرج معسكرا بالناس بـ(حمام أعين)[٢]، فلما كان من أمر الحسين ما كان وأقبل إلى الكوفة دعا ابن زياد عمر بن سعد فقال: سر إلى الحسين فإذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت إلى عملك، فقال له

---

(١) تاريخ الطبري٤: ٣٤٦.

(٢) حمام أعين: بتشديد الميم: بالكوفة، ذكره في الأخبار مشهور، منسوب إلى أعين مولى سعد ابن أبي وقاص. معجم البلدان٢: ٢٩٩.

عمر بن سعد: إن رأيت رحمك الله أن تعفيني فافعل، فقال له عبيد الله: نعم على أن ترد لنا عهدنا، فلما قال له ذلك، قال عمر بن سعد: أمهلني اليوم حتى أنظر، فانصرف يستشير نصحاءه فلم يكن يستشير أحدا إلا نهاه، وجاء حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن أخته فقال: أنشدك الله يا خال أن لا تسير إلى الحسين فتأثم بربك وتقطع رحمك فوالله لئن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلها لو كان لك خير لك من أن تلقى الله بدم الحسين، فقال له عمر بن سعد: فاني أفعل إن شاء الله))[١].

ثم إنَّ عمر بن سعد بات ليلته مفكراً في أمره، وسُمع يقول:

دعاني عبيد الله من دون قومه | إلى خطة فيها خرجت لحيتي
فو الله لا أدري واني لواقف | على خطر لا أرتضيه ومين
أأترك ملك الري والري رغبتي | أم ارجع مذموماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها | حجاب وملك الري قرة عيني[٢]

وعن عمار بن عبد الله بن يسار الجهني عن أبيه قال: ((دخلت على عمر بن سعد وقد أمر بالمسير إلى الحسين فقال لي: إن الأمير أمرني بالمسير إلى الحسين فأبيت ذلك عليه، فقلت له: أصاب الله بك، أرشدك الله أجل فلا تفعل ولا تسر إليه، قال: فخرجت من عنده فأتاني آت وقال هذا عمر بن سعد يندب الناس إلى الحسين، قال: فأتيته فإذا هو جالس فلما رآني أعرض بوجهه، فعرفت أنه قد عزم على المسير إليه فخرجت من عنده، ثم أقبل عمر بن سعد إلى ابن زياد فقال أصلحك الله إنك وليتني هذا

---

(١) انظر: تاريخ الطبري٤: ٣٠٩ - ١١٠. بتصرف.

(٢) لواعج الاشجان: ١٠٥

العمل وكتبت لي العهد وسمع به الناس فان رأيت أن تنفذ لي ذلك فافعل وابعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشراف الكوفة من لست بأغنى ولا أجزأ عنك في الحرب منه فسمى له أناسا، فقال له ابن زياد: لا تعلمني بأشراف أهل الكوفة ولست أستأمرك فيمن أريد أن أبعث، إن سرت بجندنا وإلا فابعث ألينا بعهدنا فلما رآه قد لج قال فإني سائر، فأقبل في أربعة آلاف حتى نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين نينوى، فبعث عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام عزرة بن قيس الاحمسي فقال ائته فسله ما الذي جاء به وماذا يريد، وكان عزرة ممن كتب إلى الحسين فاستحيا، فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه فكلهم أبى وكرهه فقام إليه كثير به عبد الله الشعبي وكان فارسا شجاعا ليس يرد وجهه شئ فقال: أنا أذهب إليه والله لئن شئت لافتكن به، فقال له عمر بن سعد ما أريد أن يُفتك به، ولكن ائته فسله ما الذي جاء به، فأقبل إليه فلما رآه أبو ثمامة الصائدي قام إليه فقال: ضع سيفك، قال: لا والله ولا كرامة إنما أنا رسول فإن سمعتم منى أبلغتكم ما أرسلت به إليكم، وإن أبيتم انصرفت عنكم فقال له فاني آخذ بقائم سيفك ثم تكلم بحاجتك قال: لا والله لا تمسه، فقال له: أخبرني ما جئت به وأنا أبلغه عنك ولا أدعك تدنو منه فانك فاجر، قال: فاستبا ثم انصرف إلى عمر ابن سعد فأخبره الخبر، فدعا عمر قرة بن قيس الحنظلي فقال له: ويحك يا قرة الق حسينا فسله ما جاء به وماذا يريد، قال: فأتاه قرة بن قيس وأبلغه رسالة عمر بن سعد، فقال الحسين: كتب إلي أهل مصركم هذا إن أقدم فأما إذا كرهتموني انصرفت عنكم.

فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر فقال له عمر بن سعد: إني لأرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله))[١].

وبقى ابن سعد يحاول التخلص من هذا الموقف حتى انه افتعل على الحسين عليه السلام ما لم يقله، وكتب إلى ابن زياد زعماً منه أن في ذلك صلاح الأمة، فقال في كتابه:

(أما بعد فان الله أطفا النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة، وهذا حسين أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أن نسيره إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئنا فيكون رجلاً من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبين رأيه، وفي هذا لكم رضاً وللأمة صلاح)[٢].

هذه الأفعال والمواقف وغيرها من عمر بن سعد تدلل على معرفته بالحق وبالحسين عليه السلام إلّا أنّه كان فاقداً لإرادته بسبب المنصب والمال - الذي لم يهنأ به - فقام بالجريمة الوحشية وخسر الدنيا والآخرة.

الثاني: (شبث بن ربعي) حيث كان هذا الإنسان متقلباً في مواقفه السياسية، كما يدل عليه تأريخه، فقد كان من أصحاب الإمام علي عليه السلام ولكن تردد وضعف[٣]، وكان شيخا كبيراً يحب الجاه والمناصب، وراسل الحسين عندما رأى أهل الكوفة معه، وعندما طرح عليه الخروج إلى حرب الحسين تمارض وأخذ يتهرب من ذلك، وبقي يحاول دائما التهرب وعدم المشاركة الفعلية في القتال والاكتفاء بالحضور المعنوي إلى جانب ابن زياد

(١) تاريخ الطبري٤: ٣١٠.

(٢) تاريخ الطبري٤: ٣١٣.

(٣) راجع: نقد الرجال٢: ٣٩٠.

وجيشه، بالرغم من أنه أحد القادة الأربعة الرئيسيين، حيث كان قد وضعه ابن زياد قائداً للرجّالة. ويمكن رؤية موقفه وصورته من خلال النصوص التالية:

((ثم أرسل ابن زياد إلى شبث بن ربعي أنِ أقبل إلينا وإنا نريد أن نوجه بك إلى حرب الحسين، فتمارض شبث، وأراد أن يعفيه ابن زياد فأرسل إليه: أما بعد فان رسولي أخبرني بتمارضك، وأخاف أن تكون من الذين ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ إن كنت في طاعتنا فأقبل إلينا مسرعا. فأقبل إليه شبث بعد العشاء لئلا ينظر إلى وجهه فلا يرى عليه أثر العلة، فلما دخل رحّب به وقرّب مجلسه، وقال: أحب أن تشخص إلى قتال هذا الرجل عونا لابن سعد عليه، فقال: أفعل أيها الأمير))[1].

وكان شبث يحتج على بعض المواقف الحادة التي يراها من قبل بعض القادة أمثال شمر بن ذي الجوشن، بل كان يصرّح في بعض الأحيان ببطلان موقف عبيد الله بن زياد وجيشه وانحرافهم، كما تشير بعض النصوص التأريخية:

١. ((ثم إن عمرو بن الحجاج حمل على الحسين في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفرات فاضربوا ساعة فصُرع مسلم بن عوسجة الأسدي أول أصحاب الحسين، ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه، وارتفعت الغبرة فإذا هم به صريع... وصاحت جارية له فقالت: يا ابن عوسجتاه يا سيداه فتنادى أصحاب عمرو بن الحجاج قتلنا مسلم ابن عوسجة الأسدي.

فقال شبث لبعض من حوله من أصحابه: ثكلتكم أمهاتكم إنما تقتلون

---

(١) انظر: بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٦.

أنفسكم بأيديكم وتذللون أنفسكم لغيركم، تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة!، أما والذي أسلمت له لرب موقف له قد رأيته في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم سلق أذربيجان قتل ستة من المشركين قبل تتام خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون!))[1].

٢. وحمل الشمر حتى طعن فسطاط الحسين بالرمح وقال عليّ بالنار لأحرقه على أهله فتصايحت النساء وخرجن من الفسطاط. وناداه الحسين: يا ابن ذي الجوشن، أنت تدعو بالنار لتحرق بيت على أهلي أحرقك الله بالنار! وقال له شبث بن ربعي: أمرعباً للنساء صرت؟ ما رأيت مقالاً أسوأ من مقالك وموقفاً أقبح من موقفك فاستحى وانصرف.

٣. ((فلما رأى ذلك عزرة بن قيس وهو على خيل أهل الكوفة أن خيله تنكشف من كل جانب، بعث إلى عمر بن سعد عبد الرحمن بن حصن فقال: أما ترى ما تلقى خيلي مذ اليوم من هذه العدة اليسيرة، ابعث إليهم الرجال والرماة، فقال: لشبث بن ربعي ألا تقدم إليهم، فقال: سبحان الله أتعمد إلى شيخ مصر وأهل مصر عامة تبعثه في الرماة، لم تجد من تندب لهذا ويجزي عنك غيري، وما زالوا يرون من شبث الكراهة لقتاله حتى قال أبو زهير العبسي سمعته في إمارة مصعب يقول: لا يعطى الله أهل هذا المصر خيرا أبدا ولا يسددهم لرشد، ألا تعجبون أنا قاتلنا مع على بن أبى طالب ومع ابنه من بعده آل أبى سفيان خمس سنين، ثم عدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية، ضلال يا لك من ضلال))[2].

---

(١) مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٣٨.

(٢) انظر: تاريخ الطبري٤: ٣٣٢.

الثالث: (عبيد الله بن الحر الجعفي) وكان عثماني العقيدة - كما يذكر بعض المؤرخين - ولأجله خرج إلى معاوية وحارب عليا يوم صفين[١]، وكان من زعماء العرب، ولكنه مع ذلك لّما اكتشف ظلم الأمويين وعدوانهم حاول منذ البداية أن يتجنب حرب الحسين، فخرج من الكوفة هرباً وتخلّصاً من ابن زياد، ولكنه التقى الحسين في الطريق، وعرض عليه الحسين نصرته فأبى مع انه يعرف الحقيقة كلها، ثم ندم بعد ذلك.

وهذه قصته: ((... ثم ارتحل الحسين من موضعه ذلك متيامناً عن طريق الكوفة، حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل، فنزلوا جميعا هناك، فنظر الحسين إلى فسطاط مضروب، فسأل عنه، فأخبر أنه لعبيد الله بن الحر الجعفي، وكان من أشراف أهل الكوفة وفرسانهم. فأرسل الحسين إليه بعض مواليه يأمره بالمصير إليه، فأتاه الرسول، فقال: هذا الحسين بن علي يسألك أن تصير إليه.

فقال عبيد الله: والله ما خرجت من الكوفة إلا لكثرة من رأيته خرج لمحاربته وخذلان شيعته، فعلمت أنه مقتول ولا أقدر على نصره، فلست أحب أن يراني ولا أراه. فانتعل الحسين حتى مشى، ودخل عليه قبته، ودعاه إلى نصرته.

فقال عبيد الله: والله إني لأعلم أن من شايعك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أغني عنك، ولم أخلف لك بالكوفة ناصرا، فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطة، فإن نفسي لم تسمح بعد بالموت، ولكن فرسي هذه الملحقة، والله ما طلبت عليها شيئا قط إلا لحقته، و لا طلبني وأنا عليها أحد قط إلا سبقته، فخذها، فهي لك. قال الحسين: أما إذا رغبت بنفسك

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون٣: ١٤٨.

عنا فلا حاجة لنا إلى فرسك))[١].

وندم ابن الحر على ما فاته من نصرة الحسين عليه السلام فأنشأ:

فيا لك حسرة مادمت حيا ... تردد بين صدري والتراقي
غداة يقول لي بالقصر قولا ... أتتركنا وتعزم بالفراق
حسين حين يطلب بذل نصري ... على أهل العداوة والشقاق
فلو فلق التلهف قلب حر ... لهمَّ اليوم قلبي بانفلاق
ولو واسيته يوماً بنفسي ... لنلت كرامة يوم التلاق
لقد فاز الأولى نصروا حسيناً ... وخاب الآخرون وذووا النفاق[٢]

ويشبه هذا الموقف موقف عمرو بن قيس المشرقي وابن عمه، الذين التقاهما الحسين عليه السلام أيضاً في نفس هذا الموضع، وطلب منهما النصرة، فاعتذروا بالعيال وأمانات الناس، فنصحهما الحسين عليه السلام بالابتعاد عن ارض المعركة[٣].

إن هؤلاء الأشخاص بالرغم من معرفتهم للحقيقة، وكرهم لقتال

---

(١) انظر: الأخبار الطوال: ٢٥٠ ــ ٢٥١.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٦٢، ذوب النضار: ٧٣. بتفاوت يسير.

(٣) عن عمرو بن قيس المشرقي قال: **((دخلت على الحسين عليه السلام أنا وابن عم لي وهو في قصر بني مقاتل فسلمنا عليه، فقال له ابن عمي: يا أبا عبد الله هذا الذي أرى خضاب أو شعرك، فقال خضاب والشيب إلينا بني هاشم يعجل، ثم أقبل علينا فقال: جئتما لنصرتي فقلت إني رجل كبير السن، كثير الدين، كثير العيال، وفي يدي بضايع للناس ولا أدري ما يكون، واكره أن أضيع أمانتي، وقال له ابن عمي مثل ذلك، قال لنا: فانطلقا فلا تسمعا لي واعية ولا تريا لي سوادا، فانه من سمع واعيتنا، أو رأى سوادنا فلم يجبنا ولم يغثنا كان حقا على الله عز وجل أن يكبه على منخريه في النار))**. ثواب الأعمال: ٢٥٩.

الحسين وإدراكهم للمصير الأسود، الذي سوف ينال قتلة الحسين ومحاربيه أو المتخاذلين عن نصرته، ويدركون لأجل ذلك بدرجات متفاوتة السعادة الأبدية للشهادة بين يديه، وكانوا يعرفون ظلم بني أمية وطغيانهم، إلا أنهم بالرغم من كل ذلك اختاروا طريقاً آخراً لا ينسجم مع هذه المعرفة؛ بسبب الخوف أو الطمع والأغراء وحب الدنيا ومرض القلب والضمير وفقدان الإرادة.

موقف الحسين إزاء فقدان الإرادة

كان الإمام الحسين عليه السلام يعرف منذ البداية أن الحكم اليزيدي والحقد الأموي وسلوك المجموعة الشريرة المحيطة بيزيد - مضافا إلى ما كان لديه من معلومات غيبية موروثة عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله - سوف يؤدي بالأُمويين إلى ارتكاب أفضع الجرائم واستخدام أشنع الأساليب في الضغط عليه.

ولذلك احتاط لكل الاحتمالات، كاصطحابه للنساء والأطفال من أهل بيته؛ لئلا يتم استخدامهم كرهائن للضغط عليه، ولمواصلة الموقف الرافض من خلالهم بعد استشهاده، وسجل مواقفا عالج بها فقدان الارادة عند الامة:

أ) فقد عالج عليه السلامالسبب الأول وهو (الإرهاب والقمع)، بالصبر والصمود والاستعانة بالله تعالى.

ولعل أروع نص يعبر عن هذه الرؤية وهذا الخط من العلاج، هو خطبته عند الخروج من مكة متوجهاً لأرض العراق، علماً بأن تطورّ الأحداث حتى ذلك الوقت كان لصالح الإمام الحسين عليه السلام، حيث قال: ((الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله وسلم، خط الموت على ولد ادم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق

يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا فيملانٌ مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حضيرة القدس تقرّ بهم عينه وينجز بهم وعده.

من كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فأني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى))[1].

واستمر هذا الموقف منه طيلة الرحلة إلى كربلاء بالرغم من تطور الأوضاع بشكل سلبي، كما أن موقفه في يوم عاشوراء منذ البداية وحتى النهاية يعبّر عن هذا الموقف وهذه المفاهيم قولاً وعملاً، حيث خطب نهار يوم عاشوراء قبل بدأ القتال، فقال: بعد أن حمد الله وأثنى عليه: ((إن الله تعالى أذن في قتلكم وقتلي في هذا اليوم فعليكم بالصبر والقتال))، كما عبر منذ البداية عن الثقة بالله والتوكل عليه من خلال دعائه الأول يوم عاشوراء، كما كان يستشهد في مواقفه بالآيات الكريمة: كقوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[3]

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ

---

(١) بحار الانوار ٤٤: ٣٦٧.

(٢) يونس: ٧١.

(٣) الأعراف: ١٩٦.

بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١).

كما أن أروع النصوص التي تعبر عن هذا الموقف يوم عاشوراء هو دعاؤه بعد أن سقط على الأرض صريعاً وقد اشتدّ به الحال.

ونجد هذا واضحاً أيضاً في مجمل وصاياه لأهل بيته عليهم السلام وعياله وأصحابه، والتي تكررت في يوم عاشوراء، والتي يؤكد فيها أنَّ الصبر سينتصر في النهاية.

ولاشك أنَّ أفضل أسلوب لمواجهة الإرهاب والقمع هو الصبر والصمود والاستمرار في المقاومة، والاستعانة بالله تعالى في كل ذلك، والاستمداد من قدرته العظيمة التي هي أكبر من كل قوة وقدرة.

ولذلك يشير القرآن الكريم إلى هذا الإسلوب والمنهج في قضية موسى عليه السلام بعد تهديد فرعون لموسى وقومه: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۞ قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾(٢).

وقد أكدّ القرآن الكريم على الصبر والثبات، واهتم بتربية الإنسان المؤمن على هذا الخلق الإسلامي العالي، واستخدم جميع الوسائل لتثبيت النبي والمؤمنين، حتى كان أحد أهداف نزول القرآن الكريم التدريجي هو تحقيق هذا الهدف: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾(٣).

ومن هنا نجد أن من الواجب والضروري لكل امة لا تريد لإرادتها

---

(١) هود: ٥٦.

(٢) الأعراف: ١٢٨-١٢٩.

(٣) الفرقان: ٣٢.

الانهيار وبالتالي تصبح أسيرة للخوف والإرهاب، أن تكون شجاعة وصلبة وقوية في مواجهة القمع والقسوة والإرهاب، ولابد لها أن تتغلب على الخوف حتى تكون قادرة على اختيار الموقف الصحيح في اللحظة المناسبة. والطغاة مهما تجبروا وطغوا فإنهم اضعف من صبر الأمة ومقاومتها وطاقتها وإمكانياتها المحمية بالقدرة الآلهية التي لا حدود لها.

وقد استنكر القران الكريم قضية الاستسلام للخوف والإرهاب تحت شعار الاستضعاف والخوف، واعتبر ذلك ظلماً للنفس وسبباً لاستحقاقها اشد ألوان العذاب من الله، ودعا الإنسان إلى التوسل بجميع الوسائل، ومنها الهجرة إلى مكان آخر واستبدال المواضع ما دام ذلك ممكناً، ولا يصح له أن يستسلم للظلم والخوف، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾[1].

فالقرآن الكريم في هذه التعليمات يعالج قضية الخوف والإرهاب الذي يسبب فقدان الإرادة، وهذا ما لم تفعله الأمة في عصر الإمام الحسين عليه السلام، حيث استسلم عدد كبير منها للخوف والإرهاب، ورضخوا لظلم ابن زياد الذي كان يقتل على الظنة والتهمة، وبالتالي فقدوا إرادتهم وخرجوا يقاتلون الإمام الحسين عليه السلام - وكان ذلك احد الأسباب المهمة والرئيسية لوقوع الفاجعة والمأساة - في حين كان أمامهم خيار آخر - على أقل تقدير- وهو أن يهاجروا في سبيل الله وفي أرضه الواسعة، للخلاص من العار والشنار الذي أصابهم في الدنيا وسيلاحقهم في الآخرة.

---

(١) النساء: ٩٧.

ومن هنا فالقرآن الكريم يقول في تعيين مصيرهم عند الله: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[1].

لقد ضرب الأمام الحسين عليه السلام بكل مواقفه وأقواله أروع الأمثلة في الصمود والصبر في مواجهة القمع والإرهاب، والسيطرة على العواطف والانفعالات وتحطيم جدران الخوف وحواجزه، والتوكل على الله واللجوء إليه تعالى دون أن يتردد أو تتزعزع إرادته، حتى وهو يرى أصحابه وأهل بيته يتساقطون الواحد تلو الآخر، ويرى الأطفال يذبحون ويتضورون من العطش وستتعرض عياله لأشد الأخطار، ومع كل هذا يستمر على نفس الوتيرة وهو يثّبت الآخرين، ويأمرهم بالصبر والتحمل والاستعانة بالله تعالى.

ب. كما أن الحسين عليه السلام احتاط لمواجهة السبب الثاني من أسباب فقدان الإرادة وهو (الجهل والتظليل الإعلامي)، ولذا قام بعمل إعلامي واسع للتعريف بأهدافه وأسباب نهضته - وهو (الإصلاح) في أمة جده وإقامة (العدل) - سواء في وصيته عند خروجه من المدينة، أم في رسائله التي كتبها إلى الأمصار والشخصيات الإسلامية الكبيرة، أم في خطاباته وأحاديثه العامة التي كان يستند فيها إلى الآيات القرآنية وحديث جده رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقد قام عليه السلام بالتعريف بشخصيته وانتسابه إلى رسول الله، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله عنه وعن أخيه الحسن عليهما السلام، من إنهما سيدا شباب أهل الجنة.

وفي اخذ العهود والمواثيق وإضفاء الطابع الجماهيري على نهضته، وإنها تلبية لدعوة الناس له لتحمل المسؤولية تجاه الظلم والطغيان، وهذا ما كان يؤكد عليه في أحاديثه مع أهل الكوفة منذ لقائهم وحتى مقتله الشريف، كما كان يؤكد على ذلك أيضاً عندما كان ينصحه البعض بالانصراف.

---

(١) النساء: ٩٧.

وفي تأكيده على الزهد بالدنيا وعدم رغبته بالمناصب أو الحكم.

لقد قام الإمام الحسين عليه السلام بعمل إعلامي واسع آنذاك، الأمر الذي يدلل على أهمية هذا العمل من ناحية، ومن ناحية أخرى يشير إلى أن ما تركته النهضة من آثار في وضوح مشروعية حركته عليه السلام إنما كان نتيجة طبيعية لمثل هذا التحرك الواسع.

مضافاً إلى ما اشرنا إليه من أن حقيقة الزيف الأموي قد تكشفت للناس، من خلال الفترة السابقة التي طغى فيها معاوية وتعدى الحدود واستهتر بالحرمات ونقض المواثيق واستعمل الظلم والجور كمنهج عام لحكمه.

ج. وأما السبب الثالث من أسباب فقدان الإرادة وهو (الإغراء) فقد واجهه الحسين عليه السلام بشكل رئيسي:

تارة: بالتأكيد على إثارة كوامن الفطرة الإنسانية في الحرية، والكرامة، والعزة، والإباء، والوفاء، وحب الخير، والعدل، ورفض الشر، والظلم والعدوان.

وأخرى: بتحريك واستدرار العواطف والمشاعر الإنسانية العامة في قضايا الأطفال والنساء والجوع والعطش والآلام والمعاناة، والذي نجده في تفاصيل الكثير من مواقف عاشوراء.

وثالثة: الاستفادة مما تبقى في أذهان وقلوب المسلمين من حب وارتباط بالنبي صلى الله عليه وآله، وابراز كونه ابن بنته صلى الله عليه وآله، وتذكيرهم بعلاقته العاطفية والروحية به صلى الله عليه وآله وان عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وفرسه ومواريثه الشخصية لديه.

ورابعة: بالتحذير من نزول الانتقام الآلهي بهم بسبب أدعيته عليه السلام وفي مواضع متعددة بنزول هذا الانتقام أو بسبب ظلمهم له وقتلهم إياه، سواء من خلال بعض الكرامات التي شاهدوها في يوم عاشوراء[1]، أم الأحاديث التي

---

(١) عن عطاء بن السائب عن عبد الجبار بن وائل الحضرمي عن أخيه مسروق بن وائل قال: **((كنت في أوائل الخيل ممن سار إلى الحسين فقلت أكون في أوائلها؛ لعلي أصيب**

ذكر فيها هذا الأمر، وأنه عهد النبي وسنّة من سنن التأريخ.

د. وأما السبب الرابع من أسباب فقدان الإرادة وهو (اليأس)، فقد عالجه الإمام الحسين عليه السلام من خلال عدة أمور:

منها: توضيح المعنى الحقيقي للنصر والفتح الذي لايعني مجرد الغلبة المادية العسكرية في حلبة المعركة، أو الوصول إلى السلطة والحكم، وإنما يعني انتصار القيم والمثل، وتحقق الأهداف السامية في حياة الأمة ووجودها، وهذا المعنى هو الذي عبر عنه عليه السلام بشكل مختصر عندما قال: ((ومن لم يلحق بنا لم يبلغ الفتح)).

ومنها: التأكيد على الأجر والثواب والدرجات العالية عند الله تعالى، وما يحصل عليه ويلقاه الشهداء والسائرون في طريقهم من جنات عدن، ومساكن طيبة، ورضوان من الله تعالى. حيث أن مصير الإنسان الحقيقي وحياته الأبدية إنما هي مرهونة بهذه المواقف والأعمال وتحمل المسؤولية.

ومنها: التأكيد على مبدأ انجاز الوظيفة الآلهية، والاستجابة للموقف الشرعي ولنداء الواجب، والوقوف إلى جانب الحق والعدل من زاوية الصراع الواسع بين الحق والباطل في التأريخ، وكمسؤولية يتحملها الإنسان

رأس الحسين فأصيب به منزلة عند عبيد الله بن زياد، فلما انتهينا إلى حسين تقدم رجل من القوم يقال له ابن حوزة قال: أفيكم حسين، قال: فسكت حسين، فقالها ثانية، فسكت حتى إذا كانت الثالثة، قال: قولوا له نعم هذا حسين فما حاجتك؟ قال: يا حسين، أبشر بالنار! قال: كذبت، بل أقدم على رب غفور وشفيع مطاع فمن أنت؟ قال: ابن حوزة، فرفع الحسين يديه حتى رأينا بياض إبطيه من فوق الثياب، ثم قال: اللهم حزه إلى النار، فغضب ابن حوزة فذهب ليقحم إليه الفرس وبينه نهر فعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس فسقط عنها، فانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقى جانبه الآخر متعلقا بالركاب، فرجع مسروق وترك الخيل من ورائه، قال فسألته فقال: لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئا، لا أقاتلهم أبدا)). تاريخ الطبري ٤: ٣٢٨

في مسيرة هذه الحياة بامتداداتها الواسعة في عمق الزمن والتأريخ، بعيداً عن موازنة المصالح الخاصة الضيقة أو الرؤية المحدودة للأشياء والزمن والنتائج والآثار.

ومنها: التأكيد على أن صراعه المادي والعسكري مع القوم، إنما هو جولة واحدة من الصراع الذي يخوضه مع الأمويين، وسوف تستمر المعركة في الأجيال الآتية أيضاً، لأنه عليه السلام كخط، وإمامة، وأُمة، سوف يكون له امتداد حقيقي ومادي في حركة التأريخ، وسوف يجد المجرمون كأشخاص الانتقام علىٰ يد الثوار الذين يأتون بعد الحسين عليه السلام ليأخذوا بثأره، وبذلك سوف يخسرون الدنيا والآخرة معاً.

وهذا ما عبّر عنه الإمام الحسين عليه السلام في رؤيته للمستقبل القريب عندما قال: ((لا والله لا يدع أحداً منهم إلا انتقم لي منه، قتلة بقتلة وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم))[1].

وهذا مال حصل بالفعل في ثورة التوابين وثورة المختار.

ومما يؤكد كل هذه الحقائق والرؤية هو ما شهده التأريخ الإسلامي من مواقف وتطورات بعد الحسين عليه السلام في العصور المختلفة، حيث نجد في التأريخ الإسلامي تحركاً ثورياً واسعاً بدأ من ثورة الحسين عليه السلام وامتدّ طيلة زمن الأمويين والعباسيين، وكان له آثار مهمة على مجمل المضمون السياسي والثقافي والروحي للأُمة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، وكان الشعار الرئيسي لهذا التحرك هو (الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله)، الذي كان يمثله الإمام الحسين عليه السلام.

فهذه الحقيقة تدل على أنّ ثورة الحسين عليه السلام تمكنت من أن تحقق هدفها الرئيسي، وهو إيقاظ ضمير الأمة من ناحية، وتحرير إرادتها من ناحية أخرى. وذلك من خلال معالجة أسباب موت الضمير وفقدان الإرادة فيها.

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٠، باب٣٧.

فهي ثورة هادفة، وناجحة في تحقيق أهدافها[١].

---

(١) وعندما نقارن هذه المأساة الإنسانية وخلفياتها وأسبابها بما يجري من الأوضاع في العراق، نجد نفس تلك الصور، والجماعات والأشخاص والمشاعر في جوانبها الإيجابية وفي جوانبها السلبية، وسواء على مستوى فقدان الإرادة أم على مستوى موت الضمير، أم على مستوى التضحية والفداء والإخلاص.

فهناك الكثير من الأشخاص الذين تتحسس ضمائرهم ويعرفون الحقيقة، ويدركون الحق، ويتألمون لما يجري في العراق، ولكنهم لا يملكون إرادتهم، ولا يملكون القدرة على التحرك ولو بكلمة.

كما أن في العراق أُناسا وحوشا، لا يقلّون وحشية عن أُولئِك الذين حاربوا الحسين عليه السلام وقتلوه وأهل بيته وأصحابه وعرّضوهم لألوان من الأذى والعذاب، حيث نجد أن كل عراقي الآن يعيش مأساة خاصة به وراءها وحش من الوحوش يجمعها النظام المجرم الذي يمثّل فيه صدام شخصية عبيد الله بن زياد.

وقضية استشهاد السيد محمد باقر الصدر قدس سره هي إحدى أبرز هذه المآسي في حياة الأُمَّة، باعتبار أنّ هذا الإنسان العظيم الواعي ذو الضمير الحي الذي يملك إرادته قُتل قتلة وحشية بعد حصار دام سنة كاملة ذاق خلالها وتجرع أنواع الأذى والألم والخوف والرعب له ولأطفاله ولنسائه، وبعد ذلك يؤخذ ويقتل بشكل وحشي هو وأخته العالمة الفاضلة بنت الهدى، وبعد التعذيب الشديد يدفن بشكل يدل على الوحشية، ويدل على اللؤم والخبث.

وكذلك قضية استشهاد العلماء الخمسة من أبناء الإمام السيد محسن الحكيم، وبقية أبناء الأسرة من أحفاد وأولاد عمومته البالغ عددهم عشرين شخصاً من العلماء والأفاضل، والذين أُخذوا رهائن ثم قتلوا صبراً بعد التعذيب الوحشي ودفنوا سرا.

واعتقل جميع أبناء الأسرة البالغ عددهم أكثر من ستين فرداً، وهكذا نشاهد هذه المأساة في كثير من الأسر العلمية والمراكز الدينية، بل في مدن بكاملها، حيث تمَّ قتل وإبادة الآلاف منها في عمليات وحشية مدبرة.

نحن الآن نعيش حالة مشابهة إلى حدّ بعيد بالحالة التي كان يعيشها أبو عبد الله الحسين عليه السلام في ذلك العصر، ونحتاج إلى دماء زكية طاهرة كالدماء التي أُريقت في كربلاء من أجل إحياء الضمائر عند أُولئك الذين ماتت ضمائرهم، وتحطيم حاجز الخوف والرهبة لدى فاقدي الإرادة. (منه قدس سره).

الفصل الخامس

المستجدات والخصائص

مستجدات النهضة الحسينية

إن تشخيص المستجدات التي واجهها الإمام الحسين عليه السلام مسألة مهمة جدا، كما أنّ تفسير مواقفه عليه السلام ودراسة الخطوات التي قام بها هو الآخر مهم ونحتاج إليه، لا لتبرير مواقفه عليه السلام، إذ لسنا بحاجة إلى ذلك بعد الاعتقاد بعصمته، بل للاستفادة من تلك المواقف الحسينية في سلوكنا وعملنا ومواقفنا، فلو شخّصنا الحالة التي واجهها الإمام الحسين عليه السلام، أمكن لنا أن نتّخذ نفس الموقف الذي اتّخذه الإمام الحسين عليه السلام في كل حالة مشابهة، تجتمع فيها نفس الشروط والخصائص والمواصفات.

ومن هنا يمكن أن نواجه بالسؤال التالي: ما هي المستجدات التي حدثت أمام الحسين عليه السلام في سنة (٥٩) للهجرة، بحيث لم تكن موجودة في زمن غيره من الأئمة عليهم السلام حتى أنها أدّت إلى أن يقوم بثورته ويشهر السلاح ضد السلطة، وبالتالي تقع تلك المأساة التي لا زالت تعيش في ضمير الأُمّة الإسلامية جمعاء؟

ويكون السؤال أكثر إلحاحا بالنسبة للذين يتولَون الأئمة عليهم السلام ويعتقدون بعصمتهم، وكونهم خطاً واحداً وحقيقةً واحدة.

وقبل الجواب نشير إلى مجموعة من الحقائق التي قد يُتصور أنها هي المستجدات، وهي:

الحقيقة الأُولى: إنّ الحسين وأهل البيت عليهم السلام - بشكل عام - يدركون أنَّ حكم معاوية بن أبي سفيان كان حكماً ظالماً منحرفاً، يمثل الطغيان والاستهتار بالإسلام، ويمثل العدوان على الناس وعلى أموالهم وعزّتهم وشرفهم وكرامتهم.

وهذه الحقيقة من الحقائق التي كانت موجودة وثابتة، وهي كما كانت

موجودة في سنة ٦٠هـ، كانت موجودة قبل ذلك ومنذ أن تولى معاوية الخلافة، وقد عبّر الإمام الحسين عليه السلام عن هذه الحقيقة في رسالته إلى معاوية بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام[١].

حيث أوضح فيها بشكل صارخ الجرائم التي قام بها معاوية، والحيف والظلم الذي أصاب الأمة بسبب حكمه الجائر، وبالتالي فلا يوجد شيء جديد يمكن أن نسمّيه أنه حكم منحرف، إذ إنّ هذا الحكم المنحرف كان قائماً قبل سنة ٦٠هـ.

الحقيقة الثانية: إنّ الحسين عليه السلام عاصر الظروف القاسية التي مرّت على أخيه الحسن عليه السلام، وكان موقفه مطابقاً تماماً لموقف الإمام الحسن عليه السلام من معاوية، بل لا يمكن افتراض أنّ الموقفين كانا مختلفين، ويشهد لذلك قول الحسين عليه السلام لحجر بن عدي لما أُبرم أمر الصلح، حيث جاء ومعه عبيدة بن عمرو وقلبه يلتهب نارا فدعا الإمام إلى إثارة الحرب قائلا: ((أبا عبد الله شريتم الذل بالعز، وقبلتم القليل وتركتم الكثير، أطعنا اليوم، واعصنا الدهر، دع الحسن وما رأى من هذا الصلح، واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها، وولني وصاحبي هذه المقدمة، فلا يشعر ابن هند إلّا ونحن نقارعه بالسيوف، فقال الحسين عليه السلام: إنا قد

---

(١) جاء في جواب الحسين عليه السلام على رسالة بعثها إليه معاوية((... **ألست قاتل حجر بن عدي أخي كندة وأصحابه الصالحين المطيعين العابدين، كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون المنكر والبدع، ويؤثرون حكم الكتاب، ولا يخافون في الله لومة لائم، فقتلتهم ظلما وعدوانا، بعدما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة، والمواثيق المؤكدة، لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا باحنة تجدها في صدرك عليهم، أو لست قاتل عمرو ابن الحمق صاحب رسول الله، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فصفرت لونه، ونحلت جسمه، بعد أن أمنته وأعطيته من عهود الله عزّ وجلّ وميثاقه ما لو أعطيته العصم ففهمته لنزلت إليك من شعف الجبال، ثم قتلته جرأة على الله عزّ وجلّ، واستخفافا بذلك العهد...))**. الاحتجاج٢: ٢٠.

بايعنا وعاهدنا ولا سبيل لنقض بيعتنا))[١].

كما يشهد لذلك امتناع الحسين عليه السلام خلع معاوية عندما طُلب منه ذلك، حيث ورد في بعض النصوص التأريخية أنّه: ((لما مات الحسن بن علي عليهما السلام تحركت الشيعة بالعراق وكتبوا إلى الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له، فامتنع عليهم وذكر أنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه، فإن مات معاوية نظر في ذلك..))[٢].

وبالتالي فالمسؤوليات التي تحملها الحسن عليه السلام هي بعينها قد تحمّلها الحسين عليه السلام، وعليه فلا يمكن افتراض أنّ الشيء المستجدّ الذي دعا الحسين عليه السلام للقيام بثورته هو: أنّه تحمّل في سنة ٦٠هـ - أي بعد استشهاد أخيه بتسع سنين تقريباً - مسؤوليات جديدة لم يكن قد تحمّلها في السابق.

نعم، لو أنّ الحسين عليه السلام قام بالنهضة بعد وفاة الحسن عليه السلام مباشرة أو بعد سنة - مثلاً- لكان من الممكن أن يقال: إنّ الموقف قد اختلف، وإنّ الحسين عليه السلام لم يكن يتحمّل المسؤوليات في زمن أخيه، ولكن بعد وفاته وتصديه للإمامة تحمّل المسؤوليات بشكل مباشر، وبالتالي تصدّى لهذه القضية، ولكن هذا لم يحصل.

إذن، فمسألة أن الإمام الحسين عليه السلام قد تحمّل مسؤوليات جديدة، أو له نظرة أو موقف جديد يختلف عن موقف الإمام الحسن عليه السلام، لا يمكن أن يكون هو الأمر المستجد الذي على أساسه تحرك الحسين عليه السلام وقام بنهضته المباركة.

الحقيقة الثالثة: إن تحرّك أهل الكوفة لم يكن شيئاً جديداً - فلا يقال أنّ الحالة التي واجهها الحسين عليه السلام هي تواتر الكتب والرسائل من أهل الكوفة

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٢٠.

(٢) أنظر: الإرشاد٢: ٣٢.

تحرّضه على الثورة - وإنّما كان موجوداً في زمن معاوية، بل وحتى في زمن الإمام الحسن عليه السلام، حيث كانت الكوفة مستعدة لقتال معاوية، ويشهد لذلك قول المسيب بن نجية الفزاري وسليمان بن صرد الخزاعي للحسن بن علي عليه السلام: ((ما ينقضي تعجبنا منك، بايعت معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من الكوفة سوى أهل البصرة والحجاز! فقال الحسن عليه السلام: كان ذلك فما ترى الآن؟ فقال: والله أرى أن ترجع؛ لأنه نقض العهد. فقال: يا مسيب إنّ الغدر لا خير فيه ولو أردت لما فعلت))[1].

كما تحركت الكوفة بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام، من خلال الاتصال بالحسين عليه السلام، والتحدث معه في قضية الثورة ومواجهة النظام الحاكم، إلّا أنّه عليه السلام امتنع عليهم معللاً ذلك بأنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه[2].

إذن، فمسألة التحرّك في الكوفة ليست هي الشيء الجديد المطروح الذي واجهه الإمام الحسين عليه السلام، وإنما لابدّ أن نفترض أنّ هناك حالة مستجدَة حدثت، واجهها عليه السلام، وأدّت به إلى أن القيام بهذا التحرّك.

إن المستجدات التي واجهها الحسين عليه السلام يمكن توضيحها من خلال أربع أمور مهمة، عندما تجتمع ويتّحد بعضها مع البعض الآخر فسوف تمثل الحالة التي واجهها عليه السلام، وهذه الأمور، هي:

الأمر الأول: التهديد الحقيقي لبيضة الإسلام

ذكر الفقهاء في بحث الجهاد: إذا تعرّضت بيضة الإسلام وتعرّضت العقيدة الإسلامية إلى تهديد حقيقي، بحيث يُخاف عليها أن تُمحى من

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٩٧.

(٢) انظر: الإرشاد ٢: ٣٢.

الوجود، ففي مثل هذه الحالة يكون الجهاد واجباً على كل شخص قادر على التحرّك[1].

ويصنّف الجهاد إلى: جهاد دفاعي، وجهاد هجومي أو ابتدائي من أجل نشر الإسلام، والجهاد الدفاعي هو الجهاد الذي يتعرّض فيه المسلمون إلى مثل هذه الحالة[2].

وقد كان الإمام الحسين عليه السلام يشعر أنّ العقيدة الإسلامية أصبحت مهددة تهديداً حقيقياً بخلافة يزيد بن معاوية.

صحيح، إنّ معاوية حاكم جائر منحرف، ولكنه لم يمس القضايا الإسلامية والشعائر الإسلامية والعقيدة الإسلامية بشكل علني ومفضوح، ولم يقف بوجه أولئك الذين يعملون من أجل الإسلام، بل كانوا يتحرّكون في المجتمع، وبالتالي فالخطر على الدين وعلى العقيدة والنظام لم يكن موجوداً في زمن معاوية كما كان في زمن يزيد.

ومن هنا نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام عندما يتحدث عن يزيد، لا يقول: إنّه يشرب الخمر فقط - إذ إنّ كثير من الملوك والخلفاء المسلمين في العصور المختلفة كانوا يشربون الخمر، ويرتكبون الكثير من المعاصي - لكن كان

---

(١) ورد في منهاج الصالحين للسيد الخوئي قدس سره المسألة (٥٧) من كتاب الجهاد: ((يجب على كل مسلم الدفاع عن الدين إذا كان في معرض الخطر، ولا يعتبر إذن الإمام عليه السلام بلا إشكال ولا خلاف...)). وهذا هو مذهب فقهاء الإمامية وغيرهم.

(٢) عندما أفتى علماء الإسلام في النجف الأشرف بالجهاد إلى جانب الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى كان الملاك في ذلك هو هذه الحالة، حيث اعتقدوا أن دخول الإنجليز إلى العراق سوف يهدد العقيدة الإسلامية، وبالتالي فلابدّ أن يواجهوا هذه الحالة بالجهاد والقتال، فرفعوا راية القتال وقاتلوا الإنجليز على هذا الأساس. **(منه قدس سره)**.

يقول عنه: إنه معلن الفسق والفجور.

إذن، فالقضية قضية الإعلان بتعاطي الأعمال الشريرة والمنحرفة والإجرامية، كالفجور، وشرب الخمر، واللعب بالكلاب بشكل علني، والاستهزاء بالصلاة والإسلام والشعائر الإسلامية والقيم والمبادئ بشكل علني أيضاً، ومعرفة الناس وفي جميع الاقطار بذلك، فهذا الإنسان بهذه المواصفات يراد له أن يكون خليفة المسلمين، ويتصرّف في كل شؤونهم! وهناك جملة من النصوص والأحاديث والكلمات منه عليه السلام وغيره تدل على هذه الحقيقة:

منها: ما ورد في جواب الحسين عليه السلام على رسالة بعثها إليه معاوية: ((..فابشر يا معاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أن لله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله بناس لأخذك بالظنة وقتلك أولياءه على التهم، ونفيك إياهم من دورهم إلى دار الغربة وأخذك الناس ببيعة ابنك الغلام الحدث يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب ما أراك إلا قد خسرت نفسك، وتبرت دينك، وغششت رعيتك وسمعت مقالة السفيه الجاهل واخفت الورع التقي، والسلام.))[1].

ومنها: ما ورد عنه عليه السلام مخاطباً والي المدينة، عندما طلب منه البيعة ليزيد: ((...إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله)).

---

(١) اختيار معرفة الرجال ١: ٢٥٧، الدرجات الرفيعة:٤٣٦.

وهناك نصوص أخرى يبين فيها الإمام الحسين عليه السلام حقيقة يزيد بن معاوية[١].

ثم إن هذه الحقيقة لم تكن خافية على المسلمين، فها هو يزيد بن مسعود النهشلي يخاطب بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، ويدعوهم لنصرة الحسين عليه السلام فيقول: ((يا بني تميم كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم ؟

فقالوا: بخ بخ أنت والله فقرة الظهر ورأس الفخر، حللت في الشرف وسطا وتقدمت فرطا، قال: فاني قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاوركم فيه وأستعين بكم عليه، فقالوا: نمنحك النصيحة ونجهد لك الرأي فقل حتى نسمع، فقال: إنّ معاوية مات فأهون به والله هالكا ومفقودا، إلا وإنه قد انكسر باب أحد بيعة عقد بها أمرا ظن أنه قد أحكمه وهيهات والذي أراد

---

(١) كالخطبة التي خطبها عليه السلام في يثرب أمام معاوية، بعد أن عرض معاوية على الحسين عليه السلام وعبد الله بن عباس البيعة لابنه يزيد، وأخذ يمتدحه ويمنحه الألقاب الفخمة والنعوت الكريمة. فانبرى إليه الحسين عليه السلام قائلا: **((أما بعد: يا معاوية، فلن يؤدي المادح وإن أطنب في صفة الرسول صلى الله عليه وآله من جميع جزءا، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من إيجاز الصفة، والتنكب عن استبلاغ النعت، وهيهات هيهات يا معاوية فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حق من اسم حقه من نصيب، حتى اخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل. وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله، وسياسته لأمة محمد صلى الله عليه وآله تريد أن توهم الناس في يزيد كأنك تصف محجوبا أو تنعت غائبا، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش والحمام السبق لأترابهن، والقيان ذوات المعازف، وضروب الملاهي تجده ناصرا، ودع عنك ما تحاول: فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لا قيه، فو الله ما برحت تقدح باطلا في جور، وحنقا في ظلم، حتى ملأت الاسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص))**. الإمامة والسياسة ١: ٢٠٨.

اجتهد والله ففشل وشاور فخذل وقد قام ابنه يزيد شارب الخمور ورأس الفجور يدعى الخلافة على المسلمين، ويتأخر عليهم بغير رضى منهم مع قصر حلم وقلة علم لا يعرف من الحق موطئ قدميه، فاقسم بالله قسما مبرورا لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين...))[1].

وهكذا عشرات النصوص والأحاديث الواردة على لسان الشخصيات البارزة في المجتمع الإسلامي آنذاك[2].

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٢٧.

(٢) فقد وصفه عبد الله بن الزبير في خطبة له: ((يزيد القرود، يزيد الفهود، يزيد الخمور، يزيد الفجور! أما والله لقد بلغني إنه لا يزال مخمورا يخطب الناس وهو طافح في سكره)). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ١٣٣.

وقد خاطب عبد الله بن حنظلة أهل المدينة في وقعة الحرة، فقال: ((يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إن رجلا ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسنا)). الطبقات الكبرى٥: ٦٦.

وكره المنذر بن الزبير بيعة يزيد، وشجبها، وأدلى بحديث له عن فجور يزيد أمام أهل المدينة فقال: ((انه قد أجازني بمائة ألف، ولا يمنعني ما صنع بي أن أخبركم خبره، والله إنه ليشرب الخمر، والله إنه ليسكر حتى يدع الصلاة)) تاريخ الطبري٤: ٣٦٩، ولما شاع استهتار يزيد واقترافه لجميع ألوان المنكر والفساد، استدعاه معاوية فأوصاه بالتكتم في نيل الشهوات لئلا تسقط مكانته الاجتماعية، قائلا:

يا بني ما أقدرك على أن تصير إلى حاجتك من غير تهتك يذهب بمروئتك وقدرك ثم انشده:

انصب نهارا في طلب العلى ❊ واصبر على هجر الحبيب القريب

حتى إذا الليل أتى بالدجى ❊ واكتحلت بالغمض عين الرقيب

فباشر الليل بما تشتهي ❊ فإنما الليل نهار الأريب

كم فاسق تحسبه ناسكا ❊ قد باشر الليل بأمر عجيب

البداية والنهاية ٨: ٢٥٠.

ومثل هذه النصوص تدل على أن هناك شعوراً لدى المسلمين في أنَّ يزيد يمثّل حالة جديدة - من الناحية الدينية والإسلامية - تختلف تماماً عن الحالة التي كان يعيشها المسلمون في زمن معاوية.

الأمر الثاني: القمع اليزيدي

إن النظام الحاكم المنحرف، تارة يكون نظاماً قمعياً يقتل على الظنة والتهمة، ويستهتر بالكرامات والقيم والمثل، ويمارس أعمال الإجرام والإرهاب والقمع بدرجة عالية، بحيث لا يمكن لأي أحد من الناس أن يتنفّس.

وأُخرى يكون النظام منحرفا، ولكنه يعطي شيئاً من الحرية للناس، بحيث يكونون قادرين على التحرّك وممارسة بعض الأعمال، ويدعون إلى الله سبحانه وتعالى في ظل ذلك الحكم، ولو بشكل من الأشكال.

وقد كان نظام يزيد - كما تدل على ذلك مواقفه، وتقييم المسلمين له - يمثل درجة عالية من القمع، لا تسمح بأي لون من ألوان التحرك السياسي الآخر غير حمل السلاح ومواجهة النظام الطاغوتي الذي يَكُم الأنفاس ولا يترك أي فرصة للتحرك.

ويمكن أن نعرف ذلك من خلال السنوات الثلاث التي حكم فيها، ففي السنة الأُولى أباد عترة رسول الله ﷺ وقتل الحسين عليه السلام في تلك الواقعة الرهيبة.

وفي السنة الثانية أباح المدينة ثلاثة أيام، وقتل المئات من رجال المهاجرين والأنصار، وهتك الأعراض، واستهتر بأهل المدينة، وأخذ منهم صك العبودية، وأخذ من كل واحد منهم توقيعاً على أنه عبد ليزيد[1]، واستثنى

---

(١) ذكر ابن حجر في الإصابة: ((..وقد أفحش مسلم القول والفعل بأهل المدينة، وأسرف في قتل الكبير والصغير حتى سموه مسرفا، وأباح المدينة ثلاثة أيام لذلك والعسكر ينهبون ويقتلون ويفجرون، ثم رفع القتل وبايع من بقي على أنهم عبيد ليزيد بن معاوية)) الاصابة٦: ٢٣٢.

منهم علي بن الحسين عليه السلام وأهل بيته[١].

وفي السنة الثالثة هاجم مكة المكرّمة، ولكنه هلك قبل استيلاء عقبة على الكعبة ومكة المكرّمة[٢].

فيزيد كان يمارس هذه الدرجة العالية من القمع، التي لا تسمح بأي لون من ألوان التحرّك السياسي الآخر، الذي يمكن لأي قائد أن يمارسه في الأمّة.

ويتضح ذلك - أيضاً - من خلال الرسالة التي بعثها إلى الوليد بن عتبة الذي كان والياً على المدينة، حيث جاء فيها:((فخذ حسيناً، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام))[٣].

وفي رواية أخرى: إنّه أمر الوليد بأخذ البيعة على أهل المدينة، وخاصة الحسين، ويقول: إن امتنع عليك فاضرب عنقه وابعث برأسه إليّ[٤]، مع أنّ معاوية كان قد أوصاه - إن صحت الرواية - بالرفق بالحسين، كما يذكر

وذكر الحموي في معجم البلدان: ((.. وخرج إليه - أي إلى عقبة قائد جيش يزيد- أهل المدينة يحاربونه، فكسرهم وقتل من الموالي ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل، ومن الأنصار ألفا وأربعمائة، وقيل ألفا وسبعمائة، ومن قريش ألفا وثلاثمائة، ودخل جنده المدينة فنهبوا الأموال وسبوا الذرية واستباحوا الفروج، وحملت منهم ثمانمائة حرة وولدن، وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحرة، ثم أحضر الأعيان لمبايعة يزيد بن معاوية، فلم يرض إلا أن يبايعوه على أنهم عبيد يزيد بن معاوية، فمن تلكأ أمر بضرب عنقه)) معجم البلدان٢: ٢٤٩.

(١) شرح نهج البلاغة٣: ٢٥٩.

(٢) الإصابة ٦: ٢٣٢.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٢٦١، البداية والنهاية ٨: ١٥٧.

(٤) مثير الأحزان:١٢.

التأريخ[١].

الأمر الثالث: التحرك الشعبي العام في الأمَة الإسلامية

لقد حصل تحرك جماهيري واسع بعد موت معاوية حول الحكم الإسلامي والقيادة الشرعية ونبذ خلافة يزيد والالتفاف نحو الحسين عليه السلام، وهناك نصوص كثيرة تدل على هذه الحقيقة.

فمثلاً على نحو التحرك الشعبي نجد أن أهل الكوفة يتحرّكون ويعقدون اجتماعات جماهيرية واسعة، ويخطب فيهم سليمان بن صرد الخزاعي وآخرون، ويتحدّثون بشكل جماهيري وشعبي، ويأخذون العهود على أن يقفوا مع الحسين عليه السلام، ومما جاء في خطاب سليمان: ((إنّ معاوية قد هلك، وان حسينا قد تقبض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فان كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه. قالوا: لا بل نقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه))[٢].

ثم بدأت الكتب والرسائل تتواتر على الحسين عليه السلام بعد ذلك الاجتماع وكلها تعرب عن إخلاصهم وولائهم له، وتدعوه إلى القدوم والنهضة ضد

---

(١) ((فلما قربت وفاة معاوية قال لابنه يزيد: لا ينازعك في هذا الأمر إلا أربعة: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، فأما ابن عمر فانه زاهد ويبايعك إذا لم يبق أحد غيره، وأما ابن أبي بكر فانه مولع بالنساء واللهو، وأما ابن الزبير فانه يراوغك روغان الثعلب ويجثم عليك جثوم الأسد فان قدرت عليه فقطعه إربا إربا، وأما الحسين فان أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه فان قدرت عليه فاصفح عنه فان له رحما ماسة وحقا عظيما)) المناقب٣: ٢٣٩ – ٢٤٠.

(٢) تاريخ الطبري٤: ٢٦١، كتاب الفتوح٥: ٢٧ باختلاف يسير.

الحكم الأموي الفاسد، حتى اجتمع عنده في نوب متفرقة أثنا عشر ألف كتاب، كما يعبر المؤرخون[١].

وأول تلك الرسائل كانت من الشخصيات البارزة في الكوفة أمثال سليمان بن صرد، وحبيب بن مظاهر وأضرابهما، وقد جاء فيها: ((من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجية، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر، وشيعته والمسلمين من أهل الكوفة.

أما بعد: فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد ـ يعني معاوية ـ الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها، واغتصبها فيئها، وتآمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها فبعدا له كما بعدت ثمود.. إنه ليس علينا إمام فاقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله.))[٢].

وكذلك نجد نفس هذا التحرّك في قبائل البصرة، حيث جمع يزيد بن مسعود بني تميم، وبني حنظلة، وبني سعد الذين خذلوا الإمام علي عليه السلام في معركة الجمل، بعد ان طلب منهم رئيسهم صخر بن قيس أن لا يشتركوا في الحرب وأن يقفوا جانباً، فخاطبهم بن مسعود قائلاً:

((... وهذا الحسين بن علي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ذو الشرف الأصيل والعلم والسابقة والسن والقرابة يعطف على الصغير ويحنو على الكبير فأكرم به راعي رعيته وامام قوم وجبت لله به المحجة وبلغت به الموعظة فلا

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف ٢٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب٣: ٢٤١، الارشاد٢: ٣٧.

تعشوا عن نور الحق، ولا تسكعوا في وهدة الباطل، فقد كان صخر بن قيس أنخذل بكم يوم الجمل فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ﷺ ونصرته، والله لا يقصر أحدكم عن نصرته إلا أورثه الله الذل في ولده، والقلة في عشيرته..))[1].

وهكذا بالنسبة إلى أهل مكة، والوافدين إليها من الأقطار الإسلامية، حيث أخذوا يختلفون إليه ويجتمعون معه ويتدارسون الوضع السياسي[2]، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنَّ مكة تعتبر من المدن التي لم توالي أمير المؤمنين عليه السلام، بل كان لأهلها دور سلبي وكبير جداً في معركة الجمل؛ وسبب ذلك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قتل الكثير من شخصياتها من المشركين في المعارك الأُولى في صدر الإسلام، مما جعل لهذا الامر انعكاسات نفسية وروحية على أهلها، ولكن مع ذلك نجد أنَّ المكّيين يتحرّكون بشكل جماهيري لتأييد الحسين عليه السلام.

كل هذه القضايا تشير إلى وجود تحرّك جماهيري واسع لدى المسلمين، ورفض واسع لخلافة يزيد بن معاوية، وهذا بدوره يفرض مسؤولية على القيادة، ويقيم الحجّة عليها أمام الله سبحانه وتعالى، بحيث لا يمكن لها - وإن كانت تدرك أنَّ هذا التحرك لا يحقق أهدافه المعلنة - أن تُهمل كل هذه العواطف والأحاسيس والتوجّهات وتقف موقفاً سلبياً منها، الأمر الذي يؤدي إلى السكوت والإحباط، وبالتالي يتغير منظور الناس حول الحكم الإسلامي والخلافة.

---

(١) مثير الأحزان: ١٨.

(٢) ((وعكف الناس بمكة يفدون إليه - يعني إلى الحسين - ويقدمون عليه، ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه، حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد)) البداية والنهاية٨: ١٦٢.

الأمر الرابع: تخلخل الوضع السياسي

اتبع معاوية خلال فترة حكمه التي امتدت الى عشرين سنة مختلف أساليب القمع وشراء الضمائر، والإعلام المضلّل من أجل تثبيت نظامه، بحيث أصبح نظاماً رهيباً فرض هيمنته ووجوده على العالم الإسلامي، فكان يشتري أولئك المأجورين ممن يسمُّون أنفسهم بالصحابة، وهم ليسوا منهم من أجل التحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله ونسبة أحاديث كاذبة له، ومدح معاوية وتوجّهاته ونظامه. وعند موت معاوية حدث تخلخل كبير جداً في الوضع السياسي للنظام؛ لأنّ المسلمين جميعاً كانوا يدركون أنّ خليفته إنسان تافه طائش، ليست لديه خبرة في الحكم، وأنّ معاوية فرضه فرضاً[1].

وهناك بعض الأمثلة لحالة التخلخل السياسي التي حصلت عند موت معاوية، والتي كان ينتظرها الإمام الحسين عليه السلام، منها:

١. موقف الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - الذي يمثّل البيت الأموي وهو ابن أخ معاوية - مع الحسين عليه السلام، حيث تعامل معه تعامل الشخص المتردِّد الذي لا يدري ماذا يصنع، فقد ورد في الروايات أنّ الوليد قال مخاطباً مروان بعد ما أشار عليه بقتل الحسين أو يبايع: ((يا مروان إنّك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحب أنّ لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها، وأنّي قتلت حسينا، سبحان الله! أقتل حسينا إن قال: لا أبايع؟! والله إني لأظن امرأً يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند

---

(١) قال الطبري: ((... ودعاؤه - أي معاوية - عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمير صاحب الديوك والفهود والقرود وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهديد والرهبة وهو يعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه ويعاين سكرانه وفجوره وكفره...)) تاريخ الطبري٨: ١٨٧.

الله يوم القيامة.))[١].

وفي رواية أخرى قال لمروان: ((ليتني لم أك شيئا مذكورا، لقد أمرتني بأمر عظيم وما كنت لأفعل.))[٢].

وعندما فهم الوليد أنَّ الحسين عليه السلام قد خرج من المدينة شعر بحالة من الارتياح والاستقرار، لأنّه تخلّص من ورطة الدخول معه عليه السلام في معركة، مع أنَّ الحسين عليه السلام خرج من المدينة عازما على القيام بثورة، ولم يخرج من أجل أن يسكن في بلد آخر.

٢. ونفس الموقف نجده من والي مكة عمرو بن سعيد بن العاص، الذي كان من البيت الأُموي - أيضا - ومرسل بشكل خاص من يزيد من أجل التعامل مع قضية الحج، ويعرف بأنَّ الحسين عليه السلام موجود في مكة وتحت قبضته، وكان من الممكن أن يقوم بالقبض عليه والتخلّص منه بأي طريقة، ولكن نجد أنَّ عمرو يبعث بشخص إلى الحسين عليه السلام ليطلب منه الرجوع أو البقاء في مكة، ويُمنّيه بالصلة والأمان[٣].

وهذا يعني أنهم كانوا يشعرون بالضعف، وأنَّ الناس ليسوا معهم، ويشعرون بحالة التخلخل السياسي آنذاك.

٣. وهكذا موقف والي الكوفة النعمان بن بشير الذي كان أمويّاً، وكان لا يريد الدخول في معركة مع الحسين عليه السلام ولا مع مسلم بن عقيل، والقصة التي يرويها المؤرّخون في مجيء عبيد الله بن زياد، وتصوّر أهل الكوفة بأنه

---

(١) راجع: تاريخ الطبري٤: ٢٥٢، الكامل في التأريخ٤: ١٦، الامامة والسياسة١: ٢٢٧. مع تفاوت يسير فيما بينهم.

(٢) مثير الأحزان:١٣.

(٣) الإرشاد٢: ٦٩.

الحسين عليه السلام واستقبالهم له، وكيف أخذ النعمان يرتجف عند وصول عبيد الله بن زياد إلى قصر الإمارة وظنّه الحسين عليه السلام، فكان يتوسّل به ان يرجع، ويقول له: اذهب لحال سبيلك، فنحن لا نريد أن ندخل معك في قتال[1].

فهذه المواقف من هؤلاء الولاة تعكس حالة التخلخل التي كانت قائمة وموجودة في ذلك الوقت، وهي تمثل فرصة ذهبية - مع توفر الشروط السابقة التي تقدمت الإشارة إليها - لتحرّك القيادة في مواجهة النظام الحاكم، وبالفعل تمكّن الحسين عليه السلام نتيجة للتخلخل الموجود أن يؤثر بشكل فعّال على النظام والحكم الأموي، بحيث نجد الأمصار ومعهم بعض ولاة بني أمية - بعد موت يزيد - تبايع عبد الله بن الزبير؛ نتيجة للشعور بضعف النظام الأموي.

فإذا أخذنا هذه المستجدات الأربعة نجد أنّ الحسين عليه السلام كان يواجه حالة تفرض عليه من الناحية الإسلامية والدينية، باعتباره إماماً وقائداً ومسؤولاً أمام الله سبحانه وتعالى أن يثور في وجه هذا الحكم ويتحرّك.

خصائص الإمام الحسين

تقدم أنّ الحسين عليه السلام تحمل مسؤولية كبيرة في نهضته واستهدف أمرين رئيسين:

الأول: تحرير إرادة الأمة الإسلامية في ذلك الوقت بعد أن بدأت تستسلم للطغاة.

الثاني: توضيح الموقف الشرعي من الحكم الإسلامي بعد الغموض الذي اعتراه في تراكم الأحداث طيلة الأعوام التي سبقت نهضته عليه السلام.

---

(١) تاريخ الطبري٤: ٢٦٧.

وقد تحقق هذان الهدفان في مجتمع المسلمين، وبدأ المسلمون يتحركون بشكل فعّال في مواجهة الطغاة وأصبح هذا الموقف من المواقف الواضحة.

إن الخط الذي أوجده الإمام الحسين عليه السلام هو الذي حفظ الإسلام إلى هذا اليوم، ولولا وجود هذه الإرادة الحرة في الاستعداد للتضحية والفداء، ووجود هذا الوضوح الشرعي لدى المسلمين تجاه الحكام الطغاة لكان من الممكن أن يتعرض الإسلام بشكل أو بأخر إلى التحريف، ثم لا يصل إلينا بأصالته حتى وإن بحثنا وراجعنا المصادر المختلفة، كما حصل ذلك بالنسبة إلى بعض الديانات السابقة.

وهنا يطرح هذا السؤال: هل الموقف الذي وقفه الحسين عليه السلام لتحقيق الهدفين كان يتعين عليه فقط، أو من الممكن لشخص آخر، أو جماعة أُخرى من المسلمين أن يقوموا بهذه المسؤولية، فيتحقق هدف الحسين عليه السلام دون هذه التضحية الكبيرة؟

فلاشك أنّ الحسين عليه السلام حقق هذين الهدفين، ولكن الخسارة التي لحقت بالمسلمين نتيجة تلك التضحيات خسارة كبيرة، حيث قتل عليه السلام وهو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقتلت معه تلك النخبة الصالحة من أبنائه وإخوته وأهل بيته - كعلي الأكبر، والعباس بن علي بن أبي طالب، ومسلم بن عقيل وأمثالهم - التي يمكنها القيام بدور عظيم في المجتمع، لما تتمتع به من العلم والإرادة والشجاعة والانتساب لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهكذا أصحاب الحسين عليه السلام كان كل واحد منهم مهماً في مجتمعه، وبعضهم من الزعماء الكبار الذين يمكن أن يؤثروا من خلال موقعهم في زاوية من التأريخ.

فحبيب بن مظاهر الأسدي - مثلا - بعلمه وفضله ومركزه الاجتماعي في قبيلة بني أسد الكبيرة الممتدة من أول العراق لآخره، كان بإمكانه أن يقوم بدور كبير ومؤثر في قبيلته فيما لو بقي بينهم، أما عندما تفقده قبيلته فربما يأتي غيره فينحرف بالقبيلة باتجاه آخر.

وهكذا مسلم بن عوسجة الذي كان من التابعين البارزين، وله دور عظيم

جداً في الفتح الإسلامي، كما تذكر الرواية التي تتحدث عن مصرعه (رض) حيث تقول: إنّه تمكن بمفرده من مقابلة جيش الديلم حتى قتل ستة منه قبل أن يلتحق به بقية المسلمين[1]، مضافا إلى أنه كان من العلماء المعروفين في الكوفة، ويمكن أن يكون له دور مؤثر في مجرى التأريخ لو بقى حياً، وكذلك زهير بن القين وأمثاله من كبار أصحاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

إذن، ففي قتل هؤلاء الأعلام سيحصل فراغ وخسارة كبيرة في المجتمع الإسلامي، فضلا عن الحسين عليه السلام الذي هو أبوهم وأميرهم وإمامهم جميعاً.

فهل كان يتعين على الحسين عليه السلام شخصياً القيام بالنهضة أو كان من الممكن لغيره كمسلم بن عقيل أو محمد بن الحنفية القيام بها، ويواصل الحسين عليه السلام مسيرته بطريقة أخرى؟

والجواب هو: إنّ الحسين عليه السلام كان المسؤول عن هذه التضحية؛ لوجود مجموعة من الخصائص ميزته عن كل رجال المسلمين في تلك الفترة، وكانت أيضاً ذات أهمية كبيرة في تحقيق الأغراض التي تقدمت الإشارة إليها، فهذه الخصائص فرضت على شخصيته القيام بتلك التضحية العالية في سبيل الله والإسلام، وبهذا أصبح الحسين عليه السلام أمام أمر واحد لا ثاني له، وهو القيام بهذه النهضة، وإن كانت الخسارة بهذا الحجم، وهذا ما جعله يندفع في هذا الطريق حتى نهايته، والخصائص هي:

الخصيصة الأولى: الانتساب للنبي

إنّ الحسين عليه السلام هو ابن فاطمة عليها السلام، وبالتالي فهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، من لحمه ودمه، وقد عاش فترة في زمن الرسول صلى الله عليه وآله، عرف فيها المسلمون

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٢.

رعايته له، فكان يقول فيه: ((حسين مني وأنا من حسين))[١]. وكان يضمه ويقبله ويضاحكه ويركبه على ظهره ويرعاه[٢].

فكل هذه الأمور كان لها دور كبير جداً في تحريك عواطف المسلمين ومشاعرهم في سبيل تحرير إرادتهم.

---

(١) الإرشاد٢: ١٢٧مسند احمد٤: ١٢٧، سنن ابن ماجة١: ٥١، سنن الترمذي٥: ٣٢٥، فتح الباري١: ٤١٢، أسد الغابة٢: ١٩، البداية والنهاية ٨: ٢٢٤.

(٢) ورد في المصادر الحديثية عند الفريقين روايات كثيرة جداً بلغت حد التواتر في رعاية النبي الأكرمﷺ لولديه الحسن والحسين نذكر قسماً منها:

روى أبو هريرة قال: ((رأيت رسول الله ﷺ وهو حامل الحسين بن علي، وهو يقول: اللهم إني أحبه فأحبه)) مستدرك الحاكم٣: ١٧٧.

وروى يعلى بن مرة قال: ((خرجنا مع النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى طعام دعونا له، فإذا حسين يلعب بالسكة فتقدم النبي (صلى الله عليه وسلم) وبسط يديه فجعل الغلام يفرها هنا، وها هنا ويضاحكه النبيﷺحتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى في فأس رأسه فقبله وقال: حسين منى وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط...)) وفي رواية ((فوضع أحدى يديه تحت قفاه، والأخرى تحت ذقنه فوضع فاه على فيه وهو يقول حسين منى...)) سنن ابن ماجة١: ٥١،ح١٤٤، مسند أحمد بن حنبل٤: ١٧٢، أسد الغابة٢: ١٩، سنن الترمذي٥: ٣٢٤، ح٣٨٦٤، تهذيب الكمال٦: ٤٠٢.

وروى ابن عباس قال: ((كان النبي (صلى الله عليه وسلم) حامل الحسين على عاتقه، فقال له رجل: نعم المركب ركبت يا غلام! فأجابه الرسول (صلى الله عليه وسلم): ونعم الراكب هو...)) مستدرك الحاكم٣: ١٧٠، أسد الغابة٢: ١٢.

وروى يزيد بن أبي زياد قال: ((خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) من بيت عائشة فمر على بيت فاطمة فسمع حسينا يبكي، فالتاع (صلى الله عليه وسلم) من ذلك فقال لفاطمة: ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني...)) مجمع الزوائد ٩ : ٢٠١، سير أعلام النبلاء ٣ : ٢٨٤، ذخائر العقبى: ١٤٣.

فأن تقييد الإنسان يديه ورجليه بالحديد أهون من تقييده لقلبه وإرادته بالهوى والشهوات، فيكون ميتاً حقيقياً طبع على قلبه وماتت إرادته، وعندئذ يكون مختلفاً تماماً عن الإنسان الذي يريده الله سبحانه وتعالى لهذا الوجود.

ولا يمكن كسر هذه القيود وإرجاع الإرادة للناس إلاّ بهزة شديدة، فقيود النفس هي أشد من القيود التي يفرضها الطغاة؛ ولذا يعتبر جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، وجهاد العدو هو الجهاد الأصغر من هذه الناحية؛ باعتبار أنَّ القيود التي تفرضها النفس هي قيود شديدة ومحكمة، فالحسين عليه السلام كان بحاجة إلى كسر تلك القيود عن المسلمين في داخل وجدانهم لا في خارجهم - فإنهم كانوا يتحركون وبأيديهم السيوف، ولكن قلوبهم مقيدة (قلوبهم معك وسيوفهم عليك) - ولم يكن هناك غيره عليه السلام له هذه الصفة التي يستطيع بها هزّ وجدان الانسان هزّا قويا، فلا محمد بن الحنفية ولا العباس بن علي عليهما السلام، كانت عندهم هذه الخصوصية، وإن كانت لديهم شجاعة وإقدام، وقلب قوي، واستعداد للتضحية.

الخصيصة الثانية: علم الحسين

إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان عالم الأمة وفقيهها، ولم يكن هناك شخص آخر تعترف له الأُمة من أولها إلى آخرها بالعلم والمعرفة بالأحكام الشرعية وبكتاب الله تعالى إلاّ الحسين عليه السلام.

وهذه الحقيقة كان يعرفها حتى أعداء الحسين عليه السلام، وذلك لطبيعة ارتباطه برسول الله صلى الله عليه وآله ونشأته في أحضانه، ثم في أحضان أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم طبيعة تحركه في الأُمة بفضله وعلمه، الأمر الذي جعله متميزاً على غيره. وهذه الخصلة - العلم - مهمة جداً، خصوصاً وإنَّ

الحسين عليه السلام كان بحاجة لتوضيح موقف شرعي للأمة، وهو أن يقف الإنسان في مقابل الطغاة ويكافحهم ويقدّم نفسه رخيصة في سبيل الله.

ومن الطبيعي أنّ موقفاً بهذه الصرامة والحدّة لم يكن هناك شخص يمكن أن تعترف له الأُمة بتقديمه سواه، فيكون رأيه مقدماً على آراء باقي العلماء، وخصوصا علماء السوء الذين أتى بهم معاوية ليرووا الأحاديث الكاذبة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في مقام تشويه الحقائق.

وقد حفظ لنا التأريخ نماذج من هؤلاء، فقد روي أنّ معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أنّ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[١] نزل في علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنّ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٢] نزل في ابن ملجم، فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة درهم فلم يقبل، فبذل له أربعمائة درهم فقبل وروى ذلك، وباع آخرته بهذا الثمن البخس[٣].

فمثل هذا العمل كان يقوم به معاوية على نطاق واسع جداً، وفي كل الأقطار الإسلامية مدة عشرين سنة، وأما الذين لم يكونوا بهذه الدرجة من السوء، فكانوا ساكتين يكتمون البينات. ففي مثل هذه الظروف لم يكن

---

(١) البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٥.

(٢) البقرة: ٢٠٧.

(٣) انظر: الغارات٢: ٨٤٠، شواهد التنزيل١: ١٣٢، نقد الرجال٢: ٣٧٤، شرح نهج البلاغة٤: ٧٣.

هناك شخص يمكن أن تقبل الأُمة منه هذا الحكم وتعتبره حكم رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ الحسين عليه السلام.

والمهم في هذا الأمر هو شخصية من يصرح بهذا النداء ويقف هذا الموقف، لا التصريح بذلك فقط، وإلّا كان بإمكان الإمام الحسين عليه السلام أن يقول لأخيه العباس: اذهب ونادِ في الناس إنّ حكم يزيد حكم باطل، أو أن يقول لمحمد بن الحنفية: اذهب ونادِ بهذا النداء وبيّن الحكم الشرعي، ولكن الناس بشكل عام لا يقبلون منهما ذلك؛ لأنهما دون مستوى الحسين عليه السلام، فلم يكن من الممكن أن يُقبل هذا الأمر إلّا من شخص الحسين عليه السلام؛ لأنّ الأُمة تعترف له بأنه ينطق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الكتاب، وبالتالي فيمكنه بيان الحكم الشرعي.

الخصيصة الثالثة: إمامته

تمكن الإمام علي عليه السلام من خلال التواصل في زمن الخلفاء الثلاثة، والسنوات الأربع التي حكم فيها بعد عثمان، أن يبني تياراً يمثل الخط الإسلامي الأصيل في الأُمة، من خلال التربية الخاصة لمجموعة من أصحابه المخلصين، إلّا أنّ معاوية في فترة العشرين سنة التي تسلط فيها على رقاب المسلمين، قام بعملية استئصال لرجالات هذا التيار، فقتل مجموعة ممن يمثلون هذا الخط، أمثال حجر بن عدي وأصحابه الصالحين المطيعين العابدين كما عبّر عنهم الإمام الحسين عليه السلام[١]، حتى أنّ أحد أسرار صلح الإمام الحسن عليه السلام هو المحافظة على هذا التيار[٢].

---

(١) الاحتجاج ٢: ٢٠.

(٢) من جملة شروط الصلح التي اشترطها الإمام الحسن عليه السلام على معاوية هو الآتي: **((...وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم،** ←

ثم إنّ قسماً من هؤلاء توفاهم الله تعالى، مضافاً إلى الذين استشهدوا في زمن الإمام علي عليه السلام من قبيل مالك الأشتر وعمار بن ياسر وغيرهما.

فبقيت هناك مجموعة ممن يمثلون هذا التيار، ولهم مؤيدونهم المرتبطون بهم، وهؤلاء كانوا لا يعترفون بالإمامة إلاّ للحسين عليه السلام، ولذلك نجد أنّه عليه السلام خوطب - دون غيره - أن يتحرك بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام؛ لأنه لم يكن الطرف المباشر لعملية الصلح، وبالتالي فله المجال في التحرك مقابل معاوية، ولكن الإمام الحسين عليه السلام امتنع عليهم[1].

إذن، فلو أراد الإمام الحسين عليه السلام ايكال هذه المهمة إلى شخص من أصحابه أو من المخلصين للإسلام حتى لو كان اخوته الذين كانوا على

وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه)). انظر: بحار الأنوار٤٤ :٦٥، كشف الغمة ٢ : ١٩٣، ينابيع المودة لذوي القربى٢: ٤٢٦.

وفي رواية عن أبي سعيد عقيصا قال: ((قلت للحسن بن علي بن أبي طالب: يا بن رسول الله لِمَ داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه، وان معاوية ضال باغ؟

فقال: يا أبا سعيد ألست حجة الله تعالى ذكره على خلقه وإماما عليهم بعد أبي عليه السلام؟ قلت بلى قال: ألست الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ؟ قلت بلى قال: فانا إذن إمام لو قمت وأنا إمام إذ لو قعدت، يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية أولئك كفار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل، يا أبا سعيد إذا كنت إماما من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة وان كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبسا، ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي، هكذا أنا سخطتم علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل.)) علل الشرائع١: ٢١١.

(١) الإرشاد٢: ٣٢.

درجة عالية من الفداء والتضحية، لم يكن من الممكن أن يحظى عملهم بالتأييد الكامل على نطاق التيار الذي خلقه الإمام علي عليه السلام، وعندما لايكون الشخص الثائر مؤيداً من عمق التيار الإسلامي الأصيل فلا يمكن أن تستمر ثورته وتستديم في الأُمة، كما حصل للكثير من الثوار بعد الحسين عليه السلام كزيد بن علي، فبالرغم من أنه ابن إمام إلاّ أن ثورته لم تحظ بتأييد هذا التيار بأكمله، وكذلك ثورات العلويين التي كان لها الأثر الكبير في إنهاء الحكم الأموي الظالم، كثورة الحسين صاحب فخ وهو من أولاد الإمام الحسن عليه السلام[1]، ومأساته من الناحية التأريخية تشبه إلى حد كبير مأساة الحسين عليه السلام في تفاصيلها، لما حصل فيها من القتل والسبي والعدوان والتمثيل بالأجساد، حتى أنّ الإمام الجواد عليه السلام كان يقول: ((لم يكن لنا بعد الطّف مصرع أعظم من فخ))[2]، لكن مع ذلك لا نجد لهذه المصيبة أثر في تأريخ المسلمين وفي هذا التيار الأصيل بالذات؛ لأنّ المتصدي لها لم يعترف له التيار الأصيل بالإمامة المطلقة ولا يرونه يمثل عمق هذا التيار، ليكون هذا الخط وراء هذه الثورة، وإن كانوا يرونه عملا صحيحاً، فإنّ كل هؤلاء الثائرين كانوا مخلصين ومستعدين للتضحية وكان لهم دور كبير في الأُمة، لكنها لم تحظ بتأييد التيار للسبب المتقدم.

إذن، فالحسين عليه السلام لابدّ أن يتحمل هذه المسؤولية، إذ لا يوجد من تتمثل فيه خصوصية الإمامة سواه.

---

(١) هو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب خرج أيام موسى الهادي بن المهدي بن أبي جعفر المنصور مع جماعة من العلويين بالمدينة في ذي القعدة سنة (١٦٩)، ويعرف بصاحب فخ، وفخ بئر بين المدينة ومكة. الكنى والألقاب ٢: ٣٩٢.

(٢) عمدة الطالب: ١٨٣.

الخصيصة الرابعة: الأحق في الحكم الإسلامي

يمثل الحسين عليه السلام الوريث وصاحب الحق الشرعي في الحكم الإسلامي[١]، وهذه المسألة مهمة جداً في كل تحرك إسلامي، فالشخص الذي يتحرك بالوكالة ويكون دوره شبيه بدور المحامي يختلف تماماً عن تحرك الأصيل وصاحب الحق، والحسين عليه السلام كان صاحب الحق في الخلافة؛ لأنه وصي الحسن عليه السلام، أما غيره عندما يتصدى ويتحرك فستنتهي حركته بالفشل حتى لو كان مخلصاً ومستعداً للتضحية، بل وإن كان نائباً ووكيلاً عن الحسين عليه السلام في ذلك، إذ يمكن أن يكون موضع اتهام بأنه لا يريد إرجاع الأُمور إلى مجاريها الطبيعية وإقامة الحق في نصابه، وإنما يطلب الخلافة والسلطة لنفسه، كما اتهم محمد بن الحنفية عندما تصدى لتغطية حركة المختار بن عبيد الله الثقفي في الكوفة في زمن الإمام زين العابدين عليه السلام، بأنه كان يجر النار إلى قرصه، وكأنه يريد أن يأخذ الخلافة ويتصدى للإمامة. وهذا ما جعل الثورة مختصة بالحسين عليه السلام.

---

(١) روى سليم بن قيس قال: ((سمعت عبد الله بن جعفر الطيار يقول: كنا عند معاوية، أنا والحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن أم سلمة وأسامة بن زيد، فجرى بيني وبين معاوية كلام فقلت لمعاوية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أخي علي بن أبي طالب أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد علي فالحسن بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابني الحسين من بعده أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا علي، ثم ابنه محمد بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا حسين، ثم تكمله اثني عشر إماما تسعة من ولد الحسين، قال عبد الله بن جعفر: واستشهدت الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن أم سلمة وأسامة بن زيد، فشهدوا لي عند معاوية، قال سليم: وقد سمعت ذلك من سلمان وأبي ذر والمقداد وذكروا أنهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله)). الكافي ١: ٥٢٩، ح٤.

الخصيصة الخامسة: معاصرته للظروف المتعاقبة

إنّ الإمام الحسين عليه السلام هو الشخص الوحيد الذي عاش الفترة الزمنية المتقلّبة من تأريخ الإسلام منذ زمن النبي صلى الله عليه وآله إلى حين نهضته، فقد عاش عن قرب زمن النبي صلى الله عليه وآله، ثم زمن علي عليه السلام في الفترة التي كان بها إلى جانب الخلفاء، ثم فترة خلافته عليه السلام وما حدث فيها من حروب، وكذلك صلح الحسن عليه السلام وما بعده، وبالتالي فهو الذي يتمكن أن يقدّر الموقف المناسب، ويقدم التفسير المناسب لكل تحرك في ذلك الوقت.

أما غيره فلم يكن قد عاش كل هذه الفترة، وبالتالي ربما يعبّر في تحركه عن مقطع زمني محدود، فعندما يقال له: لماذا تثور وقد صالح الحسن عليه السلام من قبل؟ لايستطيع أن يقدم التفسير الصحيح والمناسب، بخلاف الحسين عليه السلام الذي عاش كل تلك الفترة بظروفها وعرفها بتفاصيلها، فبإمكانه أن يعطي التفسير المناسب لكل موقف من المواقف التي سبقته، من جلوس علي في داره، ودخوله في الشورى، وكذلك موقفه من عثمان ومحاولته نصره بعد ذلك. ويمكنه أن يعطي تفسيراً لكل معركة خاضها علي عليه السلام، كما يمكنه أن يقدم تفسيراً واضحاً وسليماً لموقف الإمام الحسن عليه السلام، باعتباره الشخص الوحيد الذي عاش الأحداث وعرف خصوصياتها وخلفياتها وكل شؤونها ووقائعها.

وهناك رواية تومئ إلى هذه الحقيقة ينقلها العلامة المجلسي وغيره، عن عبد الله بن الفضل قال:((قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا ابن رسول الله كيف صار يوم عاشورا يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام؟ واليوم الذي قتل فيه

أمير المؤمنين عليه السلام؟ واليوم الذي قتل فيه الحسن[١] عليه السلام بالسم؟.

فقال عليه السلام: إن يوم قتل الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أن أصحاب الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله كانوا خمسة فلما مضى عنهم النبي، بقي أمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلما مضت فاطمة عليها السلام كان في أمير المؤمنين والحسن، والحسين عليهم السلام للناس عزاء وسلوة، فلما مضى منهم أمير المؤمنين كان للناس في الحسن والحسين عليهما السلام عزاء وسلوة، فلما مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عزاء وسلوة، فلما قتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أصحاب الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة، فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة))[٢].

والملاحظ من هذا الحديث وغيره أنّ أصحاب الأئمة عليهم السلام كانوا يتحدثون ويحاولون أن يستزيدوا من المعلومات والخصوصيات ويتابعوها، فبالرغم من احترامهم للأئمة عليهم السلام وتعظيمهم لهم واعتقادهم بأنهم معصومون، فمع كل ذلك هم يحاولون فهم كل الأبعاد الحقيقية حتى يكون إيمانهم عن معرفة ويقين لا مجرد تسليم وتقليد كما يصنع الكثير من العوام.

((قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له: يا بن رسول الله فلِمَ لم يكن للناس في علي بن الحسين عليهما السلام عزاء وسلوة، مثل ما كان لهم في آبائه عليهم السلام؟.

---

(١) فهؤلاء الذين يذكرهم عبد الله بن الفضل كان بعضهم أفضل من الحسين عليه السلام كرسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه وأُمّه فاطمة الزهراء عليها السلام، وبعضهم كان مساوياً له كالحسن عليه السلام، فما هو السرّ في أنّ اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام هو أعظم عند الناس من هذه الأيام.(منه قدس سره).

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٩، ح١، علل الشرائع: ٢٢٥ ـــ ٢٢٦، وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٤، ح٦، مدينة المعاجز ٢: ١٦٨.

فقال عليه السلام: إنّ علي بن الحسين كان سيد العابدين، وإماما وحجة على الخلق بعد آبائه الماضين، ولكنه لم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يسمع منه، وكان علمه وراثة عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله، وكان أمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام قد شاهدهم الناس مع رسول الله صلى الله عليه وآله في أحوال تتوالى، فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكروا حاله من رسول الله صلى الله عليه وآله وقول رسول الله صلى الله عليه وآله له وفيه، فلما مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله عز وجل، ولم يكن في أحد منهم فُقد جميعهم إلّا في فقد الحسين عليه السلام لأنه مضى في آخرهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة))[1].

إنّ هذا الحديث يظهر منه أنّ المسألة هي مسألة عاطفية فقط، لكن عندما ننظر إلى عمقه نجد أنّ الحسين عليه السلام كان يجسد ويمثل تأريخ هؤلاء كلهم من أولهم إلى آخرهم، وهذه الخصوصية لم تكن موجودة في أحد ممن عاصر الحسين عليه السلام، وبالتالي كان من المتعين على الإمام الحسين عليه السلام أن يتخذ هذا الموقف، ويقدم هذه التضحية الكبيرة في سبيل دين جده رسول الله صلى الله عليه وآله.

الدروس والعبر

ومما تقدم يمكن استخلاص بعض العبر والدروس المفيدة في عملنا وحركتنا ومسيرتنا في سبيل خدمة الإسلام وقضية الحسين عليه السلام، وسأشير بنحو الإجمال إلى ثلاث نقاط:

الأُولى: من خلال الاستعراض السابق لطبيعة تحرك الحسين عليه السلام وأهدافه يمكن أن نفهم أنّ حركته عليه السلام لم تكن تمثل مقطعاً من مقاطع التأريخ قد انتهى بظروفه وخصوصياته وشؤونه المرتبطة به وبأعدائه، وإنما هي خط

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٩ - ٢٧٠، ح١.

حي مستمر دائم ما دام الدهر.

الثانية: لابد لنا من تحمل المسؤوليات التي تحملها الحسين عليه السلام، كلٌّ بحسب موقعه ووضعه وخصوصياته.

فعندما نواجه - مثلا - نظاماً كنظام يزيد يبطش بالناس، ويعتدي على الإسلام، ويذل المسلمين، وينهج نهجه في سلوكه تجاه الإسلام، فلابد حينئذ لأي إنسان يحمل مواصفات لا تكون موجودة عند الآخرين، بحيث انها تميزه عن بقية الناس أن يتحمل هذه المسؤولية(١).

---

(١) وهذا ما يفسر لنا تحرك السيد محمد باقر الصدر قدس سره واستشهاده في سبيل الله.

فإنّ استشهاده قدس سره كان يمثل أيضاً خسارة كبيرة جداً - وكذلك أصحابه ومن سار بسيرته - في العراق وفي العالم الإسلامي كله، فمن يعرف خصائص الشهيد الصدر قدس سره، والآمال التي كانت معقودة عليه في المستقبل يمكنه أن يفهم مدى الخسارة التي لحقت بالمسلمين عند استشهاده، ومن هنا يمكن طرح السؤال التالي:

هل كان مثل هذا الأمر يستحق مثل هذه الخسارة الكبيرة التي لحقت بالمسلمين من خلال استشهاده، ألم يكن من الأولى أن يبقى الشهيد الصدر قدس سره مجاملا وساكتاً ومحتفظاً بوجوده، يؤلف المؤلفات ويكتب النظريات ويربي الطلبة، ويقدم بذلك خدمة كبيرة للعالم الإسلامي؟

عندما ننظر إلى جانب الخصوصيات نجد أنها متوفرة في الشهيد الصدر قدس سره، فقد كان مرجعاً متصدياً بين الناس، ويمثل امتداداً في تأريخه وفي وضعه العلمي والعائلي، وهو معترف به اعترافاً حقيقياً في الأوساط العلمية والحوزوية، فالخط الأصيل للإسلام يقر ويعترف للشهيد الصدر بذلك، بل لا يمكن لأي شخص مهما كان موقعه من خط السيد الشهيد الصدر (رض) وتوجهاته أن ينكر أنه كان من المجتهدين والمحققين والفضلاء. وكان بإمكانه أن يحتفظ بوجوده ويقدّم خدمات كبيرة من خلال التأليف والتدريس وما أشبه ذلك، ولكن الموقف كان يفرض عليه هذه التضحية، وهكذا بالنسبة إلى غيره من المخلصين.

إذن، عندما يكون الإنسان متميزا ومؤهلا يفرض عليه موقفاً معيناً، ويكون مسؤولاً أمام الله سبحانه وتعالى أكثر من غيره ويجب عليه التصدي.

ولا ينبغي أن يقول الإنسان: إذا تصديت سأقتل أو سيقتل أهلي ومن يتعلق بي، وهذا ما يشكل خسارة للإسلام، ولذلك سأبقى محتفظاً بحياتي وأقوم بدوري في خدمة المجتمع، بل لابد أن يتحمل مسؤوليته مهما كانت النتائج؛ لأنّ خط الحسين عليه السلام هو خط حيّ. (**منه** قدس سره).

الثالثة: يجب أن نميّز الخط الحسيني والمجلس الحسيني والخطيب الحسيني الحقيقي والهيئة الحسينية الحقيقية، من الخط والمجلس والخطيب والهيئة الشكلية الصورية التي لا يكون فيها محتوى ومضمون ثورة الحسين عليه السلام.

فالجماعة التي تنظر إلى ثورة الحسين عليه السلام على أنها ثورة مستمرة ومتجددة، والأحداث القائمة فيها باقية دائماً ما دام هناك طغاة وأشرار تكون قريبة من التوجه الحقيقي لقضية الحسين عليه السلام، وهكذا بالنسبة إلى المفكر والشاعر والخطيب والعزاء الحسيني، كلما أكّدوا على حيوية الثورة الحسينية واستمرارها، وربطوا ثورة الحسين عليه السلام بواقع الحال والظروف المعاشة، واستلهموا من ملحمة الحسين عليه السلام دروس العزة والكرامة والإباء والبطولة والشموخ والإيثار، كلما اقتربوا من خط الحسين عليه السلام والتوجه الحقيقي لقضيته، وإلّا فلا يمكن أن نصف المجلس أو الخطيب أو الشاعر والمفكر بأنهم حسينيون لمجرد ذكرهم القصة التأريخية السردية فحسب، دون أن يذكروا شيئاً مما يرتبط بظرفنا المعاصر- خصوصاً ما نراه اليوم من تكالب الأعداء على الإسلام، وما يجري على المؤمنين من ظلم وقتل وتشريد وتهجير- فهذا في الواقع بتراً لقضية الحسين عليه السلام من كل جذورها وآثارها، وجعلها معلقة بين الأرض والسماء، وهل يعقل أن تكون قضيته عليه السلام كذلك بعد ما قدّم التضحيات الكبيرة بأولاده وأهل بيته وأصحابه، وبوجوده المبارك الذي كان يمكن أن يكون له تأثير في مسيرة التأريخ ؟

إننا نعتقد أنّ هذه القضية إنّما تستحق هذه التضحية إذا كانت ممتدة مع التأريخ ولها آثارها وتفاعلاتها.

الفصل السادس

الجانب الإعلامي في الثورة الحسينية

يُعدُّ الإعلام من أهم الأعمال السياسية والجهادية التي يمكن أن يقوم بها الداعي إلى الله تعالى، ولذلك نرى أنَّ العمل الرئيسي الأوّل لكل الأنبياء، هو إبلاغ الرسالة وإيصالها إلى الناس، وقد ورد التأكيد على ذلك في القرآن الكريم، فقد قال تعالى:﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّه حَسِيباً﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[4].

وقال تعالى:﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِه وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[6]، فتلاوة الآيات المذكورة في الآية الشريفة هي عبارة عن البلاغ وإيصال الرسالة إلى الناس وإفهامهم إياها، وهي المهمة الأولى للرسول.

---

(١) الأحزاب:٣٩.

(٢) العنكبوت:١٨.

(٣) المائدة:٩٢.

(٤) المائدة:٩٩.

(٥) التغابن:١٢.

(٦) الجمعة:٢.

أبعاد الإعلام الرسالي

لابد أن يُدرس الإعلام - الذي هو البلاغ - من أبعاد عديدة:

البعد الأوّل: الهدف الذي يسعى إليه البلاغ والإعلام، وهذا من خصائص الإعلام أو البلاغ الرسالي الذي يلتزم بتعاليم الله سبحانه وتعالى، وبالمبادئ الآلهية، والذي يكون من ورائه أهداف سامية تصب في خدمة الفرد والمجتمع بخلاف إعلام الحضارة الماديّة الغربية الذي يرتكز على إثارة المشاعر والعواطف والغرائز بشكل رئيسي، ويُروّج لنفسه قبل أن يُروّج لأي شيء آخر.

البعد الثاني: موضوع الخطاب السياسي في الإعلام.

البعد الثالث: الوسائل المستخدمة لإيصال الرسالة وإبلاغها وتوضيحها لعامة الناس.

وعند مطالعة ملحمة كربلاء نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام اهتم في ثورته بهذه الأبعاد الثلاثة:

البعد الأول: تحديد الهدف

إن هذا البُعد يرتكز على معرفة الهدف من النهضة الحسينية، وتقدم أنّ هدف الإمام الحسين عليه السلام من نهضته هو توعية الأُمة وإيقاظ ضميرها، ولم يكن هدفه الوصول إلى السلطة، لا لأنّ ذلك هدف غير مشروع - بل هو من الواجبات الشرعية على الدعاة والرساليين، وهو حق من حقوق الحسين عليه السلام باعتباره إماماً وصاحب الحق في الحكم - بل لأنّه كان يعرف من أول انطلاقه وتحرّكه أنّ هذا الأمر لا يمكن تحقيقه آنذاك، كما عرف ذلك الكثير ممن كانوا يعيشون قريباً منه عليه السلام. ولاشك أنّ الحسين عليه السلام أدرى وأعرف وأخبر منهم بالأوضاع التي كان يعيشها المسلمون في ذلك العصر، وهناك عدة نصوص على لسان الحسين عليه السلام تؤكّد هذه الحقيقة.

إنّ هدف الإمام الحسين عليه السلام من نهضته، هو توعية الأُمة وإيقاظ ضميرها

وكسر الأغلال والقيود عن إرادتها التي بدأت تفقدها بسبب ظروف القهر والقمع الذي كان يمارسه معاوية ومن بعده يزيد من ناحية، ومن ناحية ثانية ظروف الخدر الحضاري المعاشة، من قبيل كثرة الأموال والإمكانيات الدنيوية بعد أن فُتحت للمسلمين بلاد واسعة وجُبيت لهم الأموال من كلّ مكان، حتى أصبحت حالة الاهتمام بالدنيا وشهواتها مؤثرة على إرادة الإنسان، مما جعله يفقد بالتدريج إرادته وقدرته على الحركة.

كما أنه عليه السلام استهدف إلقاء الحجة الشرعية في توضيح الموقف الشرعي للمسلمين، حيث واجه المسلمون لأوّل مرة في ذلك الوقت قضية مهمة وأساسية، وهي: هل يجوز القيام بوجه الحاكم إذا بلغ درجة عالية من الظلم، يتخذ فيها عباد الله خولا ومال الله دولا، أو لا يجوز؟

لقد واجه المسلمون آنذاك هذه المشكلة، حتى باتوا يشككون في جواز الخروج، وقد كان للسلطة دور خبيث في تضليل الناس، فنسبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله روايات كثيرة - من خلال بعض الأشخاص المأجورين من وعّاظ السلاطين وممن يسمون أنفسهم بالصحابة وينسبون أنفسهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله - تحرّم الخروج على الحاكم مهما تجبّر واعتدى وتجاوز وظلم[1]، وبالتالي

---

(١) روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: **((قال رسول الله: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس " قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: " تسمع وتطع للأمير وان ضرب ظهرك واخذ مالك فاسمع وأطع)).**

وروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب انه حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية قال: **((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)).**

صحيح مسلم٦: ٢٠-٢٢، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن.

يجب التسليم له والقبول بحكمه، حفظاً لوحدة المسلمين وصوناً للدماء وما إلى ذلك من تبريرات قد تنطلي على الكثير من بسطاء الناس، كل ذلك من أجل الحفاظ على سلطانهم وحكمهم وتسلطهم على رقاب الناس.

وقد وجد الحسين عليه السلام نفسه أمام حكم شرعي لا يمكن لأي أحد من الناس تبليغه غيره، باعتباره الإنسان الأصلح للقيام بهذه المهمة، لما يتمتع من مواصفات وخصائص فريدة ومميّزة، مضافاً إلى وضوح انتساب موقفه إلى الشرع والإسلام.

فبيان الموقف الشرعي من الحاكم الجائر هدف مهم جداً استهدفه الحسين عليه السلام من حركته ونهضته، وركّز عليه في كلماته وتصريحاته وجعله مصب إعلامه.

البعد الثاني: الخطاب السياسي للحسين

أمّا الخطاب السياسي الذي يستخدم في النهضة وفي الثورة فيجب أن يكون قادراً على تحقيق الهدف، وعلى جعل الأُمة تتفاعل مع النهضة والثورة.

ولذا فالإمام الحسين عليه السلام كان يريد معالجة قضية مركزية ورئيسية في الأُمة، عندما تحدّث في ثورته وفي خطابه السياسي منذ بداية نهضته حتى مصرعه، وهي بيان وتثبيت الموقف الشرعي تجاه ظاهرة الطغيان اليزيدي، ورفع الظلم والحيف عن الأمة الإسلامية المضطهدة من قبل هذا الحاكم المستهتر بالقيم والشعائر الإسلامية، ووجوب قيام المسلمين في وجه هذا الظلم والاضطهاد.

ولم يتحدث عليه السلام عن موضوع الإمامة، ولا عن امامته وكونه الأحق بالخلافة والسلطة، وأنه منصوب من قبل الله تعالى ومن قبل الرسول صلى الله عليه وآله

الذي نصّ على إمامته، وإمامة أخيه الحسن عليه السلام في مواضع عديدة، وقال مراراً: ((ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا))[١]. مضافاً إلى حديث الثقلين المتواتر والذي بيّن فيه صلى الله عليه وآله دور أهل البيت عليهم السلام في الأمّة[٢]، كما نصّ على إمامتهم بأسمائهم في جملة من النصوص الواردة في هذا الموضوع[٣].

كما انه ركّز في خطابه عليه السلام على جانب آخر، وكان له الأثر البالغ في إيقاظ الضمائر وهزّ الوجدان وتحريك المشاعر، وهو إثارة العواطف والأحاسيس والمشاعر، من خلال تذكير الناس بانتسابه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلى أمير المؤمنين عليه السلام، وإلى الزهراء عليها السلام، كقوله عليه السلام لمعسكر ابن زياد (لعنه الله): ((...فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فانظروا، هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟ أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟))[٤].

وقوله: ((..فوا لله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم)). وقوله مخاطباً أهل الكوفة: ((...أنشدكم الله، هل تعرفوني؟

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٠، مناقب آل أبي طالب ٣: ١٤١.

(٢) ورد حديث الثقلين في عشرات المصادر السنية والشيعية، وبتعابير مختلفة، منها: الكافي ٢: ٤١٥ ،باب أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أو كافراً أو ضالاً، ح١، دعائم الإسلام ١: ٢٨، ذخائر العقبى: ١٦، مسند أحمد ٣: ١٤،١٧، سنن الدارمي ٢: ٤٣٢، مستدرك الحاكم ٣: ١٠٩، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٥، مجمع الزوائد ٩: ١٦٣، تفسير ابن كثير ٤: ١٢٢، أسد الغابة ٢: ١٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٤٢، عوالي اللئالي ٤: ٩٠. كمال الدين وتمام النعمة: ٢٥٣.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٣.

قالوا: نعم،كي أنت ابن رسول الله وسبطه. قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أن أمي فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أن أبي علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أن جدتي خديجة بنت خويلد، أول نساء هذه الأمة إسلاما؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أن سيد الشهداء حمزة عم أبي؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فأنشدكم الله هل تعلمون أن جعفر الطيار في الجنة عمي؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنا متقلده؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله أنا لابسها؟ قالوا: اللهم نعم....))[1].

هكذا كان يتحدّث الإمام الحسين عليه السلام مع أهل الكوفة، حيث كان يثير في خطابه قضايا مؤثرة في الجانب العاطفي والمشاعري للمجتمع الذي كان يعيش فيه.

وهذا يعطينا درساً في موضوع الإعلام، وهو: أنَّ كل عمل إعلامي يراد منه توعية الجماهير وتحريكها وتعبئتها باتجاه الهدف الأساسي والتفاعل معه، لابدً أن ينطلق من نقطة مركزية تمثل القضية التي تمس ضمير الجمهور، وتتفاعل مع مشاعره وعواطفه، ومن زاوية ما يدركه الجمهور- بالفعل - من القضية ومصالحها العامة التي تنطلق من واقع الظروف السياسية والاجتماعية، وضمن نطاق الفكرة الصحيحة المتبناة.

وبعبارة أخرى: يجب أن يكون الخطاب السياسي ملمّاً بالأوضاع القائمة في الأمة، وبالتالي لابد أن نفتّش بصورة واقعية عن القضايا التي تمس

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٢٢، ح٢٣٩، روضة الواعظين:١٨٦.

ضمير الجمهور، والزوايا التي يتفاعل معها، لتكون هي نقطة البدء بالتخاطب معه، لا أن يكون الحديث عن المبادئ والقيم والمفاهيم ـ فحسب ـ مهما كانت مستدلّة وصحيحة وحقّة[1].

---

(١) ولهذا نجد إنّ الخطاب السياسي الذي استخدمه (حزب الله) في المعركة التي خاضها مع إسرائيل كانت تتركز على نقطة مهمة ورئيسية تمكن من خلالها تحريك الأُمة وتعبئتها، وجعلها صفاً واحداً في مقابل إسرائيل، مع أنّ هناك الكثير من المفاهيم والقيم والمبادئ التي ربما تكون أهم من هذه النقطة بحسب تسلسلها في النظريات، لكن نجد أن (حزب الله) أخذ يركز على نقطة (الوطنية)، باعتبار أنَّ هناك قسما من المناطق اللبنانية قد احتلتها إسرائيل.

فكان الخطاب هو الدفاع عن وطننا لبنان ومحاربة المحتل حتى إخراجه، مع أننا ربما لا نجد هذه النقطة من المفاهيم والنظريات الرئيسية في الإسلام، الذي يلغي الحدود للبلاد الإسلامية، ويجعل واجب المسلم واحداً تجاه جميع البلاد الإسلامية. فكما يجب الدفاع عن لبنان، يجب الدفاع عن فلسطين وعن العراق وعن كشمير وعن كلّ بلد من بلاد الإسلام.

إنّ البعض عندما يفكر في عمله السياسي يفكر بعقلية ربما تكون بعيدة عن الهدف التعبوي.

صحيح، إنّ المسلم يجب عليه أنّ يدافع عن كل بلد من البلدان الإسلامية في مقابل العدوان والظلم والكفر العالمي، ولكن لتعبئة الأُمّة وجعلها صفاً واحداً قادرة على مواجهة العدوان، لابد أن نأخذ كل الظروف السياسية والوقائع ونركز على النقطة الرئيسية التي تجعل التعبئة عملية في المواجهة.

وهكذا كان سيدنا الشهيد محمد باقر الصدر ﯨﮟ، فقد وضع خطاباً سياسياً يتناسب مع كل الظروف المعاشة في العراق، وتحدَّث مع الجميع، حتى مع من ينتسب إلى حزب البعث في العراق وخاطبه، بأنّ صداماً ليس بعثياً حقّاً، وبيّن أن صدام يعيش لنفسه ضد البعث وضد الجيش، ضد السنة والشيعة، وضد كل الناس في العراق. فحاولﯨﮟ في خطابه السياسي أن يركّز على هذه النقطة، وهي أنّ الهدف هو إزالة هذه الطغمة الفاسدة المجرمة عن صدر العراق، ويجب أن توظف كلّ الوسائل الإعلامية لتحقيق هذا الهدف المركزي الرئيسي.

ولكن مع الأسف نجد أنّ بعض المؤمنين بالشهيد الصدر والمخلصين له ومحبيه – لأنهم يعيشون في الخيال ولا يعيشون حالة واقعية في المواجهة – وضعوا هذا الخطاب السياسي على الرف كشيء مقدس يحبونه ويحترمونه دون أن يعملوا به. **(منه ﯨﮟ)**.

فالإمام الحسين عليه السلام كان بإمكانه أن يطرح نظريات عقائدية كثيرة، قد تكون الأمّة بحاجة إليها آنذاك كقضية الإمامة، حيث يوجد انحراف في فهم هذه القضية المهمة والحسّاسة، أو يطرح قضايا مرتبطة بالإيمان والكفر، لكنه عليه السلام لم يشغل نفسه بشيء من هذه الأُمور الحقّة؛ لأنّ هدفه الأساسي هو توعية الأُمة تجاه قضية رئيسية ومركزية كانت تعيشها، وسوف تعيشها في كلّ جذورها، لذا اهتم عليه السلام بها، مضافاً إلى إثارة العواطف والمشاعر؛ لأنه يعرف أنّ الأُمة لا زالت تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، ولا زالت تحترم البيعة عندما تبايع، فإذا تخلّت عن هذه البيعة فمعنى ذلك أنُها تخلّت عن العهد والميثاق، وهذا شيء معيب ومستهجن يستحق صاحبه الذم، وهذا الأمر كان يدركه الناس في زمن الإمام الحسين عليه السلام، ولذلك فإنّ الذين بايعوه عليه السلام، ثم نقضوا البيعة والعهد أخذوا يتهرّبون أو يكذبون حينما حاججهم الحسين عليه السلام وقال لهم: ((ألم تكتبوا ألي أن قد أينعت الثمار، واخضر الجناب، وطمت الجمام، وإنّما تقدم على جند لك مجنّد..، قالوا له: لم نفعل))[١].

أو كانوا يخفون وجوههم عنه عليه السلام في ساحة المعركة دفعاً للإحراج، ولم يجرء منهم أحد ويقول: بايعناك ونقضنا بيعتك.

إذن، فالإمام الحسين عليه السلام استخدم خطاباً سياسياً مهماً جداً ينبغي الالتفات إليه والاستفادة من المفردات التي وردت فيه لننتفع منه في عصرنا الحاضر[٢].

---

(١) تاريخ الطبري٤: ٣٢٣.

(٢) يلاحظ في أحاديث وكلمات كثير من الكتاب المسلمين وجود خلط وتداخل بين الخطاب العقيدي والخطاب السياسي بحيث لا يفرّق بينها، فالبعض يتحدث بالخطاب العقيدي والأفكار التي يؤمن بها ويضعها في موضع الخطاب السياسي، مع أن هذا خطأ فادح في الخطاب السياسي، فمثلاً: فكرة الجهاد في سبيل الله، لم تكن أمراً مختصاً – كعقيدة ←

البعد الثالث: وسائل الإعلام الحسيني

لقد استخدم الإمام الحسين عليه السلام وسائل خاصة وناجعة في الإعلام والإعلان عن تحركه ونهضته، كان لها الأثر البالغ في مشاعر الناس وعواطفهم والتفافهم نحوه، كما كانت لهذه الوسائل الدور الكبير في ديمومة الثورة واستمرارها وحيويتها في قلوبهم.

ويمكن توضيح ذلك من خلال النقاط التالية:

النقطة الأولى: الطريقة الواضحة في رفضه عليه السلام لبيعة يزيد، واتخاذه الموقف الصريح والمعلن تجاهها، فقد رفض عليه السلام بيعة يزيد علناً وأمام واليه في المدينة وأعدّ عدته لذلك، حيث ذهب إلى الوالي ومعه جماعة من مواليه وأمرهم بحمل السلاح؛ ليبين للأُمّة من خلال ذلك الموقف الشرعي من الحكم، وليعلن للناس جميعاً بالمقدار الذي يمكن أن يستوعب هذا الحدث، أنّه رفض هذه البيعة، وهذه وسيلة من وسائل الإعلام المعبّر عن القضية.

وهذا بخلاف موقف عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن ابن أبي بكر، عندما بعث خلفهم والي المدينة ليأخذ منهم البيعة، فقد رفضوا البيعة بشكل غير علني، ولم يعبروا عن هذا الرفض الذي كان

وكمنهج وكفكرة في الإسلام - في مرحلة دون مرحلة، بل هي من الأفكار الثابتة في الرسالات الآلهية بشكل عام، ولكن مع ذلك نلاحظ أنَّ الإسلام في بعض مراحل حركته السياسية جمَّد فكرة القتال والجهاد، وطرح فكرة الانتظار، كقوله تعالى: ﴿**حتى يأتي الله بأمره..**﴾ فهنا لا يتحدث القرآن عن الجهاد كثيراً، والحث عليه كواجب؛ لأنَّه لا يراد تعبئة المسلمين للقيام بهذا العمل، فهذا التجميد والتوقيف للفكرة إنما هو أمر مرتبط بالخطاب السياسي، فلا يصح أن يقال: كيف يتوقف القتال وهو مبدأ أسلامي؟ فإنَّ هذا التوقيف إنّما هو بالخطاب؛ مراعاة للظروف التي تعيشها الجماعة، وليس إلغاء للفكرة من العقيدة، أو حذفاً لها من الأفكار. (**منه رحمه الله**).

عبارة عن عملية فرار من اتخاذ هذا الموقف[١].

ثم إنَّ الحسين عليه السلام خرج من المدينة إلى مكة بشكل علني، حيث سلك الطريق العام الذي يسلكه الناس عادة، ولم يتخذ طريقاً آخر للتخلص من المطاردة بعد ما أُشير عليه بذلك[٢].

ويُعد هذا عملاً إعلامياً مهماً، بخلاف ما صنعه عبد الله بن الزبير، حيث خرج في ليلة ظلماء من المدينة إلى مكة[٣].

---

(١) ذكر ابن شهر آشوب رواية جاء فيها:((.. **فلما مات معاوية كتب يزيد إلى الوليد بن عقبة بن أبي سفيان بالمدينة يأخذ البيعة من هؤلاء الأربعة أخذا ضيقا ليست فيه رخصة فمن أبى عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إلي برأسه، فأحضر الوليد مروان وشاوره في ذلك فقال: الرأي أن تحضرهم وتأخذ منهم البيعة قبل أن يعلموا، فوجه في طلبهم وكانوا عند التربة فقال عبد الرحمن وعبد الله: ندخل دورنا ونغلق أبوابنا، وقال ابن الزبير: والله ما أبايع يزيدا أبدا، وقال الحسين بن علي عليه السلام: أنا لابد لي من الدخول على الوليد وأنظر ما يقول...**)). مناقب آل أبي طالب٣: ٢٤٠.

(٢) جاء في الرواية: ((**فسار الحسين عليه السلام إلى مكة وهو يقرأ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ولزم الطريق الأعظم، فقال له أهل بيته: لو تنكبت الطريق الأعظم كما صنع ابن الزبير لئلا يلحقك الطلب، فقال: لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض**)). أنظر: تاريخ الطبري٤: ٢٦٠.

(٣) ذكر ابن الأثير: ((أما ابن الزبير فقال الآن آتيكم ثم أتى داره فكمن فيها ثم بعث إليه الوليد فوجده قد جمع أصحابه واحترز وهو يقول: أمهلوني فبعث إليه الوليد مواليه فشتموه وقالوا له يا بن الكاهلية لتأتين الأمير أو ليقتلنك فقال لهم والله لقد استربت لكثرة الإرسال فلا تعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيه فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال رحمك الله كف عن عبد الله فإنك قد أفزعته وذعرته بكثرة رسلك وهو يأتيك غدا إنشاء الله فمر رسلك فلينصرفوا عنه فبعث إليهم فانصرفوا. وخرج ابن الزبير من ليلته فأخذ طريق الفرع هو وأخوه جعفر ليس معهما ثالث وساروا نحو مكة فسرح الرجال في طلبه فلم يدركوه فرجعوا وتشاغلوا به عن الحسين ليلتهم)) الكامل في التأريخ٤: ١٦.

النقطة الثانية: لجوء الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة المكرمة ـ دون غيرها ـ بعد ما طلبت منه البيعة في المدينة ورفضها، وقد اتخذ من مكة مقراً له لإعلان هذا الموقف واتخاذه.

وقد يتبادر إلى الأذهان من حركته هذه أنه أراد الحصول على مكان آمن، يأمن فيه من عدوان يزيد والدولة الأموية؛ وذلك أنّ هذا البلد الكريم يُعَدُّ حرم الله الآمن، وهذا أيضاً يفسر لجوء آخرين غير الإمام الحسين عليه السلام اليه، من قبيل عبد الله بن الزبير، غاية الأمر أنّ هناك فرقاً واضحاً بين الموقفين يتلخص في كيفية رفض البيعة، وطريقة الخروج من مكة، لكن الصحيح أن الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يستفيد من هذا الموقع المقدس ليعلن رفضه للبيعة، وإيصال موقفه هذا إلى مساحة واسعة في العالم الإسلامي، حيث اتخذ من مكة المكرمة موقعاً لإيجاد هذا الاتصال مع مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وذلك عند اجتماع المسلمين من كلّ أقطار العالم الإسلامي في هذا المكان، لأداء فريضة الحج.

ومن المعلوم أنّ الحج سابقاً لم يتم بالسرعة التي يتم بها الآن بعد توفر وسائل النقل والانتقال، وإنما كان الحجاج يقصدون بيت الله منذ فترة طويلة نسبياً، ولاسيما حجاج الآفاق، فأنَهم كانوا يأتون مبكرين ويقيمون في هذه المنطقة حتى يحين موعد الحج.

فالإمام الحسين عليه السلام - مع الأخذ بنظر الاعتبار هذه الفترة المحدودة - اتخذ من مكة المكرمة موقعا للاتصال مع مختلف أنحاء العالم، وقد قام عليه السلام في هذا المجال بحركتين:

الحركة الأولى: إرسال الرسائل إلى مناطق العالم الإسلامي المختلفة، كما تشير إلى ذلك بعض النصوص التأريخية، وللأسف أنّ هذه الأحداث لم تدوّن بكل تفاصيلها؛ لأنّ التأريخ يُدوّن عادة حركة الحكام والأنظمة، ولا يُدوّن غيرها من الحركات إلاّ بشكل محدود ومعتّم عليه، ولكن مع ذلك

نجد أنّ بعض النصوص التأريخية تشير إلى أنّه عليه السلام قام بمراسلة أهل البصرة واليمن[1]، ويمكن أن نفترض أنه راسل مناطق أُخرى من العالم الإسلامي حسب الإمكانيات المتوفرة لديه آنذاك.

الحركة الثانية: الاتصال المباشر بالحجاج الذين يأتون من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وحجاج الآفاق غالباً ما يمثلون طبقة وجماعة مؤثرة في المجتمع؛ لأنّ شروط الاستطاعة إنما تتوفر لهم من جانب الإمكانيات، ومنهم من يأتي أيضاً ليشهد المنافع والأغراض الأُخرى غير الحج، كالتجارة وغيرها.

فالإمام الحسين عليه السلام كان يريد أن يستفيد من الاتصال بهذه الطبقة المهمة، ومن عموم المسلمين القادمين من الآفاق المختلفة؛ لكي يوضّح الموقف الشرعي الذي هو أحد الأهداف الرئيسية لحركته عليه السلام من ناحية، وفضح النظام الأموي من ناحية أخرى.

---

(١) جاء في تاريخ الطبري: ((..**وكتب (الإمام الحسين) بنسخة إلى رؤوس الأخماس بالبصرة وإلى الأشراف، فكتب إلى مالك بن مسمع البكري وإلى الأحنف بن قيس وإلى المنذر بن الجارود وإلى مسعود بن عمرو وإلى قيس بن الهيثم وإلى عمرو بن عبيد الله بن معمر، فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها أما بعد: فان الله اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على خلقه وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعبادة وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه وسلم، وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فان السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت وأن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله**)). تاريخ الطبري٤: ٢٦٥.

وهذا الأمر يلقي بالضوء على حقيقة موجودة في التأريخ وفي المجتمع الإسلامي لحدّ الآن، وهي: الاعتراف بصحّة ثورة الإمام الحسين عليه السلام وشرعيتها. فأبيات الشافعي المعروفة في رثاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام:

تأوّه قلبي والفؤاد كئيبُ ❊ وأرّق نومي فالسهاد عجيبُ

فمن مبلغ عني الحسين رسالةً ❊ وإن كرهتها أنفس وقلوب

ذبيح بلا جرم كأنّ قميصهُ ❊ صبيغ بماء الأرجوان خضيب

فللسيف إعوال وللرمح رنّةٌ ❊ وللخيل من بعد الصهيل نحيب

تزلزلت الدنيا لآل محمد ❊ وكادت لهم صمّ الجبال تذوب

وغارت نجوم واقشعرت كواكب ❊ وهتك أستار وشق جيوب

يُصلّى على المبعوث من آل هاشم ❊ ويُغزى بنوه إنّ ذا لعجيب

لَئِن كان ذنبي حبّ آل محمد ❊ فذلك ذنب لست منه أتوب

هم شفعائي يوم حشري وموقفي ❊ إذا ما بدت للناظرين خطوب[1]

تعطي صورة واضحة عن تأثير نهضة الإمام الحسين عليه السلام عند المسلمين وتفاعلهم معها رغم أنّ أكثر المذاهب الإسلامية بل يمكن أن نقول جميعها ترى أنّ الخروج على الحاكم وإن كان متسلطاً بالجور وبالقوة أمر غير صحيح، وغير جائز من الناحية الفقهية[2].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٦٩.

(٢) قال النووي في شرح مسلم: ((وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويفه؛ للأحاديث الواردة في ذلك...)). شرح مسلم١٢: ٢٢٩، باب لزوم طاعة الأمراء في غير معصية.

فمع وجود هذا التصور الفقهي نجد أنّ هناك حقيقة يعترف بها عامة المسلمين - باستثناء النواصب، ومن شذ من هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بمسلمين - كما يعترف بها علماء الإسلام وفقهاؤه ومفكروه على مر العصور والأجيال، وهي: إنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام ثورة شرعية.

فهذا التسليم للشرعية الذي هو حالة عامّة موجودة في العالم الإسلامي، أحد الأُمور التي تفسره، هو: قيام الإمام الحسين عليه السلام بشرح موقفه وخلفية هذا الموقف للمسلمين الذين جاءوا إلى مكة المكرمة للحج، ثم نقلوه بدورهم إلى بلاد الإسلام عامة حتى أصبحت هذه القضية من القضايا الواضحة، ولا سيما أنّ وسائل الإعلام كانت محدودة آنذاك، ولم تكن واسعة كما هي عليه الآن هذا العصر.

النقطة الرابعة: خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة في الثامن من ذي الحجة قبل أن يحج، وكان يمكنه الخروج قبل هذا بعدّة أيام أو بعده بعدّة أيام، لكنه كان يخطط لخروجه في يوم يجتمع فيه الناس، فاختار يوم التروية كي يعلن أمام جمهور الحج نهضته في مقابل يزيد بن معاوية.

ويُعدُّ هذا عملاً إعلامياً وتبليغياً مهماً وكبيراً استخدمه الإمام الحسين عليه السلام مستفيداً من الموقع الخاص لبيت الله الحرام، وهو عمل إسلامي مشروع في أصله إذا أردنا الرجوع إلى موضوع إعلان البراءة من المشركين في زمن النبي صلى الله عليه وآله عندما نزلت سورة براءة، وانهت العهود التي دخل فيها الرسول صلى الله عليه وآله مع المشركين[1]، وقد أرسل النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر في البداية لإعلانها،

---

(١) قال تعالى: ﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۞ وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ ←

غير أن الوحي نزل عليه واخبره أنّه لا يبلغ عنك إلا رجل منك، فاستدعى أبا بكر وسلّم البيان والبرآءة للإمام علي عليه السلام فتصدى عليه السلام لذلك[١].

إذن، فمشروع إعلان الموقف الإسلامي العام في الحج هو بالأصل مشروع آلهي وإسلامي مرتبط بالنبي صلى الله عليه وآله، ولذلك فالإمام الحسين عليه السلام استفاد من هذا المنهج الإعلامي في موقفه ضد يزيد.

وهناك جانب آخر ركّز عليه الإمام الحسين عليه السلام - من خلال خروجه في اليوم الثامن من ذي الحجة الحرام - وهو: الحفاظ على حرمة بيت الله الحرام، فإنّ بعض النصوص التأريخية تذكر: انّ الإمام الحسين عليه السلام بلغه أن يزيد أرسل له جماعة ليقتلوه في البيت الحرام على أي حال اتفق؛ فقطع حجه الإمام الحسين عليه السلام وجعله عمرة مفردة[٢]، وتحرّك بالاتجاه المعاكس لحركة الجماهير الغفيرة من الحجاج، ومن الطبيعي أن تسأل تلك الجماهير عن سبب هذا التحرك، فعندها يأتيهم الجواب من الحسين عليه السلام: بأني لست آمناً في مكة، وأخشى أن ينتهك هذا المكان المقدس باغتيالي فيه، وهذا ما يحرك عواطف الأُمة ويثير مشاعرها لما للحرم المكي والحسين بن علي عليه السلام

أَلِيمٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾. التوبة: ١ - ٤.

(١) انظر: تفسير العياشي٢: ٧٤، الدر المنثور٣: ٢٠٩، تفسير الميزان٩: ١٧٦ - ١٧٧.

(٢) قال العلامة المجلسي في بحاره:((.. ولقد رأيت في بعض الكتب المعتبرة أن يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر عظيم وولاه أمر الموسم وأمره على الحاج كلهم، وكان قد أوصاه بقبض الحسين عليه السلام سرا وإن لم يتمكن منه بقتله غيلة، ثم إنه دس مع الحاج في تلك السنة ثلاثين رجلا من شياطين بني امية، وأمرهم بقتل الحسين عليه السلام على أي حال اتفق، فلما علم الحسين عليه السلام بذلك، حل من إحرام الحج، وجعلها عمرة مفردة.)). بحار الانوار٤٥: ٩٩، باب ٣٧.

من قدسية في نفوس المسلمين، مع أنهم يرون أن أقدس بقعة هي مكة وحرمها، وأن الحسين عليه السلام أفضل إنسان على وجه الأرض في ذلك الوقت، واقرب إنسان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد يُتساءل فيقال: إنّ من جملة مهام الإمام الحسين عليه السلام هو فضح الأُمويين وكشف القناع عن سوء حكمهم واستهتارهم بالدين، فلماذا إذن لم يبق في مكة، فان قتل فيها فستكون فضيحة الأمويين أكبر من أن يقتلوه في مكان آخر؟

ويمكن الجواب عن ذلك: بانّ الإمام الحسين عليه السلام كان يهتم بالجانب الأخلاقي في ثورته، حيث جسده في كل خطوة كان يخطوها، فهو على ما هو عليه من العلم والفضل والقرب من الله ورسوله عندما يقتل في البيت الحرام تنتهك بذلك حرمة البيت وتسق[1]، ومن ناحية أخرى أراد عليه السلام بثورته ايقاظ ضمير الأُمة، ومن جهة ثالثة كان خروجه من مكة له آثار كبيرة من الناحية السياسية أيضاً بغضّ النظر عن الناحية الأخلاقية.

فلو افترضنا أنّه عليه السلام بقي في مكة وقتل فيها من قبل الأُمويين، فقد يتمكن الأُمويون من التعتيم على هذه الحقيقة بشكل أو بآخر، فينسبون قتله إلى

---

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ما نصه: ((وقال سفيان ابن عيينة عن ابراهيم ابن ميسرة عن طاووس عن ابن عباس: قال: استشارني الحسين بن علي في الخروج فقلت: لولا ان يزري بي وبك الناس لشبثت يدي في راسك فلم أتركك تذهب، فكان الذي رد علي أن قال: لان أقتل في مكان كذا وكذا احب إلي من ان اقتل بمكة)). البداية والنهاية: ٨: ١٧٢، وغير ذلك من الروايات التي تؤكد على ان خروج الإمام الحسين عليه السلام كان بسبب الحفاظ على حرمة بيت الله الحرام من الهتك.

بعض المنافسين السياسيين له ويجعلون الحادثة في طي النسيان[١].

ومن هنا نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يكون قتله بشكل علني، بعد مواجهة وقتال يشترك فيه الناس، لتكون لثورته عليه السلام آثار عظيمة على مدى التأريخ والأجيال وهذا ما حصل بالفعل، فبالرغم من أنّه عليه السلام استفاد من موقع الحرم الآمن في حركته، لكنه في الوقت نفسه كان يخطط لشهادته أن تكون في مكان آخر حتى يكون لها هذا التأثير العظيم.

وقد تحقق هذا الأثر بعد استشهاده عليه السلام، وتحركت الأُمة بسبب تلك الآثار، وبدأت الحركة في العراق واستمرت حتى سقوط الحكم الأُموي؛ لأنّ الحسين عليه السلام استخدم خطاباً سياسياً ناجحاً وقوياً، واستخدم وسائل تمكن من خلالها أن يعمم فكره ونظريته على الأُمة، وهذا كله يصب في هدف معين مقدس، فتمكن عليه السلام من إيجاد هذا الأثر الكبير في حركة الأُمة ووجودها.

---

(١) وفي عصرنا الحاضر نشهد مثل هذه الحوادث في العراق، فإنَّ نظام صدام المجرم قام بقتل الكثير من أبناء العراق في الداخل بطريقة الاغتيال، وحاول التعتيم على ذلك.

وربّما يحتمل الناس ويظنون ظناً قوياً، بل ربما يحصل لبعضهم اليقين بأنّ النظام هو الذي قام باغتيالهم، ولكنّ التأثير الروحي والنفسي والسياسي لهذه العملية يكون أكبر بكثير في فضح النظام فيما إذا كان القتل علناً.

وهذا ما فعله الشهيد الصدر قدس سره حيث أخذ زمام المبادرة وخطط لأن يكون قتله قتلا علنياً أمام أنظار الناس وقام بعمل خلَق فيه مواجهة مع النظام، ومهّد لهذا العمل بحركة جماهيرية شعبية من خلال أسبوع البيعة الذي قام به، مع أنَّ النظام حاول اغتياله بطريقة سريّة.

فعملية الاستشهاد أذا كانت مقرونة بحركة مواجهة وفيها تعبئة روحية وجماهيرية، وتكون عملية علنية، عندئذ تكون تأثيراتها السياسية أضعافاً مضاعفة من أن تتم بطريقة سرية قابلة للتشكيك والتعتيم. **(منه قدس سره)**.

فلو لم يجمع الحسين عليه السلام في حركته الإعلامية بين الهدف والخطاب السياسي والمفردات والوسائل السياسية المناسبة، لكان من الممكن أن لا تكون لشهادته هذه الآثار العظيمة التي نراها الآن في حياتنا، وسوف يراها المسلمون في كل عصورهم وأجيالهم.

الفصل السابع

العراق
مركز النهضة الحسينية

اعتقد أن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة مكثفة من قبل الباحثين والعلماء، خصوصا المختصين منهم بفلسفة التأريخ وحركته؛ لأنه يرتبط بشعب مسلم مؤمن، تحمًل تضحيات كبيرة في مختلف أدوار تاريخه الإسلامي، وتحمّل أعباء مختلفة على مرّ العصور والأزمان، وكان له دور عظيم في مجرى التأريخ الإسلامي.

ولكن باعتبار الظروف المأساوية التي واجهته، وجور الحكام الظلمة أصبحت صورته غير واضحة وفيها الكثير من الغموض، ولذلك اعتقد أن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث تأريخي واسع من قبل العلماء لتدوين الأرقام الدقيقة لارتباطه بشكل مباشر بثورة الحسين عليه السلام.

ويمكن بحث الموضوع من خلال السؤال التالي:

لماذا اختار الإمام الحسين عليه السلام العراق مركزاً لنهضته دون بقية بلدان العالم الإسلامي الذي كان يشغل الشرق الأوسط وآسيا الصغرى وأفريقيا الغربية والشمالية، مع أنه يعرف العالم الإسلامي كله؟

فهل كان من الصدفة أن يذهب الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق ويقوم بنهضته هناك، لتكون هذه الملحمة التأريخية الفريدة، أم أنَّ هناك تخطيطاً مسبقاً لذلك؟

هذا السؤال - في الواقع - جدير بالاهتمام؛ لمعرفة حقيقة الأوضاع التي عاشها الحسين عليه السلام، والدور الذي قام به أبناء الشعب العراقي[1] مع الحسين عليه السلام، وما بعده حتى يومنا الحاضر.

قد يبدو لأول وهلة في جواب السؤال المتقدم، إنّ الاختيار ناشئ من

---

(١) عندما نتحدث عن هذا الموضوع لانريد أن ننطلق من منطلق إقليمي، وإنما نريد تقييم هذا الحدث التأريخي، لنستخلص العبرة والدرس منه.(**منه** رحمه الله).

الرسائل التي بعثها أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام والتي تطلب منه التوجه إلى العراق، فالحسين عليه السلام ذهب على أساس ذلك، ولاقى ما لاقى من المأساة.

وإذا افترضنا جدلا أنّ هذا هو الجواب الصحيح، فالسؤال الذي يطرح نفسه بعد ذلك هو:

لماذا اختص أهل الكوفة فقط - دون غيرهم - بإرسال الرسائل؟ فلماذا لم يبعث أهل البصرة الرسائل للحسين عليه السلام، أو أهل اليمن، أو أهل مصر، أو أهل الشام التي هي المركز والعاصمة في ذلك الوقت، أو أهل إفريقيا، أو أهل إيران وغيرهم من شعوب بلدان العالم الإسلامي؟

إنّ الشعب العراقي والكوفة بامتداداتها التأريخية كانت أفضل مكان مؤهّل لنهضة الحسين عليه السلام، وبالتالي فاختيار الإمام الحسين عليه السلام للعراق ليس مجرد رسائل أهل الكوفة له، وحتى الرسائل كانت وراءها خلفية واقعية.

ويمكن تشبيه الكوفة بمكة والمدينة المنورة في زمن بعثة النبي صلى الله عليه وآله، إذ نفس السؤال يطرح على بعثة النبي أيضاً، وهو لماذا بُعث النبي صلى الله عليه وآله في هذه المنطقة بالذات ولم يبعث في مناطق أُخرى أكثر تقدّماً وتحضّراً؟

لماذا لم يبعث في إيران، أو في بلاد الروم، أو في فلسطين، كما بعث الكثير من الأنبياء عليهم السلام أو في غير ذلك من مناطق العالم، كالصين لكونه بلداً متحضّراً آنذاك؟ فلماذا بعث في هذه المنطقة المتأخرة حضارياً؟

نعتقد أنّ الحسين عليه السلام جاء إلى العراق كونه البلد المؤهل لثورته والمستعد لتقبل نهضته عليه السلام، وبهذا يختلف عن مناطق العالم الإسلامي الأُخرى، ويفترق به عن منطقة الجزيرة العربية.

وهذا الكلام ربما يبدو غريباً؛ لأنّ الجميع يعرف أنّ الحسين عليه السلام قتل في

هذا البلد هو وأهل بيته وأولاده وأصحابه وسبيت عيالاته، فكيف نفترض أنّ هذا البلد أو المنطقة هي أفضل منطقة تهيّؤاً لتقبل ثورته!.

ومن هنا سأُشير إلى مجموعة من المميزات والحقائق التأريخية المسلَّمة التي تميَّز بها أهل العراق دون غيرهم، وهي توصلنا إلى النتيجة:

الحقيقة الأولى: فهم أطروحة أهل البيت

إنَّ أهل الكوفة كانوا أكثر الناس معرفة بالحسين عليه السلام، وأكثر فهماً - على اقل تقدير - لمدلولات المنطق الذي يطرحه أهل البيت عليهم السلام، والتي لم يكن يفهمها عامة المسلمين.

فالطبيعة التكوينية لهذا الشعب يمكنها الانسجام مع التحرك التضحوي الفدائي الذي قام به الحسين عليه السلام، ولذا فإنَّ الحسين عليه السلام كان يشعر أنَّه حتى إذا قتل هو وأهل بيته في العراق، فسيكون لمقتله اثر وسيستمر هذا الشعب في طريق التضحية، بخلاف ما لو قتل في منطقة أخرى، فإنَّ من الممكن أن تنطفئ هذه الشعلة ولا يبقى لها هذا الاستمرار. وهناك مجموعة من الشواهد التأريخية على هذه الحقيقة:

منها: إن منطقة الكوفة هي أول من بدأت بالانتفاضة بشكل قوي وواضح ومستمر في مواجهة الأمويين عندما قامت حركة التوابين القوية، ثم حركة المختار التي اسقطت الحكم الأموي في العراق، واستيلاء التوابين وخط المختار ـ الذي كان يرفع شعار أهل البيت عليهم السلام ـ على الحكم[1].

ثم استمرت بعدها ثورات العلويين التي كانت ملؤها التضحيات من

---

(١) راجع: تاريخ الطبري، وابن الأثير، وابن كثير في ذكرهم حوادث سنة(٦٥ و ٦٦).

أبناء الشعب العراقي.

ثم نما خط الخوارج في العراق، فبالرغم من انحراف الخوارج في تفكيرهم وعقيدتهم إلا أنّ الجانب الروحي عندهم كان يرفض الظلم.

ثم حركة عبد الرحمن بن الأشعث، فبالرغم من أنّ قائدها هو عبد الرحمن بن الأشعث الكندي ألد أعداء أمير المؤمنين عليه السلام، وقد شارك أبناؤه بشكل فعّال في قتل الحسين عليه السلام، لكن مع ذلك هذه الحركة التي تمثل جماهيرها جماهير أهل الكوفة، كانت أعظم حركة في أيام الأمويين بعد حركة المختار من حيث السعة والقدرة والتهديد الحقيقي لسلطة الأمويين، وقد اشتركت جماهير أهل الكوفة في هذه الحركة وقاتلت للإطاحة بالحكم الأموي(١).

وهناك شيء آخر يمكن من خلاله إعطاء الصورة بشكل أوضح فيما يتعلق بمعرفة أهل الكوفة بالحسين عليه السلام، وهو ما نعتبره نقدا لهم ونستهين بهم عندما نسمع أن قلوبهم كانت مع الحسين عليه السلام وسيوفهم عليه، وهذا الانتقاد في محله؛ لأنّ أي إنسان عندما يكون هواه وقلبه وفهمه مع شيء ما، ينبغي أن تكون أرادته أيضا كذلك، وإلا فهي حالة متناقضة في تفكيره يستحق النقد عليها، ولكن لو سألنا الفرزدق عن موقف أهل البصرة، أو الشام، لكان جوابه أنّ سيوفهم وقلوبهم على الحسين عليه السلام.

---

(١) وقد تعرض المؤرخون لهذه الحادثة وذكروها مفصلا، والمهم فيها - والذي يقصده الشهيد الحكيم - هو أنّ أهل العراق والكوفة بالذات كانوا ناقمين على الحكم الأموي، ومستعدين لبذل دمائهم للخلاص من هذا الحكم الفاسد، وهذا يمثل ثمرة من ثمرات الثورة الحسينية المباركة.

إذن، فالذين كانوا يقاتلون الحسين عليه السلام من أهل الكوفة بالرغم من أنّهم كانوا مجرمين، إلا أنّهم كانوا يتميزون على غيرهم بأنهم كانوا يدركون ـ على اقل تقدير ـ مقدارا من حقيقة الحسين عليه السلام، والشاهد على ذلك الرسائل والكتب التي كتبوها له عليه السلام، وإنْ كان بعض الباحثين يحاول إضفاء طابع النفاق عليها، وافتراض أنّ أهل الكوفة عندما كتبوا هذه الرسائل كتبوها تضليلاً للحسين عليه السلام، ونفاقاً منهم، وأنهم لم يستشعروا حقيقة الآلام التي بثّوها فيها، ولكن الحقيقة تؤكّد أنّ هذه الكتب ـ بشكل عام ـ كانت تعبّر عن واقع موضوعي قائم في المجتمع الإسلامي كلّه، ومشاعر حقيقيّة لهم ولكل المسلمين، بادر إليه أهل الكوفة قبل غيرهم وعبّروا عنه في كتبهم، ولكنهم غُلبوا على أمرهم، بسبب الإرهاب والخوف من الفشل وغيرهما من الأسباب.

ولا أريد بهذا الكلام أن أمدح أهل الكوفة وأُعرّف بهم، فقد ارتكبوا - على كل حال - جريمة فضيعة لا مثيل لها في التأريخ، ولكن عند تحليلنا للأوضاع نجد أنّ خط أهل البيت عليهم السلام الذي انتشر في العالم الإسلامي، محوره الأول هم أهل البيت عليهم السلام، والمحور الثاني هم العراقيون، ولذلك فالكوفة كانت تعتبر المدرسة الأولى لأهل البيت عليهم السلام، ومنها انتشر خطهم عليهم السلام إلى إيران والعالم .

فمدينة قم إذا تم أخذها كتأريخ نجد أنّها تمثل المركز الثاني بعد الكوفة[1]؛ لأنّ هذه المدينة - التي احتضنت تربتها السيدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام - بدأت الحركة العلمية والدينية فيها من الأشعريين، وهم قبيلة من قبائل الكوفة نفيت في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي واستقرت في

---

(١) تمثل النجف امتدادا للكوفة بالنسبة إلى خط أهل البيت عليهم السلام. (**منه قدس سره**).

قم[١]، فبدأت الحركة العلمية المرتبطة بأهل البيت عليهم السلام في قم منذ ذلك الوقت، وأصبحت لأهل البيت عليهم السلام مدرسة قائمة فيها منذ أكثر من عشرة قرون، وبالتالي فهي ليست مدرسة حديثة.

وهنا أود الإشارة إلى نقطة، وهي أنَّ خط أهل البيت عليهم السلام يتمثل في خطين رئيسين:

الأول: ما اعبر عنه بالخط الظاهر، ونعني به هو أنَّ أصحاب هذا الخط كانوا يعرفون إمامهم ويرتبطون به ويتعاملون معه بشكل مباشر.

ويتمثل هذا الخط في الإمامية ألاثني عشرية ـ الذي نلتزم به ونؤمن به ـ حيث كانوا يرتبطون بأئمتهم بشكل مباشر أحيانا، ويستترون أحيانا أخرى لظروف معينة، والزيدية أيضاً كانوا يمثلون الخط الظاهر إذا أردنا أن نأخذ شيعة أهل البيت عليهم السلام بشكل عام.

وقد تميَّز الأمامية الاثنا عشرية على الزيدية، إذ إنَّ الزيدية التزمت بفكرة الجهاد والقتال واعتبروها مركزية في تحركهم.

أما خط الإمامية ألاثنى عشرية، فقد التزم بفكرتين أساسيتين ممتزجتين، هما:

أولاً: فكرة الجهاد والتي وضحها وجسَّدها الإمام الحسين عليه السلام بتضحيته.

ثانيا: فكرة العمل السياسي القائم على العقيدة والعلم والمعرفة، وهذا ما

---

(١) ذكر السيد البراقي في تاريخ الكوفة نقلا عن كتاب تاريخ قم ما نصه: ((أما الأشـــعريون منهم: فإنهم هاجروا من الكوفة وتوطنوا بلدة قم من بلاد إيران، وكان السبب في ذلك: أنه لما قتل الحجاج بن يوسف الثقفي محمد بن السائب بن مالك الأشعري، هرب الأشعريون من سطوته وسكنوا بلدة قم، وأسسوا فيها النوادي العلمية، وازدهرت بهم البلـــدة، وبثـــوا فيها الآثار الدينية)) تاريخ الكوفة: ٢٢٨ .

نشأ من خلال الحوزات العلمية، والأصل لهذا العمل هو ممارسة أمير المؤمنين عليه السلام لعمل سياسي مركز بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

الثاني: الخط الباطن، وهو خط الإسماعيلية وخط الفاطميين والدروز - الذي انحرف بعد ذلك - وخط العلويين أيضا بشكل عام كان من الخطوط الباطنة.

وهذه الخطوط كانت تعتمد على التشكيلات والحلقات السرية وعلى الاتصال غير المباشر، وعلى عدم معرفة الإمام بشكل مباشر.

وهناك خصائص يختلف فيها الخطان لسنا بصدد التفصيل فيها، ولكن ما أريد ذكره هو أنَّ من بين هذه الخطوط المتفرعة من الخط الباطن والظاهر نشاهد ومن خلال حركة التأريخ أنَّ خط الأمامية ألاثني عشرية نما وتمكن من البقاء والاستمرار والقدرة على مواجهة ظروف القمع في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

ومن خلال مجمل حركة التأريخ أيضاً نجد أنَّ مركز هذا الخط تأريخياً هو العراق أولاً، وإيران ثانياً.

وإذا أخذنا العلاقات السياسية وتشكيلات الحكومة آنذاك نجد أنَّ إيران في عصر الخلافة الأموية كانت تابعة في تشكيلاتها إلى الكوفة، فالحجاج بن يوسف ـ مثلا ـ الذي حكم الكوفة أكثر من عشرين عاما كان في الوقت نفسه واليا على كل إيران، أي هو الذي ينصّب الولاة عليها.

وقصة عبيد الله بن زياد (لعنه الله) شاهد على ذلك ، حيث إنَه قد وعد عمر بن سعد بملك الري إذا خرج لقتال الحسين عليه السلام، مما يعني أنَّ هذه المنطقة كانت تابعة في تشكيلاتها السياسية إلى الكوفة، ولذلك كانت تحت سلطة عبيد الله بن زياد، وهو الذي ينصب الوالي عليها ويعزله باعتباره واليا للكوفة.

كما أن الجيش الذي دخل إيران وفتحها أيضا هو جيش الكوفة، وقد اتبع الأمويون خطة شهيرة لتوطيد دعائمهم في إيران، وهي أنهم قاموا بتهجير الكثير من الإيرانيين إلى مناطق أخرى، وجاءوا بالكوفيين إلى مناطق إيران ليفرضوا سيطرتهم على تلك المناطق، ولذا توجد حتى الآن مجموعة من العشائر العربية في مناطق متفرقة من إيران كمدينة مشهد خراسان والتي تعتبر المنطقة المركزية والأساسية آنذاك وحتى يومنا الحاضر، حيث إنّ أول دولة أُقيمت لأهل البيت عليهم السلام هي دولة طبرستان التي أقيمت في منطقة جرجان (كركان).

وهكذا الحال بالنسبة إلى حركة العباسيين التي تعتبر بالأصل حركة شيعية - وان كان العباسيون قد قاموا بعملية إلتفاف على الحركة - نمت في منطقة إيران، لأنّها أول منطقة تفاعلت بشكل واضح مع حركة أهل البيت عليهم السلام وخطهم بعد الكوفة.

ومن كل ما تقدم ننتهي إلى أنّ العراق هو محور أساسي من محاور خط أهل البيت عليهم السلام، وقد تحمّل منذ الصدر الأول وحتى الآن مختلف الآلام والمعاناة، وقدّم القرابين تلو القرابين في سبيل هذا الخط، لأنّه كان دائما محور الصراع بين الخطين المتصارعين في العالم الإسلامي، وما ذلك إلا لمعرفة هذه المنطقة - بالذات - بأهل البيت عليهم السلام وبخطهم الأصيل.

ولهذه المعرفة أسباب موضوعية، إذ لم تنشأ من أحلام أهل الكوفة أو رؤاهم، ومن تلك الأسباب:

السبب الأول: دور سلمان وعمار

منذ الفتح الأول للعراق كانت هناك شخصيتان بارزتان وكبيرتان في العالم الإسلامي تتواجدان في العراق، هما: شخصية سلمان الفارسي الذي كان أول والٍ للخلافة الإسلامية على العراق عند فتحه، حيث كان

والياً للخليفة الثاني في مركز العاصمة (المدائن)[١]، وهو معروف بخطه واتجاهه وتصوراته وأصالته.

وشخصية عمار بن ياسر الذي كان والياً للخليفة الثاني على الكوفة بعد أن أصبحت مركزاً للمنطقة بدل المدائن[٢]، وهو يعتبر ـ عمار بن ياسر ـ من بين الشخصيات الأربع الأساسية التي كان يرتكز عليها خط أهل البيت عليهم السلام منذ بداية تحركه في الأمة سياسيا وعقائديا[٣].

فهاتان الشخصيتان الرئيسيتان ـ مضافا إلى بعض الشخصيات التي كانت متأثرة إلى حد كبير بمذهب أهل البيت عليهم السلام كعبد الله بن مسعود ـ تولتا أمر العراق لفترة من الزمن، فأوجدت تياراً حقيقياً فاعلاً ومتأثراً بخط أهل البيت عليهم السلام في العراق، وقد نما هذا التيار في الأوساط الشعبية العراقية، إذ إنّ الطبيعة التكوينية الشعبية في العراق كانت تنقسم إلى قسمين أساسيين:

الأول: ما يمكن أن نعبر عنه بخط السلطة، أي: تلك المجاميع التي فتحت العراق، وكانت تمثل قطاعات الجيش ومن ارتبط بهم ممن يأخذون رواتب وجوائز منظمة من السلطة.

والتشكيلات العسكرية آنذاك لم تكن بالشكل المعهود الآن من الدقة والحرفية، حيث إنها كانت في عهد الخليفة الثاني تمثل قطاعات كبيرة من

---

(١) راجع: الفصول العشرة:١٠٣، الصراط المستقيم١ : ٢٠٥.

(٢) راجع: الطبقات الكبرى٦ : ٧، تاريخ الطبري٣ : ٢٢٣، أسد الغابة٣ : ٢٥٨، الإصابة ٥ : ٧٩، مستدرك الحاكم ٣ : ٣٨٨.

(٣) الشخصيات الأربعة والتي تعد الأركان في زمن النبي صلى الله عليه وآله هم: سلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر. وقيل حذيفة بن اليمان بدل عمار.

راجع: اختيار معرفة الرجال١: ٣٣ و٣٤ و١٧٩، نقد الرجال:٣٧٣.

الناس، ومن أولئك المرتبطين بالسلطة ارتباط مصالح ويعتبرون أنفسهم جزءً من تشكيلاتها وهيكلياتها من جنود وعرفاء وولاة وامتداداتهم في الشعب.

الثاني: خط جماهير الشعب ـ الذي نعبر عنه هذه الأيام بجماهير حزب الله ـ وهم أولئك المسلمون المؤمنون الذين دخلوا في الإسلام ورفضوا الجاهلية والمجوسية والوثنية ومختلف الديانات بعد أن عرفوا الحقيقة.

وقد نما خط أهل البيت عليهم السلام بشكل واضح في القطاعات الجماهيرية في الأمة، وليس معنى هذا أن السلطة لم يكن فيها مؤيدون لأهل البيت عليهم السلام، وإنما المقصود أن النمو والرشد كان في الأوساط الشعبية من الكسبة والفلاحين والمستضعفين وأمثالهم، لان خط السلطة بشكل عام يتأثر عادة بتوجيهات السلطة ومفاهيمها ومصالحها وما أشبه ذلك، بخلاف الجماهير الشعبية.

وقد تمركز دور سلمان الفارسي وعمار بن ياسر في هذه القطاعات، واعتقد ـ وان كان هناك غموض يحتاج إلى دراسات تأريخية ـ أنّ هذا الدور كان بتوجيه حكيم ودقيق من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إليهما في أن ينفذا إلى جماهير الناس، ويتعاملا من موقع أنهما جزء من هذه الأمة، كما كان الأنبياء عليهم السلام يتعاملون مع أممهم.

وكمثال آخر لتوضيح ذلك، إن أبا ذر عندما دخل لبنان وهو منفي من قبل الخليفة الثالث[1]، تمكن من خلال احتكاكه بالأمة أن يؤثّر في جماهيرها، مما أوجد قاعدة عريضة لمذهب أهل البيت عليهم السلام المتمثّلة الآن بشيعة جبل عامل والذين يمثلون امتداداً لتلك الشخصية الفذّة.

(١) راجع: أمالي الطوسي: ٧١٠، ح٤، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٢.

فهؤلاء كانوا يتعاملون مع الأمة ومع الشعب بتوجيه من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وبالتالي فقد كان لهذين الرجلين - بالخصوص - العظيمين اللذين نعرف موقعهما من تأريخ خط علي والحسين عليه السلام، دور عظيم في جذب الناس إلى الحقائق والمفاهيم التي يتبناها أهل البيت عليهم السلام.

وهذا الشيء هو احد الأسباب المهمة التي جعلت الإمام علي عليه السلام يتوجه إلى العراق ويتخذه مركزاً لعاصمة خلافته.

ولذلك نجد أنَّ الذين خاضوا الصراع مع علي عليه السلام ضد الناكثين والقاسطين والمارقين، وتحمَّلوا عبء هذا الصراع وردود فعله وآثاره ونتائجه ومعاناته هم هذه النخبة ممن تأثَّروا بهاتين الشخصيتين، وممن رباهم علي عليه السلام من خلال تواجده في الكوفة.

أي: إنَّ الذين قدَّموا التضحيات الكبيرة يوم الجمل وصفين والمعركة التي خاضوها مع الخوارج، وحتى التي كانوا يريدون خوضها مع معاوية عندما استشهد الإمام علي عليه السلام، والذين تحملوا كل الأعباء والآلام، هم العراقيون.

والى جانب هذه النخبة الصالحة، توجد هناك مجموعات كثيرة مرتبطة بشكل أو بآخر بخط السلطة والخلافة - من قبيل التشكيلات العسكرية - قامت بدور الخذلان.

وبهذا يمكن تفسير الكثير من كلمات الإمام علي عليه السلام كقوله: ((ملأتم قلبي قيحاً))[1]، إذ إنَّه كان يخاطب تلك الأجهزة والتشكيلات الرسمية التي كان يتحرك بها عليه السلام في مواجهة معاوية، حيث كانت أجهزة متخلخلة لا تؤمن بعلي وبخطه، كما أنها لا تؤمن بالتضحية والجهاد، وإنما تؤمن

(١) نهج البلاغة١: ٧٠ الخطبة ٢٧.

بالمصالح والمكاسب السياسية المتحركة التي تشبه كثبان الرمل عندما يضربها الهواء، فتتحرك إلى هذا الملجأ تارة وإلى ذاك أخرى.

والمصالح السياسية تكون دائما أو غالبا بخلاف العقيدة والوظائف الشرعية والحكم الشرعي الذي له جذر كجذر الشجرة المباركة، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

فالأمام علي عليه السلام واجه هذه الحالة، ولكن بالرغم من تشخيصه الدقيق للأوضاع القائمة في العراق كان يعرف أن الشعب الذي يمكنه تحمّل هذا القدر الكبير من التضحية والعناء والآلام إنما هو الجذر الموجود في العراق.

فلو دخل عليه السلام البصرة أو اليمن أو مصر لم يكن حينها قادرا على أن يخوض حربا واحدة فضلا عن ثلاث حروب.

فنحن نلاحظ ما جرى في مصر، فإنّه بالرغم من وجود بؤرة قوية لهذا الخط هناك إلا أنّهم لم يتمكنوا أن يثبتوا أمام حملة واحدة قام بها معاوية عليها، إذ انهار الجدار واتخذ أهلها موقف العزلة والتفرج على الصراع الدائر في العالم الإسلامي، بخلاف أهل الكوفة، وهذا ما يعطينا فكرة عن طبيعة الشعب العراقي وما يتميز به من ميزات أساسية ورئيسية جعلت الإمام الحسين عليه السلام يتجه نحو العراق.

السبب الثاني: وجود الإمام علي في الكوفة

هناك سبب آخر له أهمية خاصة، وهو وجود الإمام علي عليه السلام أربع سنوات في الكوفة يعظ ويرشد ويبين الحقائق، فقد كان عليه السلام يتّصل بالناس اتصالاً مباشراً بصغيرهم وكبيرهم؛ باعتبار موقعه الطبيعي منهم، وهذا الأمر جعل لخطه عليه السلام وجوداً واسعاً وحقيقياً بين أهل الكوفة من خلال أصحابه وتلامذته وممن تربى على يده.

ومن هنا أصبح للكوفة علاقة ومعرفة بعلي عليه السلام، وكانوا أهلها يتحملون الآلام والمعاناة التي لاقاها عليه السلام في حروبه الثلاث، فبذلوا دماؤهم بشكل رئيسي في تلك الحروب، وهذا بنفسه دليل على تمسكهم بعلي عليه السلام، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار نقطة ذات أهمية كبيرة في مسيرة الامام علي عليه السلام ومعاوية، وهي: إنّ معاوية عندما كان يطلب من الناس أن يقاتلوا ويبذلوا ويضحوا، كان يعطيهم بإزاء القتال وجاهةً وأموالاً ونفوذاً، وكان يميّز أهل الشام عن بقية المسلمين. ويعدهم بشيء من أُمور الدنيا في المستقبل.

وهذا بخلاف الإمام علي عليه السلام الذي كان لا يعدهم بإزاء ذلك إلاّ رضوان الله تعالى. وحتى عندما كان يقسّم العطاء فإنّه كان يعطي لأخيه عقيلاً مثلما يعطي لبقية المؤمنين[1]، وقد شهد له الصديق والعدو والمحب

---

(١) من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه : **((والله لان أبيت على حسك السعدان مسهدا، وأجرُ في الأغلال مصفدا، أحب إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، وغاصبا لشئ من الحطام. وكيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها، والله لقد رأيت عقيلا، وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعا، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكدا وكرر علي القول مرددا فأصغيت إليه سمعي فظن أني أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقا طريقي، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها. فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نار سجَرها جبارها لغضبه. أتئن من الأذى ولا أئن من لظى .**

وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها، ومعجونة شنئتها كأنما عجنت بريق حية أو قيئها ، فقلت: أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك محرم علينا أهل البيت. فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنها هدية. فقلت: هبلتك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أمختبط أنت؟ أم ذو جنة أم تهجر؟

ــ

والمبغض بذلك، إذ لم يكن يميز بين شخص وشخص، وطبقة وأخرى، فهو القائل لما عوتب على التسوية في العطاء: ((.. لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله. ألا وأن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف))[1].

فالإمام علي عليه السلام لم يعد أصحابه بشيء من ذلك لا في الحاضر ولا في المستقبل؛ لأنهم يعرفون أنه مع الحقّ ولا يتمكن أن يعطيهم أي ميزة بأي شكل من الأشكال، مما يعني أنه أوجد عندهم ارتباطاً وإيماناً حقيقياً بخطه عليه السلام.

ومن مظاهر هذا الارتباط علاقة أهل الكوفة بالحسين عليه السلام وكتابتهم له بعد شهادة الحسن عليه السلام[2]، وبعد ذلك كتابتهم له بعد موت معاوية، فهذه الكتب لم تكن كلّها نفاقاً ودجلاً وخديعة كما تقدم.

نعم، بعض الذين كتبوا للحسين عليه السلام كانوا من المنافقين والدجالين، وممن وقع تحت ضغط جماهير أهل الكوفة كشبث بن ربعي، وعمرو بن الحجاج وأمثالهما، فإنّ هؤلاء كتبوا للحسين عليه السلام تحت موجة جماهيرية عارمة ضغطت عليهم ـ وهم أزلام السلطة ـ فاستجابوا لها.

إذن، فالتوجه السياسي لأهل الكوفة كان يمثل توجه أهل البيت عليهم السلام إذا أخذنا الجانب الجماهيري، وقطعنا النظر عن رجال السلطة وقادة الجيش، أو الذين كانوا يرتبطون بالسلطة بحسب تشكيلاتها وتكويناتها؛ ولذا أول ما

والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى. نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين)).
نهج البلاغة٢: ٢١٦، الخطبة ٢٢٤.

(١) نهج البلاغة٢: ٦ – ٧، الخطبة١٢٦.

(٢) الإرشاد٢: ٣٢.

قام به عبيد الله بن زياد عند مجيئه الكوفة هو اعتقال العناصر المركزية المحرّكة للجماهير، والمؤمنة بخط أهل البيت عليهم السلام وزجّهم في السجون، لكي يتمكن من فرض هيمنته على الكوفة وأهلها[١].

الحقيقة الثانية: حرمان الكوفة واستضعافها

إنّ شعب الكوفة كان شعباً مستضعفاً ومحروماً يعيش تحت سلطة الفرس، حيث كانت الدولة الفارسية تعتمد على تصنيف الناس تصنيفاً طبقياً، فطبقة الناس العاديين مهما كانت إمكانياتهم وطاقاتهم فهم محرومون من العلم والتعلم، هذا بالنسبة للفرس أنفسهم، فضلا عن الشعوب الأُخرى كالشعب العربي. وهذا يعني أنّ الطبقات العامة للشعب هي طبقات مستضعفة ومحرومة ومضطهدة من قبل الدولة.

وقد تمّ فتح العراق في ظل خلافة لم تتمكن من تحرير الشعب من الطبقية بشكل كامل، ففي عهد الخليفة الثاني ـ الذي تم فيه فتح العراق ـ كان التمييز الطبقي إلى حدٍّ ما موجود، حيث كان الخليفة الثاني يُفرّق بين جماعتين من الناس، الأُولى تسمى الأسياد وهي القبائل العربية التي كانت تسكن الجزيرة العربية، وهذه هي الأصل ، والثانية تسمى الموالي والأتباع وهي ما يتبع الأولى من الناس[٢].

---

(١) انظر: ذوب النضار: ٦٨ ــ ٦٩.

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ((وأما عمر فإنه لما ولى الخلافة فضل بعض الناس على بعض ، ففضل السابقين على غيرهم، وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضل المهاجرين كافة على الأنصار كافة، وفضل العرب على العجم، وفضل الصريح على المولى، وقد كان أشار على أبي بكر أيام خلافته بذلك، فلم يقبل، وقال: إن الله لم يفضل أحدا على أحد، ولكنه قال: (إنما الصدقات للفقراء ـ

وقد عمّق الحالة الطبقية هذه معاوية بن ابي سفيان ، حيث قام بتقسيم العرب أنفسهم إلى قسمين رئيسين، نتج عنه قيام صراعات بين القبائل العربية.

وعند تقلّد الامام علي عليه السلام مقاليد الامور جسّد في سلوكه القيم الإسلامية فيما يتعلق بالجانب الطبقي، فكان يتعامل مع كل المسلمين كأسنان المشط، فوجد أهل الكوفة بشكل عام، أنّه عليه السلام وهو خليفة المسلمين من ناحية، وابن عم الرسول صلى الله عليه وآله من ناحية ثانية، ومن عشيرة تعتبر الأفضل في التقسيم الطبقي من ناحية ثالثة، فعلي يمثل القمة في التقسيم الطبقي من الناحية الطبقية، وهكذا يمثل القمة في المركز الاجتماعي ـ يلبس كما يلبس خادمه قنبر، ويجلس إلى جانب ميثم التمّار الذي كان بالأمس عبداً مملوكاً يبيع التمر، ويتعامل مع الناس وكأنه من أبسطهم[1].

والمساكين..) ، ولم يخص قوما دون قوم، فلما أفضت إليه الخلافة عمل بما كان أشار به أولا..)). شرح نهج البلاغة٨: ١١١.

(١) يتضح ذلك من جملة من الروايات الواردة في الكتب الحديثية والتأريخية، منها ما وصفه به ضرار بعد استشهاده عليه السلام حيث ورد أنّ معاوية بن أبي سفيان قال لضرار النهشلي: ((يا ضرار، صف لي علي بن أبي طالب؟ قال: أولا تعفيني عن ذلك؟ قال: أقسمت عليك لتفعلن. قال ضرار: أما إذا أبيت، فنعم. كان والله شديد القوى، بعيد المدى، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة على لسانه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفيه ويخاطب نفسه. كان والله فينا كأحدنا يجيبنا إذا دعوناه ويقربنا إذا أتيناه، ونحن مع قربه لا نبتديه لعظمته، ولا نكلمه لهيبته. فإن ابتسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يقدم أهل الدين ويفضل المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله. وأقسم بالله لقد رأيته في بعض أحواله، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكى بكاء الواله الحزين، ويقول في بكائه: يا دنيا أبي تعرضت أم إلي ←

وهذا السلوك ـ في الواقع ـ يمكن أن يُحدث أثراً عظيماً في نفوس شعبٍ كان يعيش تحت حكم طبقي صارم ولم يُحُرِّر بشكل كامل، وفعلا أدى إلى انفتاح الشعب العراقي، وشعب فارس أيضاً على خطه عليه السلام.

إذن، فمن خلال التخطيط الأُموي والسلوك الذي مارسه الأُمويون في العالم الإسلامي، وبعض الخلفاء قبلهم من تمييزهم للعرب على غيرهم كان من الممكن تحول الدين الإسلامي إلى دين قومي لا يختص إلاّ بالعرب، بل ربما يقتصر على قريش فقط، كما انكمش الدين اليهودي على بني إسرائيل ولم يمتد حتى إلى أولاد عمّهم العرب.

ولكن وجود أهل البيت عليهم السلام ووجود خط علي والحسين عليهما السلام جعل الإسلام يمتد إلى الشعوب المختلفة ليصبح ديناً عالمياً من الناحية الواقعية.

وهذا يمثل سبباً آخر من أسباب اختيار الحسين عليه السلام لهذه المنطقة، أي: أنه اختار هذه المنطقة؛ لأنها تعرف حقيقته ويمكنها التجاوب معه.

وقد اختار عليه السلام هذه المنطقة أيضاً من الناحية الروحية والنفسية، وذلك لعواطفها وأحاسيسها وأوضاعها الاجتماعية التي تمكّنها من التجاوب مع

تشوقت، هيهات هيهات لاحان حينك قد بنتك ثلاثا لارجعة فيك، عيشتك حقير، وعمرك قصير، وخطرك يسير، آه آه من بعد السفر، وقلة الزاد، ووحشة الطريق.

قال: فانهمرت دموع معاوية على خده حتى كفكفها بكمه. واختنق القوم جميعا ممن حضر بالبكاء.

فقال معاوية: رحم الله أبا الحسن فلقد كان كذلك، فكيف كان جزعك عليه، يا ضرار؟

قال: جزع من ذبح ولدها في حجرها فما تسكن حرارتها ولا ترقأ دمعتها)).

أنظر: شرح الأخبار ٢ : ٣٩١ ، شرح نهج البلاغة ١٨ : ٢٢٥، خصائص الأئمة: ٧١، ذخائر العقبى: ١٠٠، كشف الغمة ١ : ٧٦، تاريخ مدينة دمشق ٢٤: ٤٠٢. كنز الفوائد: ٢٧٠ وغيرهم كثير مع تفاوت يسير فيما بينهم.

روح الحسين عليه السلام.

الحقيقة الثالثة: أهمية الكوفة اقتصادياً وثقافياً

عندما نتحدث عن العراق نتحدث أيضاً عن إيران، لأنّ تركيبتهما واحدة، فالحجاج بن يوسف الثقفي كان والياً للكوفة والبصرة ولمنطقة الري وجرجان وخراسان، وقد تقدم أنّ عبيد الله بن زياد وعد عمر بن سعد بأن يوليه على منطقة البري (طهران) إذا خرج لقتال الحسين عليه السلام باعتبار أنّ هذه المنطقة كانت من توابعه.

فعندما نتحدث عن العراق نقصد كلّ المنطقة التي كانت قبل الإسلام تمثل تركيبة واحدة من الناحية السياسية، فالعراق وإيران كانتا تابعتين لحكم واحد وهو حكم الفرس، وقد بقيت هذه التنظيمات السياسية والهيكلية الإدارية حتى ما بعد الحكم الفارسي.

وإذا أردنا النظر إلى هذه المنطقة من الناحية البشرية والاقتصادية نجد انها من أغنى مناطق العالم الإسلامي، بدليل أنّ عاصمة الدولة الإسلامية استقرت بها مدة طويلة جدا، مضافا إلى أنّ العراق كان يسمى أرض السواد؛ لكثرة الزراعة فيه[1]، والتي تعتبر أفضل مورد اقتصادي في ذلك العصر.

وكذلك من ناحية الثقافة الإسلامية، إذ إنّ علماء الإسلام وأئمة المسلمين كانوا يعيشون في هذه المنطقة بشكل رئيسي، وكانت الفعاليات الثقافية والدينية فيها كبيرة.

وهذه الجوانب لها دور أساسي في البقاء والاستمرار، أي: عندما يتركز

---

(١) راجع: السنن الكبرى٩: ١٤١.

خط أهل البيت عليهم السلام في هذه المنطقة تكون له القدرة والقوة على المواجهة والثورة لإمكانيته من الاكتفاء الذاتي، مما يعني بقاءه واستمراره. وأحد الشواهد الأساسية على ذلك هو أنّ دول التشيع انتشرت في العالم الإسلامي، ففي سوريا أُقيمت الدولة الحمدانية، وفي مصر الدولة الفاطمية، وفي شمال إفريقيا الفاطميون أيضاً الذين بدأوا من هنا وامتد حكمهم بعد ذلك إلى مصر، وكذلك في اليمن أُقيمت دولة شيعية ولا زالت موجودة وتسمى الزيدية.

ولكن المنطقة التي تمكنت من حفظ التشيع، ونموه واستمراره في مواجهة مختلف ألوان القمع والاضطهاد هي منطقة العراق وإيران.

فالدولة الفاطمية التي قامت في مصر كانت دولة قوية جداً، لكن بمجرد أن جاء صلاح الدين الأيوبي انهارت وكذلك الدولة والحمدانية، وهكذا الدولة التي أُقيمت في اليمن، فهي وإن كانت باقية لحد الآن، إلاّ أنّها انطوت وانكمشت على نفسها ولم تتمكن من التطوّر.

أما في منطقة العراق وإيران، فبالرغم من أنّ خط أهل البيت عليهم السلام كان قريباً من العاصمة ـ أي من مركز السلطة ـ وهي أقدر على ضربه منه إذا كان بعيداً عنها، إلاّ أنّ هذا الخط لم يحتفظ بوجوده فقط، وإنّما تمكن من الانتشار والتوسع والتكامل حتى عمّ كل العالم.

إذن، فالحسين عليه السلام لم يأت إلى كربلاء عبثاً واعتباطاً أو صدفة، أو كما يعتقد البعض أنّ الرسائل خدعته وأوقعته في فخ قاتل، وإنما كان عليه السلام يضع الكوفة في تخطيطه للتحرك دائماً، وأهل البيت عليهم السلام أيضاً كانوا يفكرون بالكوفة.

وهناك عامل أساسي ومهم جداً خطّط له أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد الحسين عليه السلام، وكان له تأثير في استمرارية هذه الثورة، حيث كان يغذيها

ويعطيها الطاقة والقدرة على البقاء والاستمرار، وهو الحركة العلمية في مدرسة الكوفة وقم.

فمدرسة الكوفة - بامتداداتها التي وصلت إلى النجف والحلّة وكربلاء، ثم رجوعها بعد ذلك إلى النجف - أساسُها أنّ أهل البيت عليهم السلام علّموا جماعة كبيرة من أهل الكوفة الفقه والمفاهيم العلمية، وكانوا يخططون لهم بأن يتحركوا تحركاً سياسياً وعلمياً. وإلى جانب ذلك مدرسة قم التي هي امتداد لمدرسة الكوفة قد خطط لها الأئمة عليهم السلام أيضاً، حيث كان القميّون يمثلون مدرسة إلى جانب مدرسة الكوفة، تقوم بنفس الدور الذي كانت تقوم به مدرسة الكوفة، أي دور العلماء والفقهاء الذين تحوّل لهم الأمر بعد الغيبة الكبرى، فكان لفقهاء أهل البيت عليهم السلام، ولمدرسة أهل البيت أثر كبير في استمرارية التحرك الذي بدأه الحسين عليه السلام.

الفصل الثامن

دور المرأة في النهضة الحسينية

بالرغم مما بذله الباحثون والخطباء والشعراء والأدباء الذين تناولوا قضية الإمام الحسين عليه السلام بالحديث والبحث، وبالرغم من كل الجهود الخيرة الكبيرة الواسعة التي بُذلت في تناول موضوع السبي، إلاّ أن دور المرأة في قضية الإمام الحسين عليه السلام بكل أبعاده وجوانبه يحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة، حيث لم توجه له الأنظار والأبحاث بمستوى يتناسب مع أهميته في قضية الإمام الحسين عليه السلام، كما أنَّ له أهمية كبيرة في واقعنا السياسي والاجتماعي، وهو دور عام يمكن أن تقوم به المرأة في كل العصور، وفي كل الأجيال؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد كتب لها هذا الدور في الحياة الإنسانية وفي المجتمع الإنساني، باعتبارها تمثل نصف المجتمع الإنساني، وتتحمل المسؤولية العامة تجاهه، ولها دور عظيم في حركة المجتمع وتكامله.

وقد أكد القرآن الكريم على هذا الدور العظيم وتحدث عنه، باعتبار ما للمرأة من نصيب في حياة الإنسان ومجتمعه؛ ولذلك نجد في بعض آياته الكريمة عندما يضرب مثلاً للذين كفروا، ثم يضرب مثلاً للذين آمنوا[1] نجده يضرب لهذين الصنفين بالمرأة، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[2]، فهنا يضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً للذين كفروا بهاتين المرأتين، ثم يضرب مثلاً للذين آمنوا بامرأتين - أيضاً - إحداهما امرأة فرعون، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ

---

(١) من الواضح أن عنوان الذين كفروا والذين آمنوا لا يختص بجماعة من الناس دون أخرى، وإنما هو عنوان يرتبط بكل الكافرين وبكل المؤمنين، سواء كانوا رجالاً أم نساء، صغاراً أم كباراً، من أهل العلم والمعرفة كانوا، أم من السوقة أم من عامة الناس. (**منه** رحمه الله).

(٢) التحريم: ١٠.

مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1]، والأخرى مريم ابنة عمران، قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[2].

دور المرأة في كربلاء

إن إلقاء الضوء على دور المرأة في قضية الإمام الحسين عليه السلام يمكن أن يوضح دورها في المجتمع الإنساني، ولاسيما في الحركة السياسية والاجتماعية العامة، فالمرأة كان لها دور كبير ومهم في النهضة الحسينية لا يقل عن دور الرجل فيها، ولاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الخصوصيات التي يتميز بها الإمام الحسين عليه السلام كإمام مفروض الطاعة وله مواصفات خاصة لا يمكن أن يشبهه فيها أحد من الناس.

فكما أن الإمام الحسين عليه السلام يبقى رمز كل الرجال الذين شاركوا في واقعة كربلاء، وملحمة الشهادة والفداء والبذل والتضحية والمعاناة، كذلك تبقى الحوراء زينب عليها السلام عقيلة بني هاشم تمثل الرمز في هذه الحركة بالنسبة إلى النساء.

ويمكن تلخيص الأدوار والنشاطات والأعمال التي قامت بها المرأة - بصورة عامة، والعقيلة زينب بصورة خاصة - في كربلاء في عناوين وأدوار خمسة رئيسة:

الدور الأول: القتال في سبيل الله

يمثل القتال في سبيل الله العنوان البارز في حركة الإمام الحسين عليه السلام، ونجد أنَّ المرأة كان لها مشاركة في هذه النهضة بمستوى القتال، بالرغم من أنَّ الموقف المعروف عن الإسلام والذي طرح في معركة كربلاء ـ أيضاً ـ هو

---

(١) التحريم: ١١.

(٢) التحريم: ١٢.

أنّ النساء ليس عليهن جناح، ولكن نجد مع ذلك:

أولاً: إن وجوب القتال في سبيل الله في أصل الشريعة يترتب على المرأة في بعض الأحيان، وهو فيما إذا كان القتال والجهاد قتالاً وجهاداً دفاعياً كما يعبر عنه الفقهاء، وكانت المرأة قادرة على ممارسته، ولم يكن في الرجال من يقوم بذلك ممن به الكفاية.

فالجهاد يصنف - عادة - في الشريعة إلى صنفين[1]:

أ) الجهاد الابتدائي: وهو أن يكون من أجل نشر الإسلام، وكسر الحواجز التي يضعها الطغاة أمام حركة الإسلام وحركة الهدى، فهنا قد يبادر المسلمون بقيادتهم الشرعية إلى القيام بالعمل القتالي؛ عندما يقف الطغاة سداً حاجزاً ومانعاً من حركة الهدى بين الناس، ويرى الفقهاء بأن هذا النوع من القتال يكون مختصاً بنوع من الناس، وهم: الرجال من الأصحاء

---

(١) وهذا هو مذهب فقهاء الإمامية قديماً وحديثا، قال العلم الكبير زين الدين بن علي العاملي المعروف بـ(الشهيد الثاني) في المسالك: ((اعلم أن الجهاد على أقسام: أحدها: أن يكون ابتداء من المسلمين للدعاء إلى الإسلام. وهذا هو المشروط بالبلوغ والعقل والحرية والذكورية ونحوها ، وإذن الإمام أو من نصبه. ووجوبه على الكفاية إجماعا. والثاني: أن يدهم المسلمين عدوا من الكفار، يريد الاستيلاء على بلادهم أو أسرهم أو أخذ أموالهم وما أشبهه من الحريم والذرية. وجهاد هذا القسم ودفعه واجب على الحر والعبد والذكر والأنثى إن احتيج إليها. ولا يتوقف على إذن الإمام ولا حضوره. ولا يختص بمن قصدوه من المسلمين . بل يجب على من علم بالحال النهوض، إذا لم يعلم قدرة المقصودين على المقاومة)) مسالك الإفهام٣ : ٧.

وفي منهاج الصالحين للسيد الخوئي قدس سره المسألة(٥٧) من كتاب الجهاد: ((يجب على كل مسلم الدفاع عن الدين إذا كان في معرض الخطر، ولا يعتبر إذن الإمام عليه السلام بلا إشكال ولا خلاف...)).

والأقوياء فقط، ولا يشمل كل الرجال، فالضعفاء منهم - كما يعبر عنهم القرآن الكريم - من قبيل: المريض، والأعرج، والأعمى، والشيخ الكبير، أو غير ذلك من الأشخاص الذين يتصفون بمواصفات تؤشر على الضعف فيهم مرخصون في ترك الجهاد لقوله تعالى:﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

ب) الجهاد الدفاعي: وهو فيما إذا تعرض المسلمون إلى هجوم الأعداء والعدوان من قبل الكافرين أو الطغاة، فعلى المسلمين أن يدافعوا عن إسلامهم وعن بيضة الإسلام والمسلمين، كما جاء في الحديث المعتبر المروي عن أهل البيت عليهم السلام[2]، دون فرق في ذلك بين القوي والضعيف.

فالجهاد هنا يكون واجباً دفاعياً على كل القادرين، سواء كان رجلاً أم امرأة، سالماً كان في بدنه، أم ناقصاً من قبيل الأعمى والأعرج، أم غيرهم،

---

(١) التوبة: ٩١.

(٢) عن يونس، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: ((**قلت له: جعلت فداك إن رجلا من مواليك بلغه أن رجلا يعطي السيف والفرس في سبيل الله فأتاه فأخذهما منه وهو جاهل بوجه السبيل، ثم لقيه أصحابه فأخبروه أن السبيل مع هؤلاء لا يجوز وأمروه بردهما؟ فقال: فليفعل، قال: قد طلب الرجل فلم يجده وقيل له : قد شخص الرجل؟ قال: فليرابط ولا يقاتل. قال: ففي مثل قزوين والديلم وعسقلان وما أشبه هذه الثغور؟ فقال: نعم، فقال له: يجاهد؟ قال: لا، إلا أن يخاف على ذراري المسلمين [فقال] أرأيتك لو أن الروم دخلوا على المسلمين لم ينبغ لهم أن يمنعوهم؟ قال : يرابط ولا يقاتل، وإن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين قاتل، فيكون قتاله لنفسه وليس للسلطان، قال : قلت فإن جاء العدو إلى الموضع الذي هو فيه مرابط كيف يصنع؟ قال: يقاتل عن بيضة الإسلام لا عن هؤلاء لأن في دروس الإسلام دروس دين محمد صلى الله عليه وآله**)) الكافي٥: ٢١ ، ح٢.

ممن يقدر أن يدافع أو يساهم في عملية الدفاع .

ولاشك بأن معركة كربلاء كانت جهاداً دفاعياً، فالإمام الحسين عليه السلام كان يجاهد ويدافع عن الإسلام الذي يتعرض إلى الخطر، بسبب وجود وطبيعة حكم الطاغية يزيد، ومحاولاته لحرف المسلمين عن الإسلام، وطرحه للمفاهيم الضالة ضده. وهذا الحكم في الجهاد حكم شامل لا يختص بحالة يزيد، وإنما يشمل كل الطغاة الذين تكون لهم المواصفات اليزيدية، وعندئذٍ يكون الجهاد جهاداً دفاعياً، ويكون شاملاً وعاماً لكل القادرين، مهما كان نوع هذا القادر، ولذا فهو يشمل النساء أيضاً.

ثانياً: إن الجهاد على المرأة في نهضة كربلاء وإن لم يكن واجباً بالفعل، لعدة أسباب، أهمها: وجود مصلحة مهمة ترتبط بالمرحلة الثانية من المعركة التي كان يخوضها الإمام الحسين عليه السلام، وهي مرحلة بقاء النساء من أجل القيام بالأدوار الأخرى التي سنشير إليها؛ ولذا كان الإمام الحسين عليه السلام يمنع بعض النساء من المساهمة بشكل فعّال في القتال، ولكن مع ذلك كله نلاحظ أنّ هذه المساهمة من المرأة كانت قائمة وموجودة، من قبيل:

أ) أم وهب زوجة عبد الله بن عمير الكلبي وكنيته أبو وهب، فحينما برز زوجها إلى القتال، وقتل يسار مولى زياد، وسالم مولى عبيد الله بن زياد، وأقبل إلى الحسين يرتجز بهذا العمل البطولي، أخذت زوجته أم وهب عموداً، وأقبلت نحوه تقول له: فداك أبي وأمي، قاتل دون الطيبين ذرية محمد صلى الله عليه وآله، فأراد أن يردها إلى الخيمة فلم تطاوعه وأخذت تجاذبه ثوبه، وتقول له: لن أدعك دون أن أموت معك، فناداها الحسين: جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً، ارجعي إلى الخيمة، فإنه ليس على النساء قتال، فرجعت.

ولكن بعد ان استشهد زوجها مشت إليه وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه، وتقول: هنيئاً لك الجنة، أسأل الله الذي رزقك الجنة أن يصحبني

معك، فقال: الشمر لغلامه رستم أضرب رأسها بالعمود فشدخه وماتت مكانها، وهي أول امرأة قتلت من أصحاب الحسين[١].

ب) أم عبد الله بن عمير الكلبي - أبو وهب - فبعد أن قُتِلَ ولدها، قطعوا رأسه ورموا به إلى جهة الحسين، أخذته أمه ومسحت الدم عنه، ثم أخذت عمود خيمة وبرزت إلى الأعداء فردها الحسين وقال: ارجعي رحمك الله فقد وضع عنك الجهاد[٢].

ج) أم عمرو بن جنادة الأنصاري، بعد إن قتل زوجها في الحملة الأولى جاء ولدها عمرو، وهو ابن إحدى عشرة سنة يستأذن الحسين عليه السلام فأبى أن يأذن له بالقتال، وقال: هذا غلام قتل أبوه في الحملة الأولى، ولعل أمه تكره ذلك، فقال الغلام: إن أمي أمرتني، فأذن له عليه السلام، فما أسرع أن قتل ورمي برأسه إلى جهة الحسين، فأخذته أمه ومسحت الدم عنه، وضربت به رجلاً قريباً منها، فمات، وعادت إلى المخيم فأخذت عموداً، فردها الحسين إلى الخيمة، بعد أن أصابت بالعمود رجلين[٣].

د) موقف طوعة التي آوت وأخفت مسلم بن عقيل في بيتها، عندما كان مطارداً من قبل عبيد الله بن زياد، حيث تصدّت هذه المرأة الصالحة لحمايته، وعرّضت وجودها ونفسها وبيتها إلى اشد الأخطار القتالية[٤].

وكذلك نجد مواقف أخرى للمراة في الجانب المعادي للإمام الحسين عليه السلام تعبر عن رفضهن لهذه الجريمة الوحشية، كموقف النوار زوجة كعب بن

---

(١) تاريخ الطبري٤ : ٣٢٧، ٣٣٤.

(٢) كربلاء الثورة والماساة: ٣١٢.

(٣) أبصار العين في انصار الحسين: ١٥٩.

(٤) انظر: البداية والنهاية٨ : ١٦٦ ، روضة الواعظين: ١٧٥، مقاتل الطالبيين: ٧١.

جابر، الذي شارك في قتل برير بن خضير، فعتبت عليه، وقالت: ((أعنت على ابن فاطمة، وقتلت سيد القراء، لقد أتيت شيئاً عظيماً من الأمر، والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبدا))[1]، وهذا موقف البراءة من أعداء الله، وهو من المواقف المكملة لموقف الولاية والولاء لأولياء الله، وهناك العديد من هذه النماذج المشرّفة.

الدور الثاني: المحافظة على البقية الصالحة

إن المرأة في التأريخ الإنساني والإسلامي بشكل عام، وفي النهضة الحسينية بشكل خاص، كان لها دور عظيم في المحافظة على البقية الصالحة، التي يعبّر عنها الإمام علي عليه السلام بكلمته المعروفة: ((بقية السيف أنمى))[2]، فالمحافظة على البقية الباقية المتمثلة ببقية السيف من الأعمال المهمة في مواصلة الثورة والنهضة، ويكون لها دور مهم في الحركة السياسية والجهادية.

وهنا نلاحظ - سواءً على مستوى التأريخ الإنساني والإسلامي بالمعنى العام، الذي يشمل كل الديانات الآلهية ، أم على مستوى التأريخ الخاص بالثورة الحسينية - أنَّ المرأة كان لها هذا الدور العظيم فيما يتعلق بهذا

---

(١) تاريخ الطبري٤: ٣٢٩.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ١٩٦.

أي: ما يبقى من السيف يكون أكثر نمواً وأثراً في نتائج المعركة، فالإنسان عندما يخوض معركة ما ويقاتل بسيفه، قد يتعرض سيفه إلى الكسر، ولا يبقى منه إلا الشيء القليل، فالسيف تارة يراد منه تلك الحديدة التي تستخدم في القتال، وأخرى يراد منه معنى مجازيا وهو الجانب المعنوي، المتمثل بتلك القوة التي تستخدم في قتال الأعداء، وفي تحقيق الغلبة من أجل النصر، وأولئك المقاتلين الذين يقومون بالعملية القتالية، فالإمام عليه السلام عبر عن هذا الجانب مجازا بأنَّ المتبقي من السيف ومن المعركة القتالية، يكون أنمى وأزكى وأكثر قدرة على تحقيق التكامل في مستقبل الحركة الإسلامية والجهادية. **(منه مُدّ ظله)**.

المجال، كما يشير التأريخ الإسلامي بالمعنى العام إلى هذه الأدوار:

فمثلاً: نجد أنَّ الدور الأساس في المحافظة على شخص نبي الله إبراهيم عليه السلام كان لأمه، كما تروي ذلك بعض النصوص الدينية، حيث أراد عمه قتله، وهو طفل، لرؤيا رآها نمرود، فتدخلت أمه - الذي كان على ما يبدو راعياً لحياتها وشؤونها - وتمكنت أن تحافظ عليه، فقد ورد في الحديث عن الصادق عليه السلام: ((...فلمّا أدخلت أمُ إبراهيم، إبراهيم دارها نظر إليه آزر فقال: من هذا الذي قد بقي في سلطان الملك، والملك يقتل أولاد الناس؟ قالت: هذا ابنك ولدته وقت كذا وكذا حين اعتزلت، فقال: ويحك إن علم الملك هذا زالت منزلتنا عنده، وكان آزر صاحب نمرود ووزيره ... فقالت أم إبراهيم لآزر: لا عليك إن لم يشعر الملك به بقي لنا ولدنا، وإن شعر به كفيتك الاحتجاج عنه..))[1].

ويشير التأريخ إلى الدور الأساسي لهاجر عليها السلام في المحافظة على شخص إسماعيل عليه السلام، الذي هو امتداد إبراهيم عليه السلام، فإبراهيم امتداده في التأريخ الإسلامي والديني، من خلال خطّي إسماعيل وإسحاق عليه السلام، وخط إسماعيل، هو خط نبينا محمد صلى الله عليه وآله[2].

ويؤكد القرآن الكريم على دور زوجة فرعون في المحافظة على موسى عليه السلام عندما أراد أن يقتله فرعون﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا

---

(١) بحار الانوار ١٢: ٣١، ح٦.

(٢) يشير القرآن الكريم إلى ذلك في دعاء إبراهيم وإسماعيل، عندما رفعوا القواعد من البيت، بالذرية المسلمة التي يكون فيها النبي صلى الله عليه وآله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. البقرة: ١٢٧ - ١٢٩.

تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[١].

كما حدثنا القرآن الكريم عن دور مريم عليها السلام في حضانة عيسى عليه السلام وضربها مثلاً، في حفظه من الناحية المعنوية، وتحملت ضغطا نفسيا عاليا بسبب الولادة الغيبية الغريبة التي تحققت بالنسبة إلى عيسى عليه السلام ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۞ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٢].

وعندما ننتقل إلى تأريخ الإسلام الحديث المتمثل بالرسالة الإسلامية المحمدية، نجد - أيضاً - للمرأة هذا الدور المتمثل بخديجة عليها السلام في وقوفها إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله بأموالها، ومساندتها له في إيمانها والدفاع عنه، حتى ذكرها النبي صلى الله عليه وآله في حديثه عنها: ((..أن لها في الجنة بيتاً من قصب لا نصب فيها ولا صخب، لؤلؤاً مكلّلاً بالذهب))[٣]، وحتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله في شأنها ودور أموالها في خدمة الدين: ((ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال خديجة))[٤].

كما كان للزهراء البتول عليها السلام هذا الدور - أيضاً - بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، حيث تمكنت أن تحافظ على الإمام علي عليه السلام عندما رفض البيعة، وتعرض للتهديد بالقتل.

ونجد أيضا أن العقيلة زينب عليها السلام تمكنت من القيام بدور عظيم في الثورة الحسينية، وذلك من خلال المحافظة على حياة الإمام زين العابدين عليه السلام،

---

(١) القصص: ٩.

(٢) مريم: ٢٧ - ٢٨.

(٣) بحار الانوار١٨: ٢٤٣.

(٤) أمالي الطوسي: ٤٦٨ .

الذي يمثل بقية النبوة وبيت الوحي والرسالة، ويمثل الامتداد للإمامة، وكان لها موقفان معروفان[١]:

الأول: عندما قتل الإمام الحسين عليه السلام، وتعرض مخيمه للهجوم الوحشي، من جيش عمر بن سعد، وانتهى القوم إلى علي بن الحسين عليه السلام، وهو مريض على فراشه لا يستطيع النهوض ((فقائل يقول: لا تدعوا فيهم صغيراً ولا كبيراً، وآخر يقول: لا تعجلوا حتى نستشير الأمير عمر بن سعد، وجرّد الشمر سيفه يريد قتله، فمنعه ابن سعد من قتله، خصوصاً لما سمع العقيلة زينب عليها السلام تقول: لا يقتل حتى أقتل دونه))[٢].

الثاني: يروي التأريخ أن السبايا عندما أدخلوا على عبيد الله بن زياد في الكوفة، وجد مع النساء رجلاً واحداً، فاستغرب ذلك، والتفت إليه، ((فقال له: من أنت؟ فقال: أنا علي بن الحسين.

فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟

فقال له علي عليه السلام: قد كان لي أخ يسمى عليا قتله الناس.

فقال له ابن زياد: بل الله قتله.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[٣].

فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة لجوابي وفيك بقية للرد علي؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه.

فتعلقت به عمته زينب وقالت: يا ابن زياد، حسبك من دمائنا، واعتنقته

---

(١) ومن المحتمل تاريخياً أن تكون هناك مواقف أخرى - أيضاً - لم تدون وتسجل تاريخياً، لأن قضية الحسين عليه السلام لم تسجل بكل تفاصيلها وبكل أحداثها. **(منه ﷺ)**.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ٣٠١.

(٣) الزمر: ٤٢.

وقالت: والله لا أفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه؟ فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة ثم قال: عجبا للرحم! والله إني لأظنها ودّت أني قتلتها معه، دعوه فإني أراه لما به))[1].

كما نجد للعقيلة مواقف أخرى في حفظ البقية الباقية من عيالات رسول الله ﷺومن عيالات أهل البيت عليهم السلام، إذ إن عاشوراء لم تُبقِ أحداً من أهل البيت - تقريباً - من الرجال إلا أولئك الذين لم يتمكنوا من المشاركة في المعركة، أو من بقي منهم في المدينة، أمثال: عبد الله بن جعفر، ومحمد بن الحنفية، اللذان كانا عاجزين عن المشاركة، ولم يبقَ إلا الأطفال، فلو لم تتمكن العقيلة من المحافظة على هؤلاء الأطفال، لما بقي لأهل البيت ذكر وأثر.

وهنا ينطبق كلام أمير المؤمنين عليه السلام عن بقية السيف، فعندما ينظر الإنسان إلى مشهد أهل البيت عليهم السلام يوم عاشوراء بعد مقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته، يرى وكأنه لم يبقَ لهم أثر أو وجود، لأن الشعار الذي رفعه عمر بن سعد وجلاوزته، هو: أن لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية، ولكن بالرغم من ذلك نجد أن بقية السيف أصبحت البقية النامية الزاكية المنتشرة، والتي رفعت راية الإسلام في كل عصر وزمان.

كما نلاحظ مواقف أخرى لبعض النساء المؤمنات في ملحمة كربلاء، حيث يذكر تأريخياً؛ أن امرأة من آل بكر بن وائل، حينما شاهدت حرق الخيام والعدوان الوحشي على أهل بيت النبوة، بادرت في الخروج من مخيم عمر بن سعد، وصاحت: يا آل بكر بن وائل، أتسلب بنات رسول الله ﷺ،

---

(١) الإرشاد٢: ١١٦.

لا حكم إلا لله، يا لثارات رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

فمثل هذه المواقف جعلت الجيش الأموي يواجه حالة خطيرة، وهي حالة التحولات العاطفية والمشاعر القوية الملتهبة والمتفجرة التي كانت من الممكن أن تحدث انفجاراً في الوضع النفسي والسياسي ذلك الوقت، لصالح أهل بيت النبوة، ومن ثم قد ينقلب الحال على عمر بن سعد؛ الأمر الذي أدى إلى تدخله بسرعة لمنع القتل، ثم بعد ذلك في منع النهب والسلب.

وبهذا يمكن أن نعرف أهمية هذا الدور الخاص، الذي يمكن أن تقوم به المرأة من متابعة هذه المواقف تأريخياً[٢].

الدور الثالث: المحافظة على القيم والأخلاق

من الأدوار المهمة التي قامت بها المرأة الحسينية هو المحافظة على القيم والمثل والأخلاق التي نهض الإمام الحسين عليه السلام من أجل ترسيخها، والدفاع عنها.

تحتل الأخلاق موقعاً مهماً في النظرية الإسلامية، وهي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، باعتبار أن المجتمع إنما يكون قوياً ومحكماً وقادراً على الاستمرار والبقاء والثبات؛ إذا قام على أساسين رئيسيين:

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٧٨.

(٢) وأنا أطلب من الأخوة الباحثين والخطباء الأعزاء، الذين يتناولون مثل هذه الموضوعات والأبعاد، أن يتابعوا مثل هذه المفردات في أحاديثهم، حتى تكون قدوة ودرس لنا في هذا العصر، وكذلك تكون درساً لأخواتنا ونسائنا الكريمات، للمساهمة في الثورة الحسينية في كل عصر وزمان، لأن ثورة الحسين عليه السلام ليست ثورة أيام معدودة ومحدودة في سنة ٦١ هـ، وإنما هي ثورة باقية ومستمرة لنا، فكل يوم هو عاشوراء، وكل أرض هي كربلاء. (**منه قدس سره**).

الأساس الأول: (العقيدة) التي تتمثل في نظر الإسلام بعقيدة التوحيد، وكل تفرعاتها من النبوة، وامتدادها في الإمامة، والإيمان بالدار الآخرة والحساب والجزاء، وامتداد الإيمان بالدار الآخرة، الإيمان بالعدل الذي يوصف به الله سبحانه وتعالى، فالعقيدة تمثل الأساس الرئيس والمهم في ثبات أي مجتمع، فبمقدار ما تكون العقيدة قوية وصحيحة وأصيلة وواضحة، يكون المجتمع ثابتاً ومستحكماً، وبمقدار ما تكون العقيدة هزيلة وباطلة ومنحرفة وليس فيها وضوح بالنسبة إلى الناس، يكون المجتمع مهزوزاً ضعيفاً تعصف به الأهواء وتطيح به الحوادث.

فلذلك كانت قضية العقيدة قضية مهمة جداً، ونجد أن القرآن في القسم الأول من نزوله، كان يركز بشكل رئيسي في المرحلة المكية على الجانب العقائدي، من أجل بناء هذا الأساس المهم في المجتمع الإسلامي.

الأساس الثاني: (الأخلاق) الذي يعبّر عنه بالقيم والمثل في حركة الإنسان، وهو يعني فهماً خاصاً لشخصية الإنسان، وما أودع الله فيه من تطلّع نحو الكمال ويعبر عنه بالجانب (الفطري) في الإنسان، من قبيل: إدراكه لحسن العدل وكماله في مقابل الظلم، وإدراكه لحقيقة الحرية في الإدارة في مقابل الأغلال والعبودية للهوى والخوف والخرافة والأوهام، وفهم الإنسان لعوامل التكامل في حركته، مثل: الوفاء بالعهد، والصبر في الشدائد، والاستقامة على الدرب، في مقابل فهمه لعوامل حركته التسافلية النازلة، مثل: الخيانة، والضجر، والسأم، واليأس، والخذلان، إلى غير ذلك من القيم التي أكد عليها الإسلام في مفردات كثيرة.

فالصدق، والوفاء بالعهود والمواثيق، من القيم الإسلامية، وكذلك الأمانة والشعور بالمسؤولية تجاه الله تعالى والمجتمع والواجبات، من القيم المهمة التي أكد عليها الإسلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[١].

فهذه القضايا والقيم والمثل، تمثل الأساس الآخر القوي بعد العقيدة، الذي يمكن أن يقوم عليها المجتمع الإسلامي.

إذن، فقضية الأخلاق لها هذا الدور المهم في المجتمع الإسلامي.

وفي عصر الإمام الحسين عليه السلام اهتزت القيم الأخلاقية عند الناس، بسبب التوسع في الدنيا، والتمكن من الشهوات والللذات، وكثرة الأموال، والتوسع في القدرة والسلطة، وغير ذلك من الأمور التي أدت إلى ضعف الحالة الأخلاقية.

ولذلك نجد من بداية واقعة الطف وحتى نهايتها وجود سلوكين متعاكسين:

أولهما: تعامل أعداء الإمام الحسين معه عليه السلام، حيث كان سلوكهم يتصف بالتدني والتسافل الشديد والسقوط الأخلاقي.

ثانيهما: تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع أعدائه، الذي كان يتصف دائماً بالسمو الأخلاقي والارتفاع في المشاعر والعواطف والمواقف.

فالإمام الحسين عليه السلام قام بثورته من أجل المحافظة على القيم الفاضلة، وضحّى من أجل المصالح العامة، ومن أجل الناس: ((..وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد

---

(١) الأحزاب: ٧٢.

علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)).

وبعد استشهاده عليه السلام، كان لابد لمسيرة الأخلاق أن تستمر وتتكامل.

ونجد أنَّ المرأة كان لها دور عظيم جداً في المحافظة على هذا الجانب وهذه القيم، ويتضح ذلك جلياً من خلال حركة المرأة الصالحة والأسوة الحسنة زينب عليها السلام ومواقفها، فمثلاً: عندما تقف في مجلس عبيد الله بن زياد الذي يعتبر نفسه منتصراً ومأخوذاً بزهوة الإنتصار، خصوصاً وإنه إنسان شرير وشاب نزق، وحاول التعبير عن نزقه بالشماتة بزينب والحسين عليهما السلام وما جرى عليهم فيقول: (كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟) وهنا تعبر العقيلة زينب عليها السلام عن إيمانها بالله تعالى وصبرها على المصيبة وإدراكها لأهداف هذه الثورة فقالت: ((ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمّك يا ابن مرجانة...))[١].

كما أن خطبتها عليها السلام في الكوفة تشتمل على الوعظ والتأكيد على المفاهيم الأخلاقية، التي يجب أن يتصف بها هؤلاء الناس، وذلك بالإشارة إلى خيانتهم وخذلانهم ونقض المواثيق والعهود: ((..أتبكون وتنتحبون، أي والله فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا؛ فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدا، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة وملاذ حيرتكم ومفزع نازلتكم ومنار حجتكم ومدرة سنتكم، ألا ساء ما تزرون وبعدا لكم وسحقا.

فلقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفقة وبؤتم بغضب من

---

(١) بحار الانوار ٤٥: ١١٦.

الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة. ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم، وأي كريمة له أبرزتم، وأي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتم، لقد جئتم بها صلعاء عنقاء، سوداء فقماء..))(١).

وكذلك خطبتها في مجلس يزيد بن معاوية، الذي كان مكتظاً بالوجهاء والقادة والوزراء والأمراء والسفراء - وقد جمعهم يزيد من كل مكان، من أجل أن يظهر زهو الانتصار - حيث تقف موقفا صامدا تقول: ((...أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههنّ، تحدوا بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد، وتستشرفهنّ المناقل ويتبرزن لاهل المناهل، ويتصفّح وجوههن القريب والبعيد والغائب والشهيد والشريف والوضيع، والدني والرفيع ليس معهنّ مَن رجالهنّ وليٌ، ولا من حُماتهنّ حمي؟ عتوا منك على الله وجحودا لرسول الله ودفعا لما جاء به من عند الله ولا غرو منك ولا عجب فعلك...))(٢).

وهناك مواقف أخرى من نساء لسن على مستوى زينب عليها السلام في الفضل والعلم، ويبدو أنهنّ من النساء العاديات، وإن كنّ بحسب مضمونهنّ الأخلاقي من النساء الراقيات والعظيمات والمجاهدات، كموقف (دلهم) أو (ديلم) التي كان لها دورا مهما في الجمع بين الحسين عليه السلام وزوجها زهير بن القين، الذي كان عثماني الاتجاه، يقول السيد ابن طاووس: (..ثم سار عليه السلام فحدث جماعة من بين فزارة وبجيلة، قالوا: كنا مع زهير بن القين لما أقبلنا من مكة، فكنا نساير الحسين عليه السلام حتى لحقناه، فكان إذا أراد النزول

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٨٧.

(٢) الاحتجاج٢: ٣٥.

اعتزلناه فنزلنا ناحية، فلما كان في بعض الأيام نزل في مكان لن نجد بدًا من أن ننازله فيه، فبينا نحن نتغذى من طعام لنا إذ أقبل رسول الله الحسين عليه السلام حتى سلم، ثم قال: يا زهير بن القين، إنَّ أبا عبد الله الحسين عليه السلام بعثني إليك لتأتيه، فطرح كل إنسان منا ما في يده، حتى كأنما على رؤوسنا الطير، فقالت له زوجته وهي ديلم بنت عمرو: سبحان الله، أيبعث إليه ابن رسول الله عليه السلام ثم لا تأتيه، فلو أتيته فسمعت من كلامه، فمضى إليه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشرا قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فحوِّل إلى الحسين عليه السلام)[1].

إن هذه المرأة الصالحة لاتعرف مضمون دعوة الحسين لزوجها أو مؤداها، ولكن أن ترى زوجها لا يستجيب لنداء الحسين عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فهذا مما يتنافى مع الأخلاق الرفيعة، ولذا تصدَّت لحثه على قبول دعوة الحسين عليه السلام والاجتماع به، وكان ثمرة ذلك الاجتماع تحول زهير بن القين من موقف عثماني مضاد، إلى موقف ناصر ومؤيد، على استعداد للتضحية بكل شيء في سبيل الإمام الحسين عليه السلام وحركته.

وهناك موقف آخر تقدمت الاشارة اليه، وهو موقف (النوار) التي أنّبت وقرّعت زوجها كعب بن جابر لقتله برير شيخ القراء، هذا الإنسان الذي كان له حق التعليم عليه، وعدم وفائه له مع كل خدماته الثقافية للمجتمع، فتقول: (أعنت على ابن فاطمة، وقتلت سيد القراء، لقد أتيت عظيماً من الأمر، والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً).

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٤.

إلى غير ذلك من المواقف العظيمة التي تهدف إلى المحافظة على القيم[١].

الدور الرابع: الدور الإعلامي

تقدم بحث أهمية الإعلام في الحركة السياسية والجهادية، وتمت الإشارة إلى أن الإعلام في أي حركة سياسية وجهادية مهم جداً، بحيث لا يمكن أن تنتج هذه الحركة وتحقق أهدافها وغاياتها ما لم يكن لها غطاء إعلامي.

وإذا أردنا التفتيش عن أصول الإعلام، نجد أن أصله - كما يبدو - مأخوذ من عملية البلاغ التي يقوم بها الأنبياء والمرسلون، فالمسؤولية الأولى الملقاة على عاتق النبي، هو إبلاغ الرسالة، وإبلاغها - أحياناً - يكون معبراً عن كل أبعاد المسؤولية والعمل الذي يقوم به الرسول ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ...﴾[٢]، وهنا يبدو وكأنه لا يتحمل الرسول شيئاً آخر غير البلاغ.

وأحياناً أخرى يكون هذا العمل والمسؤولية، هو المهمة الأولى في سلسلة المهمات التي يتحملها الأنبياء والرسل، كما في قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٣].

ففي الآية الكريمة يحدد القرآن الكريم للرسول ثلاث مسؤوليات رئيسية، وهي: تلاوة الآيات، وتزكية الناس وتربيتهم وتطهيرهم، وتعليمهم الكتاب

---

(١) لذا نحن نؤكد على أن هناك مسؤولية عظيمة تتحملها عوائل، ونساء، وأمهات، وأخوات الشهداء، وكل من ينتمي إلى هذه الأسر الشريفة أن يحافظوا على الجانب الأخلاقي، الذي استشهد هؤلاء الشهداء من أجله. (**منه ﷺ**).

(٢) المائدة: ٩٩.

(٣) الجمعة: ٢.

والحكمة.

ونجد أن البلاغ الذي يعبر عنه في هذا الآية الكريمة بـ(تلاوة الآيات) يأتي في المرحلة الأولى من مراحل هذه المسؤوليات، فالإعلام يمثل الدور الرئيس والأساس في العملية التغيرية التي يمارسها الأنبياء والرسل.

وقد وصف الله سبحانه أنبياءه الذين لا يتحرجون من الالتزام، وإعلام ما فرض الله عليهم من واجبات وتكاليف، بقوله: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[1].

وبالنسبة إلى النهضة الحسينية كان احد الأسباب الرئيسية في استمرارها وإنجاحها، هو الدور الخاص الذي قامت به البقية الباقية من أهل البيت عليهم السلام في تغطيتها، وتوضيح معالمها وأهدافها من الناحية الإعلامية، وإبلاغ هذه الرسالة إلى الناس.

علماً إن هذا الدور قام به الإمام زين العابدين عليه السلام أولاً ، باعتباره يمثل البقية الباقية من أهل البيت، ومن ثم قامت به السيدة العقيلة زينب عليها السلام وبقية أهل البيت عليهم السلام.

ولاشك أن الإعلام من أجل نجاحه يحتاج إلى المنهج والأسلوب المناسب الذي يجب أن يلتزمه، كأن يكون الإعلام متناسباً مع المخاطبين في مراعاة ظروفهم وعقولهم وأوضاعهم النفسية، والقضايا الهامة التي تتفاعل معها الأمة.

وهذا ما يعبر عنه علماء اللغة بـ(البلاغة) التي هي: عبارة عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهي بذلك تختلف عن الفصاحة، وهي: أن يكون الكلام متقناً متطابقاً مع النظام الذي وُضعت على أسسه اللغة، ويكون

---

(١) الأحزاب: ٣٩.

اختياره المفردات اختياراً دقيقاً وبديعاً ومؤثراً[١]، فالبلاغة تحتاج إلى أن يكون الكلام متطابقاً مع الظروف التي يعيشها الناس - وهذا ما يعبر عنه بالخطاب السياسي - من أجل أن يكون مؤثراً فيهم.

ولذلك نجد أن العقيلة زينب عليها السلام، وهي رمز المرأة في النهضة الحسينية، عندما أرادت القيام بهذه المهمة الإعلامية - إضافة إلى نساء أخريات قمن بأدوار معينة، لكنها أقل من دور العقيلة - كان لها مراحل أربعة في إعلامها وفي خطابها السياسي، وكانت تنتقي - أيضاً - المضمون في هذا الإعلام وفي هذا الخطاب، بما يتناسب مع هذه المراحل الأربعة التي قامت بها:

المرحلة الأولى: مرحلة الإعلام في الأوقات والأيام التي كانت قبل الدخول في المعركة، أو بعدها بقليل، حيث كان لها حديث في ليلة ويوم عاشوراء، وكذلك في أثناء المعركة، وفي ليلة الحادي عشر، ويوم الحادي عشر، عندما بدأوا المسير باتجاه الكوفة، وكان حديثها يرتكز بصورة رئيسية على إثارة المشاعر والعواطف في الأشخاص الذين اشتركوا في المعركة.

ففي حديثها عليها السلام عندما انتهت نحو الحسين عليه السلام وهو يجود بنفسه وقد دنا منه عمر بن سعد في جماعة من أصحابه صاحت: ((يا عمر، أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ فدمعت عيناه حتى سالت دموعه على لحيته وصرف وجهه عنها))[٢]. فقد أثار كلامها عليها السلام هذا القلب القاسي، الذي عبَر عن تأثره العاطفي بالبكاء، ثم حديثها يوم الحادي عشر، عندما أرادت توديع الحسين عليه السلام، صاحت عليها السلام: ((يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء

---

(١) مختصر المعاني: ١٣ - ١٤.

(٢) الكامل في التأريخ٤: ٧٨.

هذا الحسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا.. فأبكت كل عدو وصديق...))[(١)].

فالقضية هنا وإن كانت قضية التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، والعلاقة به تعالى، ولكنها مع ذلك كله نجد حديثها هنا هو إثارة المشاعر والعواطف الخيرة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في فطرة هذا الإنسان، ولإيقاظ الضمائر، وتغيير الواقع النفسي والروحي الذي كان عليه أولئك الناس.

وهي وإن لم تحقق هذا الهدف أثناء المعركة، أو في ظروفها القريبة، ولكن كان لهذه المرحلة الأثر الكبير في التغييرات الروحية والنفسية القتالية فيما بعد.

المرحلة الثانية: خطابها عليها السلام في الكوفة، حيث كان الوضع السياسي والنفسي العام فيها موالياً لأهل البيت عليهم السلام ويتعاطف معهم، إضافة إلى ذلك فإنَّ أهل الكوفة قدَّموا المواثيق والعهود لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، وكانت قلوبهم معه لكنهم تخاذلوا عنه في اللحظة الأخيرة، لأسباب عديدة تقدمت الإشارة إليها.

فالعقيلة زينب عليها السلام حينما خطبت في أهل الكوفة، وكذلك فاطمة بنت الحسين عليه السلام وغيرهما، كان الحديث يرتكز على التأنيب، لنكثهم العهود، ونقضهم المواثيق، مما جعل الكثير منهم يتأثر بخطابهن، ويبكي بشدة ويندم على ما قام به، وبدأوا يتحركون فوراً؛ للتعبير عن ذلك، ولذلك كان خطابها خطاباً سياسياً بليغاً اختارته بصورة مناسبة، تتطابق مع الأوضاع السياسية والروحية في ذلك الوقت.

المرحلة الثالثة: مرحلة الحديث مع أهل الشام، أي: الحديث مع

---

(١) الكامل في التأريخ٤: ٨١.

الأعداء التقليديين الشامتين، وأحاديثها وخطاباتها السابقة، وإن كانت - أيضاً - مع الأعداء، ولكن عموم المستمعين منهم كان ممن يوالي أهل البيت عليهم السلام، ولذا كانت الظاهرة العامة في الكوفة - بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام - ظاهرة حزن وبكاء ونحيب، ولكن الأمر كان مختلفاً مع أهل الشام، فالشاميّون كان موقفهم عدائياً من أهل البيت عليهم السلام، وكانت الظاهرة الاجتماعية العامة هي: ظاهرة سرور وفرح، بحيث زُينت الشام استبشاراً بقتل الحسين عليه السلام[1].

ولذا تغيّر مضمون الحديث وأسلوبه، فأصبح عبارة عن كشف الحقائق من ناحية، وإبراز شجاعة أهل البيت عليهم السلام وصمودهم وثباتهم واستمرارهم في هذا الطريق والوقوف إلى جانب الحق من ناحية أخرى، والحديث عن المستقبل الذي لابد أن يتحقق فيه النصر للمؤمنين من ناحية ثالثة[2].

---

(١) قال سهل بن سعد صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله: ((خرجت إلى بيت المقدس حتى توسطت الشام، فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهار كثيرة الأشجار قد علقوا الستور والحجب والديباج، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: لا نرى لأهل الشام عيدا لا نعرفه نحن، فرأيت قوما يتحدثون، فقلت: يا قوم، لكم بالشام عيد لانعرفه نحن؟ قالوا: يا شيخ نراك أعرابيا، فقلت: أنا سهل بن سعد قد رأيت محمدا صلى الله عليه وآله، قالوا: يا سهل، ما أعجبك السماء لا تمطر دما، والأرض لا تنخسف بأهلها؟ قلت: ولم ذاك؟ قالوا: هذا رأس الحسين عليه السلام عترة محمد صلى الله عليه وآله يهدى من أرض العراق، فقلت: واعجباه يهدى رأس الحسين والناس يفرحون؟!)). بحار الأنوار ٤٥: ١٢٧.

(٢) ومن تلكم الأحاديث خطبتها الرائعة في مجلس الطاغية يزيد والتي أفرغت فيها عن لسان أبيها علي بن أبي طالب من البلاغة والفصاحة، والإباء والشجاعة، حيث قالت: ((**الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسول الله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه كذلك يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون﴾، أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا**

←

نساق كما تساق الأسارى أن بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة؟! وإن ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسرورا حين رأيت الدنيا لك مستوثقة والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلا مهلا، أنسيت قول الله تعالى ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك، وسوقك بنات رسول لله ﷺ سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن، تحدوا بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأذكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف يستبطأ في بغضاء أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والإحن والأضغان، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلوا واستهلوا فرحا ...... ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منتحيا على ثنايا أبى عبد الله عليه السلام سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك، وكيف لاتقول ذلك، وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد ﷺ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك، وزعمت إنك تناديهم، فلتردن وشيكا موردهم، ولتودن إنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت، اللهم خذ لنا بحقنا وانتقم ممن ظلمنا وأحلل غضبك بمن سفك دمائنا وقتل حماتنا، فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله ﷺ بما تحملت من سفك ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته، وحيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. وحسبك بالله حاكما وبمحمد ﷺ خصيما وبجبرائيل ظهيرا، وسيعلم من سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين بأس للظالمين بدلا وأيكم شر مكانا وأضعف جندا.

ولئن جرّت على الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك وأستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرّى، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكى تتناهبها العواسل، وتعفرها أمهات الفراعل، ولئن

←

المرحلة الرابعة: مرحلة ما بعد الأسر، عندما استقرت عليها السلام في المدينة، ثم نُفيت منها قهراً، نجد أن خطابها عليها السلام في المدينة قد تغير، وأصبح لعموم المسلمين، ولم يختص بالأنصار والموالين، كما في الكوفة، كما لم يكن خطاباً مع الأعداء كما في الشام، وإنما هو خطاب مع جمهور المسلمين، الذي كان يريد أن يعرف الحقائق والحوادث التي جرت في كربلاء.

المضمون الإعلامي لخطاب الحوراء

هناك عدة مفردات رئيسية وأساسية، أكدت عليها العقيلة زينب عليها السلام في خطاباتها:

المفردة الأولى: قضية الانتساب إلى أهل البيت عليهم السلام وانتمائهم إلى أسرة الرسول صلى الله عليه وآله، وهذه من القضايا المهمة التي أكد عليها الإمام الحسين عليه السلام في خطابه السياسي مع أعدائه .

ونجد أن زينب والإمام زين العابدين عليهما السلام كانا يؤكدان على هذه المفردة، التي لا يمكن لأحد من الناس أن يتجاوزها، لأن القرآن الكريم أشار إلى هذه القضية في عدة آيات:

منها: قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

اتخذتنا مغنما لتجدن وشيكا مغرما، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى وعليه المعول، فكد كيدك، وأسع سعيك، وناصب جهد، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد يوم ينادى المنادي ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولأخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل.)). اللهوف في قتلى الطفوف: ١٠٥.

وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١].

ومنها: قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى..﴾[٢]؛ ولذلك نجد أن يزيد حاول التعتيم على هذه القضية، واظهار قضية الحسين عليه السلام على أنها مجموعة من الذين خرجوا على السلطة وتمردوا عليها فقُتلوا، ولم يبين حقيقة انتمائهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا ما كشف عنه الإمام زين العابدين عليه السلام في خطابه بالشام: ((...أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرّدا، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حج ولبّى ، أنا ابن من حمل على البراق في الهوا، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله...))[٣].

وقد يُتساءل عن السبب في استغراقه عليه السلام في التعريف عن نفسه بهذا الشكل.

والإجابة: إنَّ الإمام عليه السلام أراد بهذا التعريف أن يكشف للناس ارتباطه بالنبي صلى الله عليه وآله وقرابته منه، الذي تستُّر عليه يزيد والأمويون، الأمر الذي أدى إلى تغيّر الوضع السياسي حتى في مجلس يزيد نفسه، مما اضطره اتخاذ موقف

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) البحار ٤٥: ١٣٨، باب ٣٩.

آخر، وهو تخفيف الضغط عن أهل البيت واظهار الندم.

المفردة الثانية: توضيح الأهداف الرئيسة للثورة الحسينية، فهذه النهضة لم تكن من أجل المصالح الخاصة أو الصراعات القبلية، أو من أجل الحكم والسلطة، أو من أجل المكاسب المادية، إلى غير ذلك مما قد يتوهمه البعض، وإنما كانت من أجل الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أجل إقامة الحق، وإلى غير ذلك من المضامين، ولذلك نجد العقيلة تتحدث عن هذا الجانب في مجلس يزيد فتقول: ((اللهم خذ بحقّنا، وانتقم من ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، ونقض ذمارنا، وقتل حماتنا، وهتك عنّا سدولنا.. بعد أن تركت عيون المسلمين به عبرى، وصدورهم عند ذكره حرّى، فتلك قلوب قاسية، ونفوس طاغية، وأجسام محشوّة بسخط الله ولعنة الرسول، قد عشّش فيه الشيطان وفرّخ.. فالعجب كل العجب لقتل الأتقياء، وأسباط الأنبياء، وسليل الأوصياء بأيدي الطلقاء الخبيثة، ونسل العهرة الفجرة...))[1].

المفردة الثالثة: طرح قضية المظلومية، وهنا كان للسيدة زينب عليها السلام دور متميز في ذلك، حتى على دور الإمام زين العابدين عليه السلام، فالمرأة عندما تطرح قضية المظلومية يكون تأثيرها أكثر من الرجل؛ لأن المجتمع ينظر لها على أنها كائن ضعيف رقيق فيكون لإبداء مظلوميته تأثير أكبر في النفوس، ولذلك كان للعقيلة زينب عليها السلام دور عظيم جداً في طرح هذا الامر وتحريك الضمائر، وهز المشاعر وإثارة العواطف، من خلال موقفها ودورها.

المفردة الرابعة: قضية الأمل والمستقبل، وبأن النصر والعاقبة سيكون

---

(١) الاحتجاج٢: ٣٧.

حليفا للنهضة الحسينية، وهذا ما أكدت عليه العقيلة زينب عليها السلام في خطابها مع يزيد، حيث تقول: ((...فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيّامك إلا عدد، وجمعك إلاّ بدد، يوم يناد المناد ألا لعنة الله على الظالمين))[1].

فبالرغم من الظروف المأساوية والصعبة التي كانت تعيشها عليها السلام، وما مرّ عليها من قتل أهل بيتها إلى سبيها وأسرها، نجدها بكل قوة وصلابة، تؤكد بأن النصر سيكون حليفاً لنا، مهما كانت الظروف، وما صنع الله بنا إلاّ خيراً، والنتائج دائماً إلى صالحنا، وسوف يكون المستقبل إلى جانبنا.

الدور الخامس: الأسر والسبي

وهو الدور الرئيس والأساس بين كل الأدوار، حيث تبدو فيه المشاركة الحقيقية للمرأة في هذه الثورة، بحيث تحمّلت القسط الثاني منها في مواجهة الظلم والطغيان من ناحية، وفي تحقيق الأهداف التي كان يسعى لها الإمام الحسين عليه السلام من ناحية أخرى.

فما جرى على الإمام الحسين عليه السلام وعلى أهل بيته وأصحابه من محن ومصائب وآلام وقتل ومُثلة، يمثل جانباً من الجريمة الوحشية المروعة التي اهتزت لها حتى الضمائر المريضة أو الميتة، وتكشفت بها الحقيقة المُرّة في طغيان يزيد وانحراف حكمه، وما جرى على العقيلة زينب عليها السلام ونساء وبنات الحسين وأصحابه، الذين تعرضوا للأسر والسبي وهتك الحرمات، يمثل الجانب الآخر من هذه الجريمة في فضاعته ووضوحه وآثاره الروحية

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ١٠٥.

والاجتماعية، فقد تحمل هؤلاء النسوة والأطفال القسط الثاني من الآلام والمصائب، ومن الممكن القول أنه يساوي القسط الذي تحمله الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

ففاجعة كربلاء العظمى لها عِدلان رئيسيان يكمّل أحدهما الآخر:

عِدل القتل والتمثيل والهتك لحرمة هذه الصفوة من أبناء الأمة، وعلى رأسهم الإمام الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وصحبه الكرام.

وعِدل السبي والأسر والهتك والاستهتار بحرمات هذه النسوة اللاتي يمثلن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

ولابد أن نشير إلى نقطة أساسية ومهمة جداً، في فهم الأوضاع السياسية القائمة آنذاك من ناحية، ونقطة أخرى ترتبط بالفهم الشرعي والثقافي لدى الأمة تجاه حركة الإمام الحسين عليه السلام، ليتضح الدور العظيم الذي قامت به المرأة المسلمة في الثورة الحسينية، وتحقيق أهدافها في إيقاظ ضمير الأمة وكشف الحقيقة، وفضح الأمويين وتوضيح حقيقتهم وموقفهم من الإسلام ومن الشريعة الإسلامية.

أما فيما يتعلق بالأوضاع السياسية التي كان يعيشها المسلمون آنذاك، فقد كان هناك شك كبير في الأوساط العامة للأمة، حول شرعية الثورة ووجوب القيام في وجه الظلم والطغيان، المتمثل بيزيد، وإن كان يوجد وضوح إلى حد ما في انحرافه، الأمر الذي أدى إلى امتناع بعض وجوه الصحابة والتابعين عن بيعته.

وهذا الشك وإن كنا لا نراه في أيامنا الحاضرة، أي بعد مضي هذه المدة الطويلة على ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وبعد تأثير هذه الثورة في أوساط المسلمين، وبعد توضيح ما جرى فيها للناس، وما كشفت من حقائق تجاه

الواقع اليزيدي، وموقف الأمويين في ذلك الوقت، ولكن إذا نقلنا أنفسنا إلى ذلك العصر، أي: عهد معاوية بن أبي سفيان، وعرفنا أن هذا العهد كان عبارة عن عشرين عاماً من الحكم المطلق المهيمن والمسيطر على الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، وان معاوية كان على درجة عالية من الدهاء والهيمنة والتخطيط للقضايا والأهداف السياسية والاجتماعية والثقافية التي يسعى إليها.

ومن جملة القضايا المهمة التي سعى إليها معاوية بجد هي: إشاعة فكرة إطاعة الحاكم الذي يرفع شعار الإسلام، حتى لو كان جائراً أو ظالماً أو خارجاً عن الحدود الإسلامية، ما لم يُظهر الكفر البواح بصورة علنية وظاهرة أمام الناس.

نعم، قد يُنصح ويُتحدث معه بالحكمة، ولكن إطاعته والخضوع له والقبول به واجب من الواجبات الشرعية.

وقد وضعت وحُرِّفت عدة أحاديث على لسان رسول الله ﷺ، تقول: بوجوب طاعة هذا الحاكم، حتى لو كان جائراً وظالماً، ولا زالت هذه النصوص تتداول في كثير من الكتب التي يعتبرها عامة المسلمين نصوصا صحيحة[1]، ويتلقونها بالقبول في أوساطهم، حتى يومنا الحاضر، وروّج لها

---

(١) روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: **((قال رسول الله: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطع للأمير وان ضرب ظهرك واخذ مالك فاسمع وأطع)).**

وروى عن ابن عباس إن رسول الله قال: **((من رأى من إمامه شيئا يكرهه فليصبر، فأنه من فارق الجماعة شبرا فمات، مات ميتة جاهلية)).**

=

معاوية بشكل واسع وامتدت بامتداد الحكم الأموي، وتلقاها العباسيون بالقبول وروّجوها أيضاً.

ولذا جعلت المعركة مع الأمويين الإمام الحسين عليه السلام في موقف يشوبه الوهم والالتباس بأنه يخالف الأحكام الإسلامية العامة التي يعرفها المسلمون، كالخروج على الحاكم الذي تجب طاعته، وهذا يعتبر شقّاً لعصا المسلمين، ومن يشق عصا المسلمين يجوز قتله بزعم هذا الفهم؛ ولذا تجرّأ بعضهم بالقول بأن الإمام الحسين قتل بسيف جده رسول الله صلى الله عليه وآله![1]، ولكن الإمام الحسين عليه السلام بمواجهته مع الأمويين وثورته عليهم، تمكن أن يكشف الحقيقة المرّة المتمثلة بكفرهم واستهتارهم بالإسلام وأحكامه، حيث أسقط القناع عنهم عندما ارتكبوا أعمال واضحة في مخالفتها للإسلام، وهي:

العمل الأول: تعذيب واضطهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وعيالاته وأطفاله بمحاصرتهم ومنعهم من الماء والأكل.

ويجمع المسلمون على حرمة التعذيب في الإسلام. فإذا كان يحق للأمويين - بزعمهم - قتل الإمام الحسين عليه السلام، فما ذنب الصغار الذين يُمنعون من الماء، ويُحرمون من الغذاء؟!

وروي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب انه حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية قال: **((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية))** صحيح مسلم٦ : ٢٠-٢٢، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن.

(١) ذكر المناوي في فيض القدير١ : ٢٦٥ **((وقد غلب على ابن العربي الغض من أهل البيت حتى قال: قتله بسيف جده))**. أي أن يزيد قتل الحسين بسيف جده.

فالتعذيب بهذه الطريقة والصورة الوحشية تجاه أهل بيت رسول الله ﷺ كانت قضية مكشوفة وواضحة لدى المسلمين في مخالفتها للإسلام، ولا يمكن أن تفسَّر أو تبرر بأي حديث.

العمل الثاني: التمثيل والمثلة[١]، ويروي الإمام علي عليه السلام أنه قد سمع رسول الله ﷺ يقول: ((إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور))[٢]، كما يروي جميع المسلمين عن رسول الله ﷺ: ((أنه نهى عن المثلة))[٣].

لكن عمر بن سعد يوم عاشوراء، يأمر مجموعة من الخيالة أن تطأ صدر وجسد الحسين عليه السلام[٤]، ويمثلوا بجسده بطريقة تقشعر لها الأبدان، ثم بعد ذلك قاموا بقطع رؤوس القتلى من أصحابه وأهل بيته[٥]، ورفعوها فوق الرماح للتعبير عن الانتقام والتشفي، ويكشف هذا العمل بشكل واضح ما تكنّه صدور الأمويين من حقد ومخالفة للحكم الإسلامي.

العمل الثالث: ممارسة قتل النساء والأطفال والجرحى والعاجزين، دون سبب عدا التشفي والانتقام وإشاعة الرعب والخوف، كما حدث ذلك لأم وهب وكعبد الله الرضيع الذي رماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه، وفيه يقول الامام المهدي عجل الله فرجه: ((السلام على عبد الله الرضيع المرمي الصريع المتشحط دما، المصعد دمه إلى السماء، المذبوح بالسهم في حجر

---

(١) المثلة: عبارة عن القيام بأعمال وحشية ضد المقتول تعبر عن حالة الانتقام وإشفاء الغليل. لسان العرب١١: ٦١٥ مادة (مثل).

(٢) نهج البلاغة١٧: ٦، رقم ٤٧، من وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام، عندما ضربه ابن ملجم (لعنه الله).

(٣) راجع صحيح مسلم ٥: ١٤٥٧، وسنن ابن ماجة٢: ١٠٦٣.

(٤) اللهوف في قتلى الدفوف: ٧٩، مثير الأحزان: ٥٩.

(٥) راجع بحار الانوار٤٥: ٦٢، باب٣٧.

أبيه))[1].

العمل الرابع: أسر وسبي عيالات وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد كان هذا العمل أوضح في أدائه ومدلولاته من الأعمال السابقة في فضح وكشف الأمويين، كما كان له تأثير كبير جداً على وعي المسلمين.

في الفقه الإسلامي يوجد حكماً يتعلق بالبغاة، وهو أن الباغي يجوز قتله، ولكن تبقى عيالاته إذا كان مسلماً في مأمن من الأذى، فلا يجوز أن تأسر، أو تصبح غنائم[2]، وبهذا تفترق نساء وأطفال البغاة عن نساء وأطفال الكفار، فإن عيالاتهم يتحولون إلى سبايا، ورجالهم يتحولون إلى أسارى، وأموالهم تتحول إلى غنيمة.

وأول من بيّن هذا الفرق في الحكم هو: الإمام علي عليه السلام في أعقاب حرب الجمل، عندما طلب بعض المقاتلين منه تقسيم الغنائم التي استولوا عليها بعد المعركة بينهم، فرفض عليه السلام ذلك، وكان جوابه قوياً وشديداً، بعد أن نهاهم ونهرهم عندما ألحّوا عليه، فأجابهم: من يقبل منكم أن تكون غنيمته أمه عائشة - باعتبار أن عائشة أم المؤمنين وكانت من جملة الأسارى - فوجدوا أن الإجابة صحيحة، فمن يقبل أن تكون غنيمته أمه، حيث قال عليه السلام: ((... يا أخا بكر، أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها، وأن دار الهجرة يحرم ما فيها إلا بحق، فمَهلاً مهلاً رحمكم الله، فإن لم تصدّقوني وأكثرتم عليّ - وذلك أنه تكلّم في هذا غير واحد - فأيكم يأخذ عائشة بسهمه؟! فقالوا: يا أمير المؤمنين أصبت وأخطأنا،

---

(١) إقبال الأعمال ٣ : ٧٤.

(٢) شرائع الإسلام١: ٢٥٧، قواعد الأحكام١ : ٥٢٢، منهاج الصالحين، السيد الخوئي من كتاب الجهاد١: ٣٩٠ (مسألة:٦٠).

وعلمت وجهلنا..))[١]، ففهموا أن الحكم الشرعي بالنسبة إلى بغاة المسلمين، يختلف عن الحكم الشرعي بالنسبة إلى الكفار. والمسلمون بكل مذاهبهم وطوائفهم يلتزمون بهذه الفتوى، ويقبلون هذا الحكم الشرعي[٢].

ولكن في كربلاء نجد الأمويين يسلكون سلوكاً آخراً، حيث قاموا بسبي وأسر حرم رسول الله ﷺ وعيالات أصحاب الحسين عليه السلام وأولاده، كما قاموا بنهب أموالهم، واعتبروها غنائم حرب!.

وهذا ما نراه واضحاً في أسرهم وتسييرهم من كربلاء إلى الكوفة، ومنها إلى الشام على نياق عجاف، ونهب مخيمهم وحرقه، ولم يكتفوا بذلك حتى أوغلوا في الجريمة وهذه بعض الأمثلة:

المثال الأول: لّما قتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام تسابق القوم على سلب حرائر الرسول ﷺ، فأخذ رجل قرطي أم كلثوم وخرم أذنها، وجاء آخر إلى فاطمة بنت الحسين فانتزع خلخالها، وهو يبكي، قالت له: ما يبكيك يا عدوّ الله؟ فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله، فقالت له: لا تسلبني، قال: أخاف أن يجيئ غيري فيأخذه![٣].

المثال الثاني: عندما أدخلت السبايا إلى مجلس يزيد، نظر رجل شامي كان في مجلس يزيد إلى فاطمة بنت علي عليه السلام، فطلب من يزيد أن يهبها له لتخدمه، ففزعت وتعلقت بالعقيلة زينب عليها السلام، وقالت: كيف أخدم؟! قالت العقيلة: لا عليكِ أنه لن يكون أبداً! فقال يزيد: لو أردت لفعلت! فقالت له:

---

(١) الاحتجاج١ : ٢٤٧، كنز العمال١٦ : ١٨٥.

(٢) شرح السير الكبير ١ : ٣٧٠ ، أحكام القرآن٣ : ٥٣٤.

(٣) راجع: أمالي الصدوق: ٢٢٨، ح٢.

إلا أن تخرج عن ديننا[١]، وهنا وجد يزيد نفسه أمام حقيقة لايمكن أن يتجاوزها.

المثال الثالث: لم يزل علي بن الحسين عليه السلام باكياً ليله ونهاره حتى قال له بعض مواليه: إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، فقال له عليه السلام: يا هذا إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون، أن يعقوب كان نبياً غيَّب الله عنه واحداً من أولاده وعنده اثنا عشر وهو يعلم أنه حيٌ، فبكى عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن، وإني نظرت إلى أبي وأخوتي وعمومتي وصحبي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني؟ واني لا أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة وإذا نظرت إلى عماتي وأخواتي ذكرت فرارهن من خيمة إلى خيمة[٢].

ففي موضوع السبي والأسر من التحدي والانتهاك والاستهتار بحدود الشريعة ما لا يشبه القتل ولا يشبهه شيء مما وقع في كربلاء، وهي تساوي من حيث أهميتها ما وقع على الإمام الحسين عليه السلام من مظلومية، ومن معاملة وحشية ارتكبها الأمويون، وهذا ما يفسر لنا إصرار الإمام الحسين عليه السلام في أخذ عياله معه، حيث قال عليه السلام قائلاً: ((إنَّ الله شاء أن يراهنَّ سبايا))، فمن خلال استعراض الأدوار الخمسة الأساسية التي قامت بها المرأة المسلمة في الثورة الحسينية، يمكن أن نستنتج ما يمكن أن تقوم به المرأة المؤمنة في التأريخ الإسلامي والمجتمع الإسلامي من أدوار، مضافاً إلى دورها المتميز في بناء القاعدة الأساسية للمجتمع الإنساني، وهي الأسرة التي يكون للمرأة في بنائها الدور الأساس. مضافاً إلى ما وهبها الله سبحانه

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ١٠٨ ، مثير الأحزان: ٨٠ ، الاحتجاج٢: ٣٨.

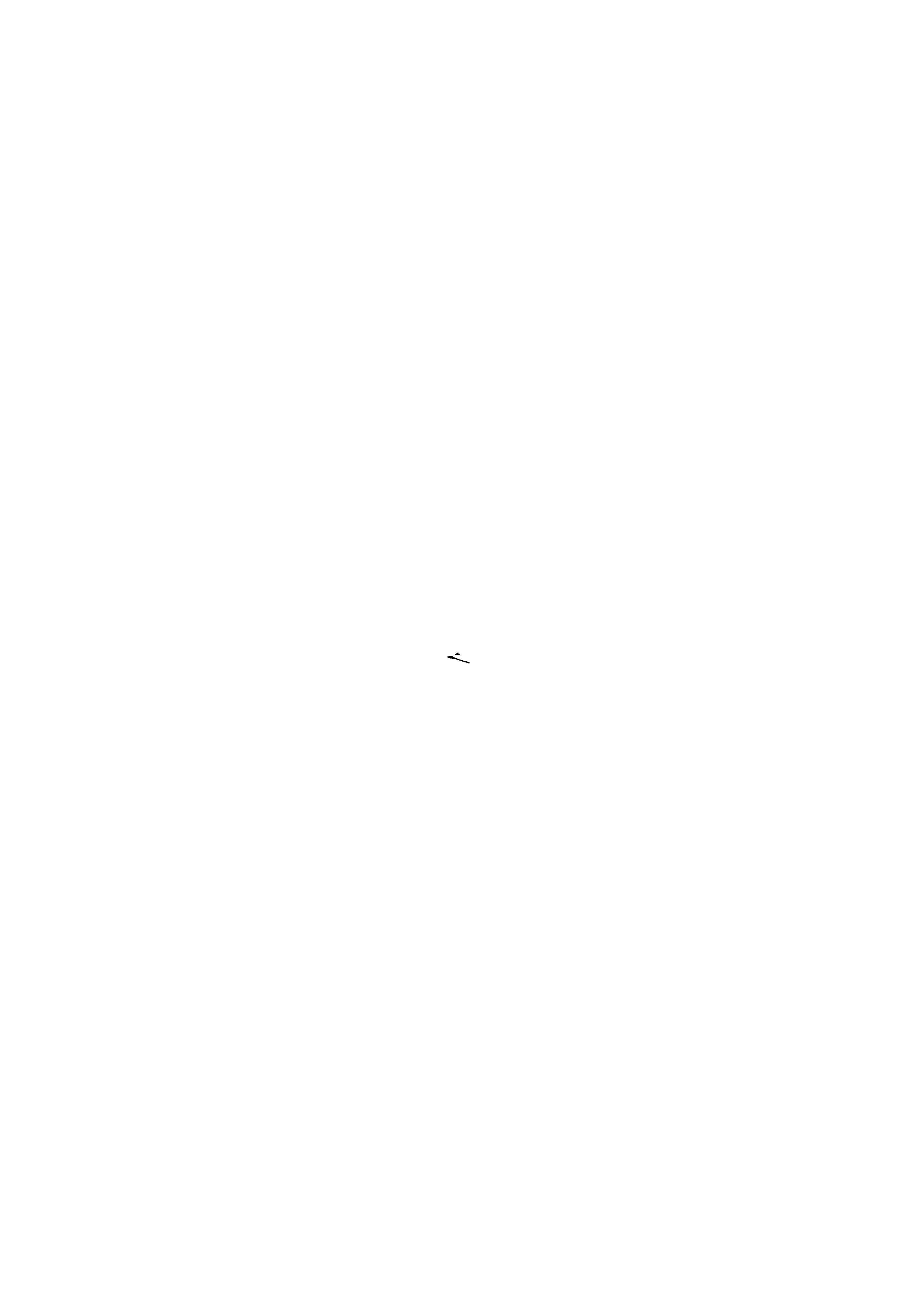
(٢) راجع الخصال: ٢٧٣، روضة الواعظين:١٧٠.

وتعالى من مواهب ذاتية تفتح لها أبواب التكامل في المسيرة الذاتية الفردية لها في العلم والمعرفة والعبادة والتقوى والإخلاص لله تعالى والبذل والعطاء لإسعاد البشرية، مما يمكن أن نشاهده في الأمثلة الصالحة التي ضربها القرآن الكريم لنا فيها، وتحدث عنها الحديث الشريف، ووقائع التأريخ الإسلامي، كخديجة الكبرى، والصديقة الزهراء، والعقيلة زينب عليها السلام، وغيرهن من النساء الفاضلات.

وقد قرن القرآن الكريم هذا الجانب من الكمالات الأخلاقية والممارسات العبادية المرأة بالرجل، مما يعطينا تصوراً واضحاً عن الكمال في شخصيتها الإنسانية وفي مسؤوليتها الاجتماعية، ويمكن أن نلاحظ ذلك بوضوح في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۞ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[1].

---

(١) الأحزاب: ٣٥ - ٣٦.



الفصل التاسع

الشعائر الحسينية

إن إحدى المؤسسات التي أسسها أهل البيت للعمل الثقافي، والتي اختص بها أتباعهم ومحبوهم هي مؤسسة (الشعائر الحسينية) كالمجالس الحسينية، والزيارات وغيرها مما سوف نشير إليه في هذا الفصل.

فالشعائر الحسينية - في الحقيقة - هي احد الخطوط الهامّة التي اعتمدها أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة عموماً، كما أنها - الشعائر الحسينية - القاعدة الهامّة التي يرتكز عليها تحركهم في الأمة؛ لأنها تستلهم من ثورة الحسين عليه السلام وتمجدها وتؤكد أهدافها، وهي أهداف ذات جوانب متعددة: سياسية، وثقافية، وعقائدية، وروحية.

وقد وضع الأئمة عليهم السلام التصميم العام لهذه الشعائر، وأعطوها أبعادها الدينية الكاملة، وحدّدوا الشكل والمضمون الذي يتناسب مع الدور المهم الذي لابد لها أن تؤديه، بحيث تنسجم من ناحية الشكل مع ظروف المأساة وأتباع أهل البيت عليهم السلام، ومن ناحية المضمون مع الأبعاد السياسية والروحية والثقافية والعقائدية.

ولاشكّ أنّ نهضة الحسين عليه السلام كان لها تأثير بالغ وكبير في حركة التأريخ الإسلامي وحياة المسلمين عامة، بحيث أدت تفاعلاتها الواقعية في حركة الأمة إلى حفظ الإسلام والأمة الإسلامية من مخاطر الانحراف الكثيرة.

كما كان لها دور آخر مكمّل لدور الثورة نفسها، ويكاد يختص هذا الدور بالكتلة الصالحة وأبنائها، وإن كان له بعض التأثير في أوساط المسلمين عامة أيضاً.

الجماعة الصالحة والشعائر الحسينية

إنّ الجماعة الصالحة كانت ولا تزال تقيم مجلس العزاء على الحسين في جميع الأمكنة، وحتى في المناطق التي لا توجد فيها الحرية والأمن، فقد كانوا يتخذون أماكن أخرى للمحافظة على ثقافتهم وعقائدهم وتأريخهم،

فنشأت بذلك فكرة تأسيس ما يسمى ألان بـ(الحسينية)[١] فكانت البداية تنطلق من فكرة اتخاذ مركز يتحدثون فيه بحرية وأمان، كما تحدثت بذلك روايات أهل البيت عليهم السلام، وكان أكثر ما يدور في تلك الأمكنة هو الحديث عن الحسين عليه السلام ومظلوميته، ثم تطورت هذه الفكرة حتى أصبح أتباع أهل البيت عليهم السلام يؤسسون (الحسينيات) ويبنونها ويتخذونها مراكز ثقافية واجتماعية.

وفي بعض الأحيان يجعلون قسماً من البناء مسجداً حرصاً على البعد الديني والشعائري للمسجد، وقسماً آخر منه حسينية تمجيداً لذكرى أبي عبد الله الحسين عليه السلام من ناحية، ولضمان المزيد من الحرية في العمل والنشاط من ناحية أخرى، وتنزيهاً للمسجد مما يمكن أن تتعرض له هذه الأماكن من مكروهات ومحظورات شرعية من ناحية ثالثة، خصوصاً وأنَّ جمهور فقهاء مذهب أهل البيت عليهم السلام يعتقدون بوجوب تنزيه المساجد من النجاسات والأقذار[٢]، كحرمة استقرار الحائض والجنب في المساجد[٣]، وكذلك كراهة الأكل والنوم فيها، وتمكين الصبيان منها[٤].

وهذه الأحكام لا تجري بطبيعة الحال على الحسينيات، كما أنَّه يكره القيام ببعض الأعمال في المساجد مما لا يسري إلى الحسينيات.

مضافاً إلى ممارسة بعض النشاطات الاجتماعية والثقافية فيها، مثل: مجالس العزاء والأفراح الخاصة، أو الاحتفالات العامة التي قد تضايق

---

(١) نُسب المكان إلى الإمام الحسين عليه السلام باعتباره محلاً لذكر مصيبته والحديث عن نهضته وأبعادها الروحية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية والعقائدية.

(٢) كتاب الطهارة للسيد الخوئي٢: ٢٧١ ، ومنهاج الصالحين للسيد محمد سعيد الحكيم١: ١٣٣.

(٣) كتاب الطهارة للسيد الخوئي٥ : ٣٩١ – ٣٩٣.

(٤) تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي١ : ٩٠.

المصلين، أو تأسيس صناديق القرض، أو المكتبات العامة فيها، وبذلك تحولت الحسينية إلى مؤسسة ثقافية أخرى ـ غير المسجد ـ اعتمدها أتباع أهل البيت عليهم السلام لنشر الثقافة الإسلامية، وأصبحت منطلقاً لمشروع مؤسسة ثقافية واسعة ثالثة اختص بها أهل البيت عليهم السلام وهي الشعائر الحسينية. ولكن مؤسسة الحسينية تعتبر ـ في الحقيقة ـ امتدادا لمؤسسة المسجد الإسلامية.

قضية الحسين أطروحة إلهية

إن قضية الحسين عليه السلام أُطروحة آلهية غيبية، ليست بلحاظ تأريخ الأُمَّة الإسلامية فقط، وإنما بلحاظ تأريخ الإنسانية كلّها، فهي شبيهة إلى حدٍّ ما بأُطروحة الإمام المهدي عجل الله فرجه التي يراد لها أن تختم التأريخ الإنساني، وتقوم حكومة العدل التي تملأ الأرض قسطاً وعدلاً، حيث وضعت هذه الأُطروحة منذ بداية التأريخ واعتبرت نهاية له؛ ولذلك نجد الأنبياء عليهم السلام كانوا يبشّرون بأُطروحته عليه السلام، ويبشّرون بذلك اليوم الذي تمتلئ فيه الأرض قسطاً وعدلاً، وتقوم فيه حكومة العدل الآلهي الكامل.

فأُطروحة الإمام الحسين عليه السلام يمكن أن تعتبر من هذا القبيل، ولذلك نجد أنّ الحديث عنه عليه السلام وارد على لسان الأنبياء السابقين، وعلى لسان نبيّنا صلى الله عليه وآله قبل حادثة كربلاء، وأُريد منها أن تبقى أُسوة وقدوة للأُمَّة الإسلامية، التي هي خير أُمّة أُخرجت للناس، وهي الأُمّة الخاتمة بعد افتراض انقضاء عهد النبوّات، وبالتالي فهذه الأُمّة تحتاج إلى طاقة محرّكة، وإلى أُطروحة ترسّخ دعائم الخط الأصيل للنبوّة الخاتمة، بحيث تبقى الأُمّة كما عبّر عنها القرآن الكريم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]، وتبقى محتفظة بأصالتها

وانتمائها الحقيقي لهذه النبوّة الخاتمة.

وكانت إحدى القضايا الأساسية المُهِمّة في تأريخ هذه الأُمّة هي قضية الحسين عليه السلام ، بل يمكن أن تعتبر أهم قضية أساسية تؤصّل هذه الأُمّة، وتجعلها مرتبطة بالنبوة الخاتمة.

وعندما نقول: إن قضية الحسين أُطروحة إلهية غيبية، لانقصد أنها خارجة عن مجرى التأريخ، وعن التأثير فيه، وبالتالي فهي خارجة عن قضية القدوة والأُسوة، بل على العكس أُريد من قضية الحسين عليه السلام أن تكون القدوة والأُسوة، ولكن وضعت - هذه القدوة والأُسوة - في موضع غيبي، بحيث يراد لها أن تؤثّر في مجرى التأريخ الإسلامي.

والأئمّة عليهم السلام وضعوا برنامجاً من أجل تحقيق الأهداف التي أُريدت للأُطروحة وهو ما نعبّر عنه: بالشعائر الحسينية، التي بقيت مستمرّة ومؤثّرة في التأريخ، وبالتالي حفظت للأُمّة أصالتها، وكان لها دور في مختلف مراحل تاريخ الأُمّة الإسلامية؛ ولذلك فهذه الشعائر ليست مجرّد أُسلوب من الأساليب التي يبتكرها المبتكرون، للوصول إلى نتائج معيّنة، كما هو الحال في مختلف أساليب العمل.

فقد دعا الإسلام إلى العمل والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[1]، وترك الأساليب لتحقيق هذه الحكمة إلى المخلصين من الناس، من أجل ابتكار هذا الأُسلوب أو ذاك، ولكن هناك بعض الأساليب وضعت وصممت من قبل أصحاب الشريعة، وهم أهل

(١) النحل: ١٢٥.

البيت عليهم السلام، ولذلك تكتسب هذه الأساليب صفة شرعية، وأهمّية شرعية.

ومن هذا القبيل: أُسلوب الدعوة إلى الله عن طريق طلب العلم وتشكيل الحوزات العلمية، وإيجاد المراكز الدينية كالمساجد مثلاً، فهذا الأُسلوب صمّم إسلامياً من قبل القرآن الكريم، ومن قبل النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، ولذلك يكتسب صفة شرعية ودينية، ويختلف عن أُسلوب يبتكره إنسان مؤمن مخلص، كأن يؤسّس جمعية أو حزباً أو فريقاً رياضياً أو داراً لنشر الكتب، وما أشبه ذلك من الأساليب التي يبتكرها المبتكرون، من أجل تحقيق الأهداف الكلية في الدعوة إلى الله تعالى، فهذه وان كانت أساليب محترمة، يثاب المؤمن على ممارستها، ولكن تبقى عبارة عن اجتهادات تتناسب مع مرحلة معيّنة أو ظرف معيّن.

أما عندما يكون الأُسلوب مصمّماً من قبل الشريعة، ومن قبل أهل البيت عليهم السلام فحينئذ يكتسب أهمية خاصة؛ لأنّ المضمون يكون إسلامياً، والأُسلوب يكون إسلامياً أيضاً، والشعائر الإسلامية من هذا القبيل، ولذلك نجد أنَ الكثير ممن يلتزم بهذه الشعائر، يلتزم بها باعتبارها عملاً دينياً شرعياً يتقرّب به إلى الله سبحانه وتعالى؛ لذا يجب أن نفهم الشعائر من هذا المنطلق، ولذلك نجد أنّ بعض الشعائر الحسينية تكتسب هذه الصفة الدينية، باعتبار أنَ الأئمّة عليهم السلام كانوا يمارسونها ويحثّون عليها، من قبيل الزيارة ومجلس التعزية، ولكن بعضها الآخر قد لا تكتسب هذه الصفة الدينية، باعتبارها شعائر مخترعة مثل: الخروج بالسيوف والعصي والمشاعل والنداء يا حسين، وما أشبه ذلك، فالتظاهر بهذا الشكل - يعني على شكل مظاهرة وهوسة - هو أُسلوب مخترع في مقام التعبير عن العواطف، وليس أُسلوباً وضعه الأئمّة عليهم السلام.

وعندما أقول: ليس أُسلوباً وضعه الأئمّة عليهم السلام لا أعني أنَ هذا العمل غير صحيح، فقد يجتهد الإنسان في بعض الأساليب وتكون صحيحة

ومعبّرة، ولكن يجب التفريق بين أُسلوب وضعه الأئمّة فيكون أُسلوباً أصيلاً، وله بُعد على مرّ التأريخ، ولا يختلف من زمان إلى زمان، ولا يرتبط بظرف دون آخر، وإنما يأخذ مساره في التأريخ في كل المراحل والأزمنة، وبين أسلوب مخترع جاء باجتهاد إنسان، قد يكون مناسباً لظرف معين دون آخر، أو مناسباً لمجتمع دون آخر، فالزيارة - مثلاً - التي هي من الأساليب التي وضعها الأئمة عليهم السلام يشترك فيها مراجع الإسلام وكبار العلماء، ويشترك فيها الطفل الصغير والمرأة البسيطة والشيخ الكبير، وكل الطبقات والمستويات وكل المجتمعات، وأما الأساليب المخترعة فقد تختلف من مجموعة إلى أُخرى، ومن مستوى إلى آخر.

أقسام الشعائر الحسينية

أكد ونصّ أهل البيت عليهم السلام على شعائر معنية[١]، وأمّا الشعائر الأُخرى، فربّما تعبر عن عواطف وأحاسيس نبيلة، لكن لا يمكن التعبّد والتقرب بها إلى الله؛ لأنه لم يرد فيها شيء من الشرع، وبالتالي إذا جاء الإنسان بواحدة منها بعنوان العبادة فيكون بدعة وكلّ بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[٢].

فلا يصح أن يتصرف الإنسان بالعبادة كيفما يشاء، كأن يصلي الظهر خمس ركعات، ويقول: لا بأس بزيادة ركعة ما دامت الصلاة محبوبة إلى الله تعالى، بل صلاته بهذا الشكل باطلة، وقد جاء ببدعة وارتكب إثماً

---

(١) وذلك من خلال قيامي بمراجعة الأخبار الواردة في الشعائر الحسينية في كتاب البحار الذي يجمع أغلب الأخبار الواردة في الكتب، الصحيح منها والسقيم. (**منه** رحمه الله).

(٢) أي: ان الحكم الاولي والاصلي لما عدى الشعائر الثلاثة هو عدم المشروعية، فاذا كانت مشمولة باحد عمومات او اطلاقات الشعائر فالحكم فيها يتبدل كما سيشير الى ذلك فيما بعد.

يستحق عليه العقاب.

وبذلك يمكن تقسيم الشعائر الحسينية من الناحية الواقعية بحسب الشكل والمضمون إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: الشعائر المنصوصة، وهي التي ورد فيها النص الثابت والصريح عن أهل البيت عليهم السلام على خصوصيتها وشكلها وطريقة أدائها، وهذه تتصف بالثبات بحسب الأداء، وهي ثلاث:

الشعيرة الأولى: البكاء

إن البكاء على الحسين عليه السلام بنفسه أمر مطلوب، فلو جلس الإنسان لوحده دون أن يعقد مجلساً وبكى على الحسين عليه السلام فهو بذلك قد صنع معروفاً وعَمِل صالحاً؛ لأنَّ البكاء في حدّ نفسه يُعد من الأعمال الصالحة التي يمكن التقرب به إلى الله عز وجل، شأنه في ذلك شأن بقية العبادات التي إذا مارسها الإنسان بينه وبين نفسه يكون له فيها ثواب وتربية وتكامل في حياته وفي حركته الشخصية.

وقد وردت في شعار البكاء، وجميع مظاهر التعبير عن الحزن والأسى والتظلّم المعقول، أحاديث كثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تذكر أهميته والآثار المترتبة عليه، وذلك لما فيه من التعبير عن التفاعل العاطفي والروحي مع مأساة الإمام الحسين عليه السلام.

كما وردت نصوص كثيرة عن قيام أئمة أهل البيت عليهم السلام بالبكاء على الحسين عليه السلام، خصوصاً وقد وضع أسس هذا الشعار ورفعه في مداه الواسع الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام.

فقد روى ابن قولويه: ((أشرف مولىً لعلي بن الحسين عليهما السلام، وهو في سقيفة له ساجد يبكي، فقال له: يا مولاي يا علي بن الحسين، أما آن لحزنك

أن ينقضي؟ فرفع رأسه إليه وقال: ويلك - أو ثكلتك أمك - والله لقد شكا يعقوب إلى ربه في أقل ما رأيت حتى قال: (يا أسَفا على يوسف) إنه فقد ابناً واحداً، وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبّحون حولي))(١).

فالإمام زين العابدين عليه السلام كان ساجداً ويبكي وهو ليس في حالة عبادة، فعلى ما يبدو أنه كان يبكي لمصيبة أبيه وأهل بيته، وقد تبيّن لمولاه من بكائه ذلك.

وروي أيضاً عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: ((بكى علي بن الحسين على أبيه الحسين بن علي عليهما السلام عشرين سنة - أو أربعين سنة - وما وضع بين يديه طعاما إلاّ بكى على الحسين حتى قال له مولىً له: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين! قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾. إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلاّ خنقتني العبرة لذلك))(٢).

ولا يمكن أن نحمل هذه الممارسة الواسعة والممتدة للإمام زين العابدين عليه السلام على أنها مجرد انفعال عاطفي بالمشاهد التي عاشها أيام محرم الحرام، بحيث لم يكن قادراً على ضبط أحاسيسه وعواطفه طيلة هذه الفترة من الزمن، وإنّما ينبئ هذا - بالإضافة إلى ذلك - عن تصميم وتخطيط محكم كان يمارسه الإمام زين العابدين عليه السلام، يعتمد على الحقيقة المأساوية التي عاشها شخصياً، ويؤكد عمقها وهولها لتبقى قضية تعيشها الأمة الإسلامية، وتتحرك على أساسها الجماعة الصالحة.

وقد أعطى أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد الإمام زين العابدين عليه السلام مدى

---

(١) كامل الزيارات: ٢١٣ :ح٢.

(٢) كامل الزيارات: ٢١٣ :ح١.

اعمق لهذا الشعار عندما طرحوه مصداقاً من مصاديق تعظيم شعائر الله، وأسلوبا للتعبير عن استنكار الظلم، والتفاعل الذاتي مع قضية كربلاء وأهدافها، ومنهجاً لتزكية النفس وتهذيبها، بحيث تحوّل إلى عبادة يمارسها الإنسان بطريقة فردية أو جماعية.

فقد ورد التأكيد عن أهل البيت عليهم السلام على أهمية البكاء أو التباكي على الحسين عليه السلام والثواب المترتب عليه، بحيث أصبح مصداقاً آخر من مصاديق البكاء المحبوب لله تعالى، يشبه البكاء من خشيته سبحانه وتعالى.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لفضيل: ((تجلسون وتحدّثون؟ قال: نعم جعلت فداك. قال: إن تلك المجالس اُحبّها فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا. يا فضيل، مَن ذكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر))[1].

وعن أبي هارون المكفوف قال: ((دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: أنشدني، فأنشدته فقال: لا، كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره، فأنشدته:

امرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية

قال: فلما بكى أمسكت أنا، فقال: مرّ ، فمررت، قال: ثم قال: زدني. قال: فأنشدته:

يا مريم نوحي على مولاك وعلى الحسين فأسعدي ببكاك

قال: فبكى وتهايج النساء. قال: فلما أن سكتن قال لي: يا أبا هارون من أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنّة، ثم جعل ينتقص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد فقال: من أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنة. ثم قال: من

---

(١) قرب الإسناد: ٣٦، ح١١٧.

ذكره فبكى فله الجنّة))[١].

ويبدو من مضمون الحديث أنّ مظلومية أهل البيت عليهم السلام كانت على درجة عالية جداً، وكانت خفية على الناس، لا يتحسسون بها، ولا يعرفون أهداف الأئمة عليهم السلام ومقدار الأذى والظلم الذي نزل بهم لحرصهم على رسالة جدهم وعلى مصالح الناس وتحقيق العدل بينهم.

فهذه المظلومية تجعل الإمام الصادق عليه السلام يؤكد على أنّ من يذكر الحسين عليه السلام بالمقدار الذي ذكرته الرواية فإنّ ثوابه الجنة .

فلسفة البكاء

إن للبكاء أهمية يمكن إدراكها من خلال ملاحظة الآثار المترتّبة عليه، وهي:

أولاً: إن البكاء له بُعد سياسي؛ لأنه طريقة فضلى إنسانية واجتماعية سليمة وهادئة لاستنكار الظلم والتعبير عن عمق المأساة والمظلومية التي تعرّض لها الإمام الحسين عليه السلام وأهدافه النبيلة.

وتظهر أهمية هذا الأسلوب في بُعده السياسي في ظروف المحنة والقمع والإرهاب، عندما تعجز بقية الأساليب عن التعبير عن ذلك.

وقد كان شيعة أهل البيت عليهم السلام يعيشون في مختلف الأدوار ظروفاً صعبة وقاسية، مما يجعل هذا الأسلوب أفضل الأساليب للتعبير عن موقفهم السياسي وبقائهم مشدودين إليه، وبهذا يمكن أن نفهم ـ وبشكل واضح ـ اهتمام الإمام زين العابدين عليه السلام بهذا الأسلوب بالذات، مضافا إلى الواقع النفسي الذي كان يعيشه بسبب حضوره في كربلاء.

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٧، ح٢٥.

وهذا يؤكد حقيقة مهمة في تخطيط أهل البيت عليهم السلام تجاه القضية السياسية، وهي: أنَّ الإنسان المؤمن لابد له أن يقرن إيمانه السياسي بالقضية بموقف عملي تجاهها مهما كانت الظروف، ولو كان هذا الموقف العملي هو أضعف الإيمان، ولا يصح له بأي حال من الأحوال أن يقف موقف اللامبالاة تجاه الفكر السياسي أو العقيدة السياسية.

وهذا ما تؤكده - أيضاً - الروايات التي وردت في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من وجوب إنكار المنكر ولو بالقلب إن لم تكن المرتبة الأعلى مقدورة أو كانت محظورة، ولذا عبّر عنها بـ(أضعف الإيمان)[1].

ثانياً: إن البكاء يجسد تفاعلاً ذاتياً أخلاقيا مع مأساة كربلاء، ولكن بالحد الأدنى من التفاعل، ويشد عواطف الإنسان المسلم بالقضية وأهدافها ورجالها، ويبعده وينفّره طبيعياً عن أعدائها وأخلاقهم ومقاصدهم.

وهذا البعد الأخلاقي في البكاء كان أحد الأسباب الطبيعية التي تمكّن أهل البيت عليهم السلام من خلالها أن يحفظوا في الجماعة الصالحة أخلاقية الانضمام والوقوف إلى جانب الحق والمواجهة للظلم، بالرغم من الضغوط التي كانوا يواجهونها سواء على المستوى الاجتماعي أم الفردي، وسواء على المستوى الخارجي، كالضغوط التي يمارسها الطغاة ضدهم، أم على المستوى الداخلي كضغوط الشهوات والرغبات، فمن القضايا التي تميّز بها أتباع أهل البيت عليهم السلام أنهم كانوا على مدى التأريخ يقفون إلى جانب الحق والمظلومين، ويتعرضون إلى ظلامات وآلام ومعاناة في سبيل ذلك.

ثالثاً: إن البكاء يمثل منهجاً في تزكية النفس وتطهيرها من الأدران، ويرفع

---

(١) روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: **((من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فمن لم يستطع فلينكره بلسانه فمن لم يستطع فلينكره بقلبه وذلك أضعف الإيمان))** روضة الجنان: ٣٠٠.

درجة الإحساس في الإنسان بآلام الإنسانية، والانحرافات الاجتماعية، والوعي لقضايا الظلم والعدل؛ ذلك لأنه يؤثر في رقّة القلب ويقظة الضمير ووعي الوجدان، حيث أنّ القضية الأخلاقية والوجدانية التي نعبّر عنها بالضمير والوجدان من أهم القضايا التي واجهت الحسين عليه السلام وأدّت بعد ذلك إلى الفاجعة والمصيبة، فقد واجه عليه السلام الغدر والخيانة، حتى من أحبائه وأتباعه، باستثناء النخبة الصالحة التي ثبتت معه واستشهدت.

فقد تواترت الكتب على الإمام الحسين عليه السلام حتى اجتمع عنده في نوب متفرقة اثنا عشر ألف كتاب تحثُّه على المجيء إلى الكوفة، وتعهّد فيها أصحابها بأنهم سيقاتلون ويجاهدون معه، وهكذا بالنسبة إلى الأعداد الغفيرة التي بايعت مسلم بن عقيل بيعة للحسين عليه السلام، فإنّ كل هؤلاء كانوا يحسّون بالآلام ويشعرون بالظلم والذل، ولذا تفاعلت قلوبهم مع ثورة الحسين عليه السلام، وأبدوا الاستعداد الكامل للقتال والدفاع دونه، ومما يؤكد تفاعل هذه الجماهير، هو تقييم الفرزدق لهم عند لقائه بالإمام الحسين عليه السلام في الطريق حيث سأله عن حال الكوفة، فأجابه: ((أما القلوب فمعك، وأما السيوف فمع بني أميّة..))[1].

فالحالة العامة للكوفة كانت بهذه الصورة، إلا أن أهلها غدروا به، وهذا الواقع يمثل جانباً أخلاقياً، فحالة البقاء على العهد والالتزام بالمواثيق والبيعة هي قضية أخلاقية تعيشها الأمة دائماً في حياتها، وتتصرف في كل حكم وفي كل واقع، فالجماهير إذا كانت على مستوى عال من الأخلاق فإنها ستلتزم بالعهود وتسير عليها، أما إذا كانت على مستوى دون ذلك من الناحية

---

(١) أنظر: نزهة الناظر وتنبيه الخاطر:٨٧.

الأخلاقية فالالتزامات لا تكون بالنسبة لها ذات أهمية، ومهما أعطت من عهود ووعود فهي مستعدة لنقضها.

وثمة قضية أخلاقية أُخرى كان يتصف بها أعداء الحسين عليه السلام، وهي: إنهم كانوا مستعدين لبيع دينهم بدنياهم، وبيع أنفسهم وضمائرهم ووجدانهم بالأموال، وأبرز شاهد على ذلك قضية عمر ابن سعد، باعتباره يمثل قيادة الجيش، فإذا كان رأس القوم بهذه الأخلاقية فكيف بمن بعده ودونه من الأشخاص.

وهكذا عبيد الله بن زياد الذي كانت بينه وبين يزيد بن معاوية خلافات داخلية كعائلة حاكمة، وكان يزيد يفكر بعزله عن إمرة البصرة فضلا عن إعطائه إمرة الكوفة[1] لكنه تحوّل في الأخير إلى كلب مطيع ليزيد، يصنع كل شيء كي يرضيه.

ومما يؤكد إحياء الجانب الوجداني في قضية كربلاء أنها احتوت على الكثير من الجرائم الأخلاقية، التي لم تستثنِ حتى الرضّع، فحادثة مقتل الطفل الرضيع ـ في الواقع ـ تمثل نهاية الخسّة والنذالة لإنسان يعتبر نفسه أحد الأبطال الكبار، أو الذين تبرعوا بأن يدوسوا صدر الحسين عليه السلام بخيولهم ويطحنوا أضلاعه، أو من سلبوا ثيابه، أو من صنعوا الأسلحة ليحصلوا على المادة.. وغيرها من الفجائع المرتبطة بالجانب الأخلاقي والوجداني والضميري.

فهذا الجانب المتردي المتسافل من الأخلاق أدى إلى هذه الدرجة من الصورة المخزية التي نسمعها عن قضية كربلاء.

إذن، فقضية الأخلاق التي تعتمد على الضمير والوجدان هي قضية أساسية ومركزية، ولذلك اهتم أهل البيت عليهم السلام بجانب إحياء الضمير

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٨ : ١٦٤.

وجعله متحسساً متفاعلا مع العاطفة والقضايا الفطرية الإنسانية.

والبكاء ليس عبارة عن عملية إرادية مثل الكلام والأكل والشرب التي يمكن أن يتحكم فيها الإنسان، وإنما هو تحسس وتعبير عن القضية بوجدانه وضميره، والتفاعل معها بنحو يستتبع نزول الدمع من عينيه؛ ولذا اراد أئمة أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم أن يكونوا ذوي ضمائر حية ويقظة تتفاعل مع هموم الإنسان ومشاكله.

فقضية الأخلاق والضمير والوجدان ليست قضية نتجاوز بها طرح أخلاقية الإسلام وأخلاقية الحسين عليه السلام في الوقوف إلى جانب المظلوم ومواجهة الظالم، وإنما نعتبرها قضية قد ورثناها من الحسين ومن علي ومن جميع أئمتنا الأطهار عليهم السلام الذين اهتموا بتربيتنا عليها، حتى تميزنا بها، بل إنّها تمثل أهم القضايا التي تؤثر في مسيرة الإنسان الذاتية؛ ولذا عالجها القرآن الكريم في مواطن كثيرة، وانتقد بشدة قسوة القلب، كما كان يمجّد رقة القلب وخشوعه.

ومن الآيات الواردة في ذم قسوة القلب ومدح رقته قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٣].

وقال تعالى متحدثاً عن اليهود: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرِهِمْ

---

(١) البقرة: ٧٤.

(٢) الحديد: ١٦.

(٣) محمد: ٢٤.

فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[٣].

ووهن القلب والختم عليه وغيرها من المفاهيم الذي يتحدث عنه القرآن الكريم، إنّما ينطلق من قسوة القلب. وفي مقابل ذلك طهارة القلب وخشوعه ووجله ولينه واطمئنانه. ولا شك أنَّ البكاء يمثل أفضل وسيلة لغسل درن القلب، وتهيئة الأرضية الصالحة فيه، للتفاعل والتأثر[٤].

ومن هنا جاء الحثّ الشديد من الشارع المقدّس على البكاء من خشية الله تعالى، وأصبحت العين الباكية من خشية الله، في صف العين التي تكف عن محارم الله أو تسهر في سبيل الله كما ورد في الحديث[٥].

---

(١) البقرة: ٨٨ .

(٢) الزمر: ٢٢.

(٣) الزمر: ٢٣.

(٤) ولذلك يجب أن نجهد أنفسنا في تعظيم هذه الشعيرة المحبوبة لله سبحانه وتعالى، ولأهل البيت عليهم السلام بالبكاء والتباكي، وكل ما يرتبط بها من مظاهر الحزن والأسى والجزع والتألم على فاجعة كربلاء؛ لأنَّ في ذلك ثواباً عظيماً قد لا يخطر ببال أحد، مضافا إلى أنَّه يبقي جانب الضمير يقظاً.

لكن مع الأسف نجد البعض عند إقامة الشعائر الحسينية ربما لا تخرج من عينه قطرة واحدة من الدمع، ويتصور أنه صنع شيئاً محبوباً، في حين أنَّ الروايات الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام تؤكد وبشكل واضح وصريح على البكاء أو التباكي على هذه الفاجعة الفريدة.**(منه دام ظله)**.

(٥)عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثة أعين: عين بكت من خشية الله، وعين باتت ساهرة في سبيل الله، وعين غضت عن محارم الله**)). ثواب الأعمال: ١٧٧.

وبهذا يكون للبكاء بُعد روحي ووجداني وسياسي وأخلاقي، ومضافاً إلى ذلك يمكن أن نتصور فيه بُعداً ثقافياً يرتبط بموضوع العدل والظلم، حيث إن دوافع البكاء التي تثير في الإنسان الإحساس العاطفي والوجداني لا شك أن لها تأثيراً في ثقافته وفهمه للحياة وتفاعله مع قضاياه، وعندما يتم التركيز على الإثارة تجاه المظلومية والتعرض للعدوان، ويتفاعل الإنسان معها فلا شك أنه سيكوّن تصوراً عن أسباب الظلم ورفضها، وعن مقاييس العدل والالتزام بها، حيث يتم شرح ذلك عادة وتفصيله في مثل هذه الإثارات.

الشعيرة الثانية: الزيارة

كانت زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأساس حضوراً إلى قبره عليه السلام، ثم أخذت بُعداً أوسع في تعظيم أهل البيت عليهم السلام، حيث أصبحت مطلوبة في مختلف الأوقات، ولو من مكان بعيد، ثم أصبحت منطلقاً لزيارة مشاهد قبور الأئمة الأطهار جميعاً والصالحين من أولادهم وأتباعهم.

وأول من قصد قبر الإمام الحسين عليه السلام هو الإمام زين العابدين عليه السلام في يوم الأربعين من شهادته، عند رجوعه من الشام في طريقه إلى المدينة المنورة، ثم ندب أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد ذلك إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام، ونصّت بعض الروايات على أنها فريضة على من يؤمن بإمامته من شيعة أهل البيت عليهم السلام.

كما تحدثت - أيضاً - النصوص الصحيحة الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام عن الثواب والأجر العظيم الذي يترتب على هذا العمل العبادي الشريف وأفضليته على العمرة والحج المندوبين. وهناك نصّ للإمام الصادق عليه السلام كان يقوله في دعائه عندما يسجد ويشكر الله، وهو دعائه لزوار قبر الحسين عليه السلام،

وهو نص مؤثّر جداً يهز الإنسان هزّاً[١].

كما روى الشيخ الطوسي رحمه الله في المصباح زيارة أخرى غير الزيارة المعروفة في يوم عاشوراء، ورواها بطريق معتبر صاحب المزار الكبير[٢].

---

(١) عن معاوية بن وهب قال: استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام فقيل لي: ((أدخل فدخلت فوجدته في مصلاه في بيته فجلست حتى قضى صلاته فسمعته وهو يناجي ربه ويقول: يا من خصنا بالكرامة، وخصنا بالوصية، ووعدنا الشفاعة، وأعطانا علم ما مضى وما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني ولزوار قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم رغبة في برنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسرورا أدخلوه على نبيك صلواتك عليه وآله، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظا أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضاك، فكافهم عنا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذي خلفوا بأحسن الخلف، وأصحبهم واكفهم شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك أو شديد، وشر شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل من أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم. اللهم إن أعدائنا عابوا عليهم خروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا وخلافا منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي قد غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة أبي عبد الله عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا. اللهم إني أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان، حتى نوافيهم على الحوض يوم العطش" فما زال وهو ساجد يدعو بهذا الدعاء، فلما انصرف قلت: جعلت فداك لو أن هذا الذي سمعت منك كان لمن لا يعرف الله لظننت أن النار لا تطعم منه شيئا، والله لقد تمنيت أن كنت زرته ولم أحج، فقال لي: ما أقربك منه فما الذي يمنعك من إتيانه، ثم قال: يا معاوية لم تدع ذلك؟ قلت: جعلت فداك لم أدر أن الأمر يبلغ هذا كله. قال: يا معاوية من يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض)). الكافي٤ : ٥٨٢ ، ح١١.

(٢) مصباح المتهجد: ٧٨٢-٧٨٣ ، المزار: ٤٧٣ -٤٧٤.

أبعاد شعار الزيارة

إن المتأمل في كتب الحديث يجد وبوضوح أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام بالرغم من نهج التقيّة الذي إلتزموا به، وحرصهم الشديد عليهم السلام في المحافظة على شيعتهم وتجنيبهم مختلف المخاطر والآلام أكدوا - وبشكل ملفت - على شيعتهم ضرورة ممارسة شعار الزيارة رغم المخاطر التي كانت تحفّ بالزائرين.

فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليهما السلام، فإنّ زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع، وزيارته مفترضة على من أقر للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عزّ وجلّ))[1].

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: ((لو أن أحدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن علي عليهما السلام لكان تاركا حقا من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله، لان حق الحسين عليه السلام فريضة من الله واجبة على كل مسلم))[2].

والمهم في الروايتين الذيل، حيث جعلتها من حقوق الباري عزّ وجلّ وحقوق النبي صلى الله عليه وآله، وبالتالي فالتارك لها يكون قد ترك حقاً من حقوق الله.

ثم أنّهم عليهم السلام علموا شيعتهم كيفيات متعددة لأداء هذه الشعيرة العظيمة، وهذا يدل على اهتمام الأئمة عليهم السلام بالحفاظ عليها، وأدائها وعدم تركها بأي حال، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لسدير: ((يا سدير وما عليك أن تزور قبر الحسين عليه السلام في كل جمعة خمس مرات وفي كل يوم مرة، قلت: جعلت فداك إنّ بيننا وبينه فراسخ كثيرة، فقال: تصعد فوق سطحك ثم تلتفت يمنة ويسرة، ثم ترفع رأسك إلى السماء ، ثم تتحرى نحو

---

(١) من لا يحضره الفقيه٢ :٥٨٢ .

(٢) كامل الزيارات: ٢٣٨.

قبر الحسين عليه السلام، ثم تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك ورحمة الله وبركاته. يكتب لك زورة، والزورة حجة وعمرة))[١].

وفي رواية أخرى قال عليه السلام له: ((يا سدير تكثر من زيارة قبر أبي عبد الله الحسين، قلت: انه من الشغل، فقال: ألا أعلمك شيئا إذا أنت فعلته كتب الله لك بذلك الزيارة، فقلت: بلى جعلت فداك، فقال لي: اغتسل في منزلك، واصعد إلى سطح دارك، واشر إليه بالسلام، يكتب لك بذلك الزيارة))[٢].

إذن، من لم يتمكن من زيارة الحسين عليه السلام عن قرب وعند قبره - لأي سبب كان - والتي هي أفضل أنواع الزيارة، يمكنه أن يزوره من بُعد.

وعن محمد بن مروان قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: ((زوروا الحسين عليه السلام ولو كل سنة، فان كل من أتاه عارفا بحقه غير جاحد لم يكن له عوض غير الجنة، ورزق رزقا واسعا، وأتاه الله بفرج عاجل، إن الله وكّل بقبر الحسين بن علي عليه السلام أربعة آلاف ملك كلهم يبكونه ويشيعون من زاره إلى أهله، فان مرض عادوه، وان مات شهدوا جنازته بالاستغفار له والترحم عليه))[٣].

وهكذا وردت روايات كثيرة تؤكد هذا المضمون، وعدتّها من أفضل الأعمال[٤]، ومن علامات المؤمن[١]، بل في بعضها ساوتها مع زيارة النبي[٢]،

---

(١) كامل الزيارات : ٤٨٠.

(٢) كامل الزيارات: ٤٨٢.

(٣) كامل الزيارات: ١٧٥.

(٤) كامل الزيارات: ٧٧ .

مضافا إلى استحبابها في أزمنة متعددة وكثيرة، كليالي القدر، والعيدين، ويوم عرفة، وأول رجب، والنصف من شعبان وغيرها كثير[٣]، والسر في ذلك يعلم من خلال الأبعاد التالية:

الأول: إنّ زيارته عليه السلام تعبر عن ارتباط الزائر به، وحبه لأهل البيت عليهم السلام، وولائه لهم، وعقد العهد والميثاق معهم، وهو من الواجبات الشرعية التي فرضها الله تعالى على المسلمين، حيث قال جل شأنه: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٤].

وقد أكدت أغلب كتب التفسير، وكثير من مصادر الحديث والسيرة والتأريخ نزولها في قربى النبي صلى الله عليه وآله: علي، والزهراء، والحسن، والحسين، وذريتهم الطاهرين عليهم السلام.

روى الطبرسي وغيره في تفسير هذه الآية بالإسناد إلى ابن عباس، قال: ((لما نزلت هذه الآية ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله ، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة وولداهما))[٥].

---

(١) انظر: تهذيب الأحكام٦ : ٥٣ ، إقبال الأعمال٣ : ١٠٠ ، روضة الواعظين ١٩٥.

(٢) كامل الزيارات: ٢٨٣ .

(٣) فمن الضروري جداً لكل المؤمنين أن يهتموا بهذا الأمر، في ليالي الجمعة وفي المناسبات، التي تكون زيارة الإمام الحسين عليه السلام فيها أحد الأمور الأساسية التي لابدّ من الاهتمام بها، ولا ينبغي تركها بأي حال من الأحوال. **(منه دام ظله)**.

(٤) الشورى: ٢٣.

(٥) انظر: مجمع البيان٩ : ٤٨ ، الدر المنثور٦ : ٧ ، شواهد التنزيل ٢ : ١٩١ ، ذخائر العقبى٢٥ ، مجمع الزوائد٧ : ١٠٣ ، المعجم الكبير٣ : ٤٧ ، ينابيع المودة ٢ : ١٢٠.

فالله سبحانه وتعالى فرض على عباده أن يُحبّوا أهل البيت عليهم السلام ويوادّوهم ويلتزموا بولائهم.

ومن الواضح أنّ الزيارة تعبر عن الولاء والمودة لأهل البيت عليهم السلام، ولذلك وردت بعض الروايات تقول: إنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام من الواجبات الشرعية في الجملة، بمعنى أنّ الإنسان يجب أن يزور الإمام الحسين عليه السلام ولو لمرة واحدة إذا تمكن من ذلك، من أجل أن يعبر عن ولائه وحبه للعترة الطاهرة.

الثاني: إنّ هذا الشعار يعبر عن مجموعة الأبعاد التي تعبر عنها شعائر الحج في النظرية الإسلامية، ولكن في إطار خاص وهدف محدود وهو: تربية الجماعة الصالحة والخط الأصيل المتمثل بأتباع أهل البيت عليهم السلام على مضمون نهضة الحسين عليه السلام، ويتم ذلك على مستوى الولاء لهذا المحور

وقد استدل الفخر الرازي في تفسيره على ذلك بثلاثة وجوه، فبعد أن روى الحديث عن الزمخشري قال: ((فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي (صلى الله عليه وسلم)، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد من التعظيم، ويدل عليه وجوه:
الأول: قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾.

الثاني: لا شك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) يحب فاطمة عليها السلام، قال (صلى الله عليه وسلم): ((فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما يؤذيها)) وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يحب عليا والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله، لقوله تعالى: (واتبعوه لعلكم تهتدون)، ولقوله: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره).
ولقوله: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)، ولقوله سبحانه (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة).

الثالث: أن الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب)) تفسير الرازي ٢٧ : ١٦٦.

الإسلامي، وهو الحسين والتلبية لندائه، باعتباره داعياً إلى الله ((لبيك داعي الله، إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك ولساني عند استنصارك فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري، سبحان ربّنا إن كان وعد ربّنا لمفعولا))[1]؛ أو على المستوى الثقافي لهذه الشعائر، أو السياسي وحتى الاقتصادي لها.

الثالث: إنّ الزيارة هي تعبير عن عزة وكرامة المؤمنين من خلال اجتماعهم فيها، وتعبير عن التوادّ والتراحم والتواصل بينهم من خلال توحّد موقفهم.

إذن، فهي مظهر من مظاهر العزة والكرامة والشرف والإباء للجماعة، فكما دعا الإسلام أن يكون الإنسان عزيزاً في نفسه، دعاه أيضاً أن يكون عزيزاً في جماعته، وأن يجعلها موحّدة كريمة قوية منيعة، يشدُّ بعضها بعضاً

فكما نجد ذلك في موضوع حج بيت الله الحرام الذي فرضه الإسلام على المسلمين، ليبرزوا وحدتهم وقوتهم وكرامتهم وعظم جماعتهم، كذلك ينبغي على المؤمنين أن يهتموا بزيارة الإمام الحسين عليه السلام ليظهروا عزّتهم وكرامتهم وارتباطهم بالحسين عليه السلام.

الرابع: ربط حركة الكتلة والخط الإسلامي الأصيل بهذا المحور الإسلامي ومواقفه الشرعية، فإنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام - باعتبار اختلاف ظروفهم، ومن ثم اختلاف مواقفهم السياسية المرحلية - كانوا دائماً بحاجة إلى أن يؤكدوا خطاً ثابتاً في مسيرتهم، وموقفاً واضحاً في مذهبهم، وهو خط الرفض للطغيان والظلم الذي أعلنه الإمام الحسين عليه السلام، وتحدّث عنه في

(١) ثواب الأعمال٣ : ٣٤٢.

أول خطبة ألقاها على أهل الكوفة: ((أيها الناس إنّ رسول الله ﷺ قال: مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله ﷺ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود..))[1].

وقد اهتم أئمة أهل البيت عليهم السلام بترسيخ هذا الخط الثابت في موقفهم ترسيخاً واضحاً لا لبس فيه من خلال التركيز على محور زيارة الحسين عليه السلام، وتجديد البيعة له وتلبية ندائه.

الخامس: تثقيف الجماعة الصالحة على الالتزام بالمفاهيم العقائدية والأخلاقية والسياسية التي تضمنتها نصوص الزيارات التي وردت في الحسين عليه السلام في الأيام المخصوصة المختلفة، حيث كانت الزيارة تكريساً لموسم خاص للتعبير عن هذا الالتزام تجاه هذه المفاهيم ذات الأبعاد المتعددة، الأمر الذي أوجد خطاً ثقافياً واعياً وثابتاً في وسط هذه الجماعة الصالحة.

السادس: التعبير السياسي والاجتماعي عن وجود الجماعة الصالحة من ناحية، وفتح الأبواب أمام بقية المسلمين للالتحاق بحركة هذه الجماعة من ناحية أخرى، وذلك من خلال الارتباط بحركة الإمام الحسين عليه السلام التي أصبحت حركة معترفاً بها من جميع أوساط المسلمين.

ولعل هذه الحقيقة تفسّر ظاهرة بارزة في تأريخ ووجود هذه الزيارة، وهي: الممارسات القمعية العدوانية التي كانت ترتكبها السلطات الجائرة والطغاة المجرمون بحق أبناء المسلمين الذين كانوا يتوافدون على زيارة المرقد

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٤.

الشريف للإمام الحسين عليه السلام، حيث كان يتعرض هؤلاء الزوّار إلى القتل، أو التنكيل بقطع الأيدي، والمطاردة في بعض الأدوار، أو يتعرض القبر إلى الهدم المتعمد، كما حصل في زمن المتوكل العباسي[١]، أو الوهابيين عندما هجموا على العراق في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، أو حكومة العفالقة في العراق في العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري[٢].

الشعيرة الثالثة: المجلس الحسيني

المجالس الحسينية هي الاجتماعات التي يعقدها أتباع أهل البيت، سواء في أيّام المصيبة العظمى من شهر محرّم وصفر، أم في الأيام الأخرى من العام، والتي يتداولون فيها حوادث مأساة كربلاء وأهدافها وآثارها، وغيرها من القضايا الدينيّة مع إظهار الحزن والبكاء والتألم والتأثر.

وقد جاءت في البداية تعبيراً عن الحزن العميق لمصاب الإمام الحسين عليه السلام وتجسيداً لعظم المصيبة التي نزلت به وبأهل بيته، والأبعاد المأساوية التي اشتملت عليها حادثة كربلاء، وكذلك الوحشية التي اتّسمت بها الطغمة الأموية، وبالخصوص الطاغية يزيد، والتي كشفت عن عمق الحقد والعداء الذي تكنّه هذه العصابة المجرمة ضدّ الإسلام ورسوله وأهل بيته الكرام[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء١٢ : ٣٥.

(٢) إن البحث في المداليل السياسيّة والأخلاقية والاجتماعية والروحية لهذا الشعار العظيم يحتاج إلى حديث طويل، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار الجانب التأريخي، وردود الفعل من السلطة الغاشمة تجاه هذا الشعار في مختلف الأدوار. **(منه ﷺ)**.

(٣) ومن الأمور التي تكشف حقد هذا الطاغية - يزيد - على أهل بيت النبوة، انه خرج لتلقي الأطفال والنساء من ذرية علي والحسن والحسين فعندما دخل موكب السبايا والرؤوس محملة على الرماح، قال متشفياً:

←

ثمّ تطورت هذه الشعيرة الحسينيّة إلى مدرسة سيّارة لأتباع أهل البيت عليهم السلام تلبّي جميع الحاجات الثقافية والسياسية والعاطفية والاجتماعية لهذه الجماعة الصالحة، وتتمكّن من التحرّك في وسطها في مختلف الظروف.

وقد بدأت هذه المجالس منذ الأيام الأولى للمأساة في مدينة الشام، عندما بدأ يزيد بالتراجع أمام بدايات الوعي الجماهيري لأبعاد المصيبة، من خلال التوعية الشاملة التي قامت بها العقيلة زينب الكبرى، والإمام زين العابدين عليه السلام عند ورود موكب السبايا إلى الشام، وحضورهم في مجلس يزيد بن معاوية، حيث تشير بعض الروايات إلى أنّ الإمام زين العابدين عقد مجلساً تأبينيّاً في الشام لمدّة ثلاثة أيّام[1].

كما أقام أهل البيت عليهم السلام وبعض زوجات النبيّ صلى الله عليه وآله كأمّ سلمة مجالس العزاء في المدينة المنوّرة عند رجوع عيالات الإمام الحسين، ومعهم الإمام زين العابدين إلى المدينة.

وبقي أهل البيت عليهم السلام يعقدون المجالس كلّما أتيحت لهم الفرصة، وخصوصاً في أيّام عاشوراء، ويحثّون شيعتهم ومواليهم على عقدها. وقد تقدّمت الإشارة إلى بعض النصوص التي تتحدث عن هذه الممارسة لأهل البيت عليهم السلام، حيث توجد روايات كثيرة تعبر عن أهمية هذه المجالس وخصوصياتها: منها: ما رواه العلامة المجلسي في البحار قال:حكى دعبل الخزاعي قال: ((دخلت على سيدي ومولاي

لما بدت تلك الحمول وأشـــرقت ❊ تلك الرؤوس على ربا جيـــرون

نعب الغراب فقلت: قل أو لا تقل ❊ فقد اقتضيت من الرسول ديوني

يعني بذلك أنه قتل الحسين بمن قتله رسول الله يوم بدر، مثل عتبه جده. والذي يقول مثل هذا لا يشك في كفره. انظر: جواهر المطالب٢ : ٣٠١.

(١) جلاء العيون٢ : ٢٦٤.

علي بن موسى الرضا عليه السلام في مثل هذه الأيام ـ أيام محرم ـ فرأيته جالسا جلسة الحزين الكئيب ، وأصحابه من حوله ، فلما رآني مقبلا قال لي: مرحبا بك يا دعبل، مرحبا بناصرنا بيده ولسانه، ثم إنه وسع لي في مجلسه وأجلسني إلى جانبه ، ثم قال لي: يا دعبل أحب أن تنشدني شعرا، فإنّ هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت ، وأيام سرور كانت على أعدائنا خصوصا بني أمية.

يا دعبل مَن بكى وأبكى على مصابنا ولو واحدا كان أجره على الله، يا دعبل مَن ذرفت عيناه على مصابنا وبكى لما أصابنا من أعدائنا حشره الله معنا في زمرتنا، يا دعبل من بكى على مصاب جدي الحسين غفر الله له ذنوبه البتة، ثم إنه عليه السلام نهض، وضرب سترا بيننا وبين حرمه، وأجلس أهل بيته من وراء الستر ليبكوا على مصاب جدهم الحسين عليه السلام ، ثم التفت إلي وقال لي: يا دعبل ارث الحسين، فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حيا، فلا تقصر عن نصرنا ما استطعت، قال دعبل: فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشأت أقول:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلا ❊ وقد مات عطشانا بشط فرات
إذن، للطمت الخد فاطم عنده ❊ وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي ❊ نجوم سماوات بأرض فلاة
قبور بكوفان وأخرى بطيبة ❊ وأخرى بفخ نالها صلواتي
قبور ببطن النهر من جنب كربلا ❊ معرسهم فيها بشط فرات
توافوا عطاشا بالعراء فليتني ❊ توفيت فيهم قبل حين وفاتي[1]

ومنها: ما رواه ابن قولويه عن أبي هارون المكفوف، قال: ((دخلت على

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٥٧، ح١٥.

أبي عبد الله الصادقعليه السلام - وكان أبو هارون المكفوف ممن يقرأون الشعر في التعزية على الحسينعليه السلام - فقال لي: يا أبا هارون أنشدني في الحسين. فأنشدته، فلم يكتف بهذا القدر، وقال: أنشدني كما تنشدون بالرقة.

أي: أنّ الإمام لم يكتف بالإنشاد العادي، بل طلب منه أن يكون الإنشاد مع الطور الدقيق الحزين.

قال: فأنشدته القصيدة المعروفة.

أمــرر علــى جــدث الحــسين وقــل لأعظمــه الزكيــة

حتى بكى. ثم قال: زدني. فأنشدته القصيدة الأُخرى.

قال: فبكى، وسمعت البكاء من وراء الستر))[1].

فالإمام الصادق والإمام الرضا عليهما السلام قد أقاما المجلس لهذا البكاء، وهذا يعطينا درساً في إشراك كافة طبقات المجتمع من الرجال والنساء والأطفال في التعزية الحسينية، كما أشرك الإمام الصادقعليه السلام نساءه وأهل بيته فيها، وتُعد هذه سنة من سنن الأئمة عليهم السلام[2].

أبعاد المجالس الحسينية

الحديث عن المجالس الحسينية من حيث تأريخها، وأبعادها، وآثارها، وفلسفتها واسع وطويل، ولكن نشير هنا إجمالاً إلى بعض أبعاد المجالس الحسينية:

---

(١) كامل الزيارات: ٢٠٨، ح ٢٩٧.

(٢) إن هذا الموضوع من الموضوعات المهمة جداً، فيجب أن نربي نساءنا وأطفالنا على سماع الموعظة، وسماع ما يتعلق بأمر الحسينعليه السلام وثورة الحسين عن كثب، وإلاّ سنخسر خسارة كبيرة. (**منه** رحمه الله).

البعد الأول: المحافظة على حدث عاشوراء الذي يمثّل أطروحة آلهيّة لتوعية الأمة الإسلامية لحفظ الرسالة الخاتمة من الضياع، أو التشويه والتحريف.

حيث حاولت السلطة الغاشمة منذ البداية طمس وتضييع الحقيقة، حين طرحت واقعة كربلاء على أنها عملية خروج على السلطة الشرعية، وأطلقت على أصحابها اسم (الخوارج)، وعلى أنّها شق لعصا المسلمين ووحدتهم، وحاولت أن تغطّي على شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام وأهدافه وخلفية نهضته وأسبابها والظروف المحيطة بها، ولكن التخطيط الواعي لأهل البيت عليهم السلام من خلال المجالس الحسينيّة تمكّنوا من حفظ معالم هذه الثورة في التأريخ الإسلامي، وفي حياة المسلمين بجميع تفاصيلها وخصوصياتها[1].

البعد الثاني: إبقاء الحدث حيّاً وفاعلاً ومؤثّراً في عدد من الجوانب المهمة في الحياة الإسلامية عامة، وفي أوساط الجماعة الصالحة خاصة، والجوانب هي:

١. الجانب الوجداني لضمير الإنسان المسلم، لانّ أحد الأهداف الرئيسيّة للثورة الحسينية هو هزّ الضمير وإحياؤه وتحريكه عندما يتعرّض إلى الموت أو الخدر الحضاري، أو يقع تحت تأثير الضغوط النفسيّة أو أساليب الإرهاب، بحيث ينتهي بالإنسان إلى فقدان الإرادة مع إدراكه للحقيقة، كما تقدم ذلك مفصلاً.

---

(١) من الطبيعي أن نجد اختلافاً في بعض التفاصيل، كما أننا لا نتبنّى كلّ ما ورد في قضيّة الحسين عليه السلام من تفاصيل. وإنّما نقصد من التفاصيل والخصوصيات المعالم الأساسية في هذه الثورة واتجاهاتها وتخطيطها ومبرّراتها وخلفياتها ومآسيها. وإن كانت التفاصيل قد تتفاوت في التعبير عن ذلك. (**منه قدس سره**).

وبهذا أصبحت هذه المأساة عاملاً محرّكاً ليس للجيل المعاصر لها فحسب، بل على مستوى الوجدان والضمير والإحساس على مرّ العصور والأجيال.

وقد كان للصور الرائعة التي قدّمها أهل البيت عليهم السلام في تجسيد المأساة، والتي ساهم في رسمها والتعبير عنها شعراء هذه المدرسة في ملاحمهم على مختلف العصور، دور رائد في هذا المجال.

وبهذا يمكن أن نفهم معنى الروايات التي وردت في الحث على قول الشعر وإنشاده في مصيبة الأمام الحسين عليه السلام خصوصاً، وكذلك يمكن أن نفهم هذا الحجم الضخم من الشعر في الأمام الحسين عليه السلام الذي لا يكاد يوجد له نظير في الأدب الإنساني.

٢. جانب الوعي السياسي للأحداث التي تمرّ بالأمة، خصوصاً في إطار الجماعة الصالحة التي تميّزت من بين جميع المذاهب الإسلامية بهذا الوعي العميق والأصيل للأحداث السياسية، وإلتزمت جانب المبادئ الإسلامية والأخلاق الثوريّة.

٣. جانب الرؤية الإسلامية الصحيحة للحكم الإسلامي ومقوّماته، والقدرة على التمييز بين الصحيح والخطأ في ممارسات هذا الحكم أو ذاك، مع القدرة على تمييز الخطوط الخضراء والحمراء التي يصحّ السكوت عنها رعاية للمصلحة الإسلامية، أو التي تشكّل تهديداً للإسلام، بحيث تفرض الثورة والتصدّي.

البعد الثالث: المحافظة على العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين أفراد الجماعة الصالحة، ومن يتفاعل معها من المسلمين، ولكن ضمن الإطار الصحيح لهذه العلاقات المتمثّل بالأهداف والأخلاق الحسينيّة.

لقد أصبحت المجالس الحسينيّة مجالاً لتأكيد هذه العلاقات، وتمتين أواصر

المحبّة والصلة بين أفراد الجماعة، وفرصة للتعبير عن روح التعاون والأخوة، مضافاً إلى أنها ـ المجالس ـ أضحت في الوقت نفسه فرصة للأنفاق والبذل والعطاء ورعاية الضعفاء والفقراء والتعرّف على أوضاعهم، حيث يشارك ويساهم في هذه المجالس أكبر مساحة من الجمهور المسلم وبمختلف مستوياته الاجتماعية والدينيّة.

وقد حفظ هذا البعد في التخطيط وحدة الجماعة الصالحة في حركتها الاجتماعيّة والإنسانية في مسيرة التأريخ بالرغم من المصاعب والمحن والآلام.

البعد الرابع: نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة التي كانت تواجه في بعض الأدوار التأريخية محاولات الحظر والإرهاب الفكري والجسدي، أو تواجه مشكلات عدم توافر الوسائل والإمكانيات البشرية أو المادية لنشر هذه الثقافة.

فقد كانت ثقافة مدرسة أهل البيت عليهم السلام بمختلف أبعادها العقائديّة والأخلاقية والسلوكية والتأريخية ذات ميّزات وخصائص ترتبط بالخصائص التي يتميَز بها الخط الأصيل للإسلام الذي انتهجه أهل البيت عليهم السلام.

ولم تكن الفرصة مهيأة - بل كانت في بعض الأحيان محظورة - لنشر هذه الثقافة، كما أنّ المؤسسات الدينية، كالمدارس والمساجد والمراكز الثقافية الأخرى لم تكن متميّزة أو متوافرة، الأمر الذي كان يهدّد هذه الجماعة الصالحة بالذوبان أو الضياع أو الجهل والتعصّب الأعمى، فكانت المجالس الحسينيّة المدرسة الثقافية المتحركة التي تلبّي هذه الحاجات المختلفة.

فقد روى الكليني بطريق معتبر عن ميسر عن أبي جعفر عليه السلام انه: ((قال لي: أتخلون وتتحدثون وتقولون ما شئتم؟ فقلت: إي والله إنا لنخلو

ونتحدث ونقول ما شئنا. فقال: أما والله لوددت أني معكم في بعض تلك المواطن، وأما والله إني لأحب ريحكم وأرواحكم، وأنكم على دين الله ودين ملائكته فأعينوا بورع واجتهاد))[1].

أهمية المجلس الحسيني

يعتبر المجلس الحسيني من أهم وأفضل الأعمال التي يتقرب بها الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى، كما يفهم ذلك من روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ففي بعض الروايات أنّ هذه الاجتماعات محبوبة لدى أهل البيت عليهم السلام بدرجة قد تكون قريبة من الوجوب بالنسبة إلى شيعتهم وأتباعهم، ومن هنا فلو أردنا تصنيف الشعائر الحسينية التي يتقرب بها الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى، والتي يتم التعبير بواسطتها عن الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، لوجدنا أنَّ الاجتماعات والمجالس تأتي في مقدمة هذه الشعائر الحسينية، باعتبار ما يُتداول فيها من ذكر أهل البيت عليهم السلام من ناحية، وذكر الإسلام والمفاهيم والعقائد الإسلامية من ناحية أُخرى، كما ويعبر فيها المؤمنون عن ولاء وارتباط بعضهم بالبعض الآخر كجماعة مؤمنة وصالحة، لديها أهدافها الواضحة المشخصة من قبل أهل البيت عليهم السلام.

ومن هنا يمكن فهم قول الإمام الصادق عليه السلام لخيثمة: ((يا خيثمة أبلغ موالينا منا السلام، وقل لهم إني أوصيهم بتقوى الله ، وأن يعين غنيهم فقيرهم، وقويهم ضعيفهم، وحليمهم جاهلهم، وأن يشهد حيهم جنازة ميتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإنّ لقاء بعضهم بعضا حياة لأمرنا، فرحم

---

(١) الكافي٢: ١٨٧، ح٥.

الله من أحيا أمرنا أهل البيت))[١].

وربما يتصور البعض أنّ الشعائر الحسينية هي مجرّد تعبير عن العواطف والأحاسيس النبيلة، التي يشعر بها الإنسان المؤمن الموالي لأهل البيت عليهم السلام، ويعبّر بها عن ولائه وحبّه لهم عليهم السلام، ويقف عند هذا الحدّ.

وهذا الشيء وإن كان محبوباً ومطلوباً ويثاب عليه الإنسان، لكنه ليس هو الهدف الذي استهدفه أهل البيت عليهم السلام من إيجاد هذه الشعائر، وإنما هناك أهداف أسمى وأعظم وأكثر قبولاً من وراء هذه الشعائر والأحاسيس والمشاعر، تمثل الطاقة المحركة للإنسان باتجاه تلك الأهداف النبيلة التي وضعها أهل البيت عليهم السلام.

وهذه الأهداف يمكن أن نخصّها بأهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام، حيث جعل أهل البيت عليهم السلام الإمام الحسين عليه السلام محوراً لهذه المجالس والشعائر والزيارات والبكاء والعواطف والأحاسيس.

وهذا التمحور حول الإمام الحسين عليه السلام دون بقية الأئمة من قبل أهل البيت عليهم السلام، إنما يعني إلفات نظر شيعتهم ومحبيهم ومواليهم إلى أهداف الثورة الحسينية ومضمونها وأخلاقها وعقائدها ومواقفها وسياساتها، إلى غير ذلك من التفاصيل التي تشتمل عليها ثورة الإمام الحسين عليه السلام، والتي يمكن أن نصل إليها من خلال هذه الاجتماعات، عندما يتحدث المتحدثون، ويستمع المستمعون، ويتداولون مجمل المضامين والمفاهيم الإسلامية، بحيث تخرج هذه الجماعة - من خلال مسيرة شعائر الحسين عليه السلام - بنتائج تربوية وثقافية وروحية تجعل منها جماعة صالحة، وقدوة للمسلمين وللبشرية

---

(١) الدعوات: ٢٢٥.

بشكل عام، كما أراد أهل البيت عليهم السلام.

وينبغي أن نفهم ـ أيضا ـ أن إقامة المجالس الحسينية فيه إحياء لأمر أهل البيت عليهم السلام كما ورد في بعض الروايات، وأنّهم ترحّموا على من يحيي أمرهم، ومن المعلوم أنّ أمر أهل البيت هو: إحياء الإسلام وترسيخ دعائمه، وحثّ الناس على التقوى والورع والالتزام بالشريعة الإسلامية، وتعلُّم علومهم، ومواجهة الظالمين، ومقاومة الظلم والطغيان، وغير ذلك من المفاهيم التي أعلنها الحسين عليه السلام في حركته، وهي واضحة من خلال تحرّكه، ومن خلال تأكيدات الأئمّة عليهم السلام، ويتضح هذا المعنى من الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: ((سمعت أبا الحسن على بن موسى الرضا عليهما السلام يقول: رحم الله عبداً أحيى أمرنا، فقلت له: وكيف يحيى أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا))[١].

ولا يخطر ببال أحد أنّ التضحية الجسيمة التي قدّمها الحسين عليه السلام بنفسه وبأطفاله وأصحابه وعيالاته، هو من أجل أن نبكي ونلطم عليه فقط. والروايات الكثيرة الواردة عن الأئمة عليهم السلام في الحث على البكاء لقتل الحسين عليه السلام واستحبابه وبكائهم عليه، ليس من أجل البكاء فقط، بل من أجل أن يبيّنوا مظلومية هذا الإنسان العظيم الذي رفع راية الإسلام، وأراد تطبيّق أحكامه.

فالأئمة عليهم السلام كانوا يبكون من أجل إحياء أمر الحسين عليه السلام، ومن أجل تنبيه الناس إلى طغيان بني أُميّة وظلمهم وجرائمهم، وابتعادهم عن الإسلام

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ٢٧٥.

وشعائره[١].

إذن، يجب الالتفات إلى نقطة مهمة تخص الشعائر الحسينية وهي: إنّ الأصل فيها حفظ الهدف والمضمون من خلال الأساليب، فإطعام الطعام في الشعائر الإسلامية، وقراءة المرثيات، وإظهار الحزن والجزع على مصيبة الحسين عليه السلام وأهل بيته وغيرها من المظاهر والأساليب أمور ضرورية ينبغي التمسّك بها إذا كان وراءها الهدف والمضمون، أما أن نطعم الطعام ونغفل عن الصلاة التي نادي بها الحسين عليه السلام، أو نغفل عن المخالفات التي لاتتناسب مع الآداب العامّة، فمعنى ذلك أننا غفلنا عن الهدف الذي من أجله استشهد الحسين عليه السلام والذي هو الأساس كما أسلفنا.

القسم الثاني: الشعائر المبتكرة

وهي الشعائر الحسينيّة التي لم يرد فيها نصّ عن أهل البيت عليهم السلام لا على مستوى القول ولا على مستوى الفعل ولا على مستوى الإقرار، بل تمّ ابتكارها واختراعها من قبل أتباعهم، مثل: المواكب الحسينيّة، وشعائر تشبيه، وتمثيل مشاهد المأساة التي جرت على الحسين عليه السلام، أو المسيرات الشعبية، وغيرها من الشعائر التي يمارسها المسلمون من أتباع أهل البيت عليهم السلام في الأدوار المختلفة، أو التي يمكن أن يتمّ اختراعها في المستقبل.

ويقع الحديث في هذا القسم ضمن نقطتين:

---

(١) وهكذا نحن، يجب أن نبكي ونحزن ونبذل الطعام وندعو الناس له من أجل إحياء أمرهم. فالبكاء والحزن والجزع وبذل الطعام وإنشاد الشعر وغيرها، أساليب ومظاهر ورائها هدف، وذاك الهدف هو الذي يمثل أمر الأئمَّة عليهم السلام، ولذلك يجب أن نحتفظ بالمضمون والهدف الذي وضعه الحسين عليه السلام، وأراده الأئمَّة عليهم السلام من هذا الأسلوب، لا أن نتمسك بالأسلوب وننساهما. (**منه** قدس سره).

الأولى: المبرّرات الشرعية لأداء مثل هذه الشعائر، ولعلّ أفضل المبرّرات لذلك هو أنّ أيّة ممارسة أو أداء يمكن أن يكون تعبيراً عرفياً عن تعظيم الحسين أو إظهار الحزن عليه، خصوصاً إذا كان الأسلوب والممارسة متداولاً في زمن الأئمة عليهم السلام، أو كان تذكيراً عرفياً للمسلمين بمصابه وأهدافه، فهو أمر مشروع تصدق عليه القاعدة القرآنية: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[1] ذلك أنّ الحسين عليه السلام شعيرة من شعائر الله تعالى، وتعظيمه تعظيم لشعائر الله تعالى، كما أنّه وردت نصوص عامة تدعو إلى إظهار الحزن على الحسين عليه السلام والتظلم له في أيام عاشوراء.

الثانية: الحدود والأُطر التي لابدّ أن تمارس فيه هذه الشعائر، بحيث تكون مصداقاً للقاعدة القرآنية التي أشرنا إليها؛ باعتبار أنّ هذا النوع من الشعائر (المبتكرة) تتغير وتختلف حسب مقتضيات الظروف والأوضاع والأهداف التي يراد منها خدمة شعائر أهل البيت عليهم السلام.

فقد نجد في منطقة ما أُسلوباً يؤثّر فيها، في حين لا نجده مؤثراً في منطقة أُخرى، وقد يكون لأُسلوب ما تأثير كبير في زمن معين لا نجده في زمن آخر.

فالمواكب الحسينية مثلاً، أو التشبيه (التمثيل) الذي يجري على الطريقة القديمة له أثره البالغ في حقبة زمنية معينة، بينما نجد في زمن آخر طريقة أُخرى قد تكون أكثر تأثيراً في النفوس، كإيجاد فلم سينمائي، أو إصدار مجلة تتحدث عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام بمختلف اللغات، وغير ذلك من الأساليب التي يمكن أن يبتكرها الإنسان المؤمن الحريص على الحسين عليه السلام وثورته.

وهذا الأمر متروك إلى عقول الناس وفهمهم وإدراكهم واجتهادهم لما يرونه الأفضل والأصلح في خدمة شعائر الحسين عليه السلام، لكن لابد أن تكون

---

(١) الحج: ٣٢.

تحت نظر الفقهاء والعلماء، الذين يعرفون أهداف الحسين عليه السلام ومضمون ثورته؛ ليكون هذا العمل مندرجاً تحت القاعدة القرآنية، وبالتالي مقرّباً إلى الله سبحانه وتعالى.

وهذا لا يأتي في القسم الأول من الشعائر(المنصوصة)؛ لأنه يصحّ ممارستها في جميع الأحوال والظروف على اختلافها لورود النصّ الصريح على شكلها ومضمونها معاً عن أهل البيت عليهم السلام، وبالتالي فهو خط ثابت لا يتغير زماناً ومكاناً، ويمثل عبادة يتقرب الإنسان بها إلى الله عزّ وجلّ.

إذن، في القسم الثاني من الشعائر لابدّ في مشروعيّته أن يكون مشتملاً على المضمون والمحتوى الذي وضعه الله تعالى لها، وهو أن تكون تعظيماً لشعائر الله، وإلاّ فمجرّد أن يدّعي الإنسان أنّه يؤدّي هذا العمل من أجل الحسين، فهذا لا يكفي ما لم يكن الشكل يعبّر عن أسلوب عرفي عقلائي للتعظيم، بل يجب أن يكون في الوقت نفسه مرتبطاً بالمحتوى والمضمون الشرعي لنهضة الحسين عليه السلام الذي تقدم شرحه سابقاً.

ويمكن أن يوضع هذا المضمون في خطّين أساسيين:

أحدهما: الخط الإيجابي، وهو الأهداف التي وُضعت للشعائر الحسينيّة، وهي النقاط التي سنذكرها فيما بعد.

فبمقدار ما تحققه هذه الشعائر من تلك الأهداف تصبح هذه الممارسات تعظيماً لشعائر الله تعالى.

ثانيهما: الخط السلبي، وهو أن لاتكون هذه الممارسات سبباً لهتك حرمة الإسلام، أو مذهب أهل البيت عليهم السلام، أو تشويه الرؤية له، كأن تكون ذات شكل لاينسجم مع الأهداف الحقيقيّة لأهل البيت عليهم السلام. حيث يمكن أن نشاهد ذلك في بعض الممارسات التي لانجد لها مثيلاً في أي لون من ألوان

العبادات والسلوك الذي أقرّه الشارع المقدّس في مقام التعبير عن الارتباط بالله تعالى والحب له، أو التعظيم والتمجيد لذاته المقدّسة، أو عرفها العقلاء من الناس في حياتهم الاجتماعية.

وكذلك الممارسات التي يتنفّر منها الوجدان الصافي والذوق الإنساني السليم، أو التي لا يوجد لها تفسيراً منطقياً ينسجم مع العقل والفطرة الإنسانية السليمة، بل هي تعبّر عن انفعالات صاخبة، وعواطف هوجاء، وتصوّرات لا تستند إلى أيّ مستند شرعي، إذ لا يوجد لها أيّ نظير في الممارسات الشرعية، ولذلك تمارس في الأوساط التي تتسم بالسذاجة وقلّة المعرفة بالثقافة الإسلامية، ولا يمارسها الفقهاء أو العلماء الربانيون.

أهمية الشعائر الحسينية

إن التمسّك بالشعائر الحسينية واجب على كل الجماهير التي تعيش قضية الحسين عليه السلام في ضميرها، حتى على أُولئك الذين لا يلتزمون بالإسلام التزاماً كاملاً، ومن هنا لابد من التأكيد على أهمية هذه الشعائر من خلال الأمور التالية:

أولاً: مركزيَة الشعائر الحسينية

عند النظر إلى زمان ما بعد الغيبة نجد أنّ قضية الحسين عليه السلام وشعائره أصبحت قضية مركزية تعيش في ضمير الإنسان المسلم الواعي، كما أنها القضية التي كانت محوراً أساسياً لتحرّك علمائنا ورجالنا وقادتنا.

فالشيخ الطوسي لم ينتقل من بغداد إلى النجف، ويؤسس حوزة النجف الأشرف إلاّ بسبب هذه القضية المركزية، وفي تأريخنا المعاصر نعلم أنّ أعداء الإسلام الذين يريدون الكيد للإسلام كانوا يستهدفون هذه القضية بالذات، وأول شيء يريدون القضاء عليه هو قضية الحسين عليه السلام، وشعائره؛ لأنهم

يدركون مدى تأثيرها على ضمير المسلم، وكيف يمكن أن تهزّه وتدفعه باتجاه أهداف الحسين عليه السلام، وباتجاه بعدين رئيسيين هما: بُعد العقيدة الإسلامية، والبُعد الإنساني المتمثّل برفض الذلّ والظلم(١).

ثانياً: الشعائر الحسينية وتعبئة الجماهير

إن لثورة الحسين وشعائره دورا كبيرا في تعبئة الأمة؛ وذلك حينما يتم ذكر مضمون الثورة الحسينية، ومقارنته مع الأوضاع السياسية التي يعيشها الناس.

فالخطيب والشاعر والهيئة وكل مَن يمارس الشعائر، إذا أرادوا أن يكونوا ناجحين ومخلصين للثورة الحسينية، يجب عليهم ربط الحاضر بالماضي، والأوضاع السياسية المعاشة فعلا، بالأوضاع السياسية التي كان يعيشها الحسين عليه السلام، ربطاً إسلامياً حقيقياً.

وأما إذا ابتعد هؤلاء عن ربط الثورة بالواقع المعاش، وجعلوها وكأنها قضية تأريخية معلقة بين الأرض والسماء، واكتفوا بالسرد التأريخي لها، فحينئذ يبتعد هؤلاء عن قضية الإمام الحسين عليه السلام. فبمقدار ما يقترب

---

(١) إنّ أوّل ما صنعه (رضا شاه) في إيران هو محاربة الشعائر الحسينية، وحاول إلغاءها، وتطويقها والمحاسبة عليها؛ لأنه شعر بمدى تأثيرها على الشعب الإيراني، وهكذا في العراق عمل الاستعمار في العهد الملكي وبعده للقضاء على هذه الشعائر، فوجهوا سهامهم لها بكل ما أُوتوا من قوة، وما ذلك إلاّ لأنّهم شعروا - بتوجيه من أسيادهم - بأهمية هذه القضية ومركزيّتها في تأجيج مشاعر الأُمة، وبالرغم من كل تلك المحاولات بقي شعبنا المسلم في العراق متمسكاً بهذه القضية، وقدّم مختلف التضحيات من أجل مواصلة مسيرتها، وهذا يعني أنها تعيش في ضمير الإنسان المسلم السائر على خط أهل البيت عليهم السلام، ولايمكن أن يحصل مثل هذا التأثير في ضمير المسلم إلاّ إذا كان وراءه قوّة إلهية، ومشروعية إسلامية تفرض هذه القضية في كلّ عصر وزمان. **(منه قدس سره)**.

الخطيب من الواقع ويشد الماضي بالحاضر، والحاضر بالماضي، ويربط هذا الواقع ربطاً إسلامياً، ويوجهه توجيهاً إسلامياً، فهذا خطيب موجه.

ونفس الأمر يأتي على الهيئة الحسينية، إذ يفترض بها أن تهتم بمسألة الربط من جهة تهيئة الأجواء لذلك؛ لان أعداء الإسلام كانت لهم محاولتان لضرب الشعائر الحسينية:

الأولى: محاولة إفراغ الشعائر من داخلها ومحتواها، وجعلها مجرد ممارسات شكلية، وهذه المحاولة قام بها المستعمرون عندما دخلوا العراق.

الثانية: محاولة ضرب هذه الشعائر، وجعل الناس ينسونها، وهذا ما قام به البعثيون وأشباههم في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي.

ففي المقابل يجب علينا الانتباه لهذا الموضوع، وذلك بأن نجعل هذه الشعائر تؤدي دورها الحقيقي، ونربط الحاضر بالماضي، وبالتالي يمكن أن نخدم الحسين عليه السلام خدمة حقيقية من خلالها.

ثالثاً: دور الشعائر الآلهيَّة في طهارة القلب

تقدَّم أنَّ من جملة الأساليب، التي تعالج أخطر الأمراض المعنوية التي قد يتعرض لها الإنسان في حياته ـ مرض القلب ـ هو أسلوب تعظيم شعائر الله.

فإنَّ تعظيم الشعائر الآلهيَّة تُوجب صحة القلب وسلامته وطهارته، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى:﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[1]، فالآية الكريمة تربط حالة التقوى في القلب - التي هي الأساس في طهارة القلب وسلامته - بتعظيم الشعائر، ولا إشكال في أنَّ الشعائر الحسينية تمثل عين الإسلام؛ لأنَّ قضية الحسين هي التي ميَّزت بين

---

(١) الحج: ٣٢.

الحق والباطل، ولأنّ ما قاساه سيد الشهداء إنّما هو لتوطيد أسس الإسلام، وإزاحة الباطل عن صراط الشريعة، وتنبيه الأجيال على جرائم بني أُميّة وأهل الضلال، وهذا هو عين ما نهض به أنبياء الله لنشر الدعوة الإلهية.

رابعاً: أثر الشعائر الحسينية

لاشك أنّ لثورة الحسين عليه السلام باعتراف المسلمين تأثيراً كبيراً في تأريخهم وحياتهم، وفي حفظ الإسلام حتى يومنا الحاضر، سواء كان المسلمون يمارسون هذه الشعائر أم لا، يعترفون بهذه الحقيقة أم لا، فتفاعلات هذه الثورة وأثر الدماء الطاهرة الزكية التي أُريقت يوم العاشر من محرم في أرض كربلاء، بقيت مؤثرة ليومنا هذا.

ولا إشكال في أنّ التذكير بهذه الثورة العظيمة - من خلال ممارسة الشعائر - له أثره البالغ في نفوس جمهور المسلمين على كافة المستويات، ولذا نجد الطغاة والظلمة وقفوا بكل ما أُوتوا من قوة لمحاربتها والتشويش عليها؛ لعلمهم بأنّ القضية الوحيدة التي يمكن أن تهز عروشهم، هي قضية الحسين وكل ما يتعلق بها من إقامة المجالس والبكاء والزيارة وغيرها.

خامساً: موقعية الشعائر عند أهل البيت

إن نفس اهتمام أهل البيت عليهم السلام بهذه الشعائر كافٍ لبيان أهميتها، وقد تقدم ذكر بعض الروايات الواردة عنهم بهذا الخصوص، وهناك عشرات الروايات مبثوثة في كتب الحديث والسيرة تتحدث عن الشعائر ولزوم إقامتها واحترامها، مما يكشف موقعية هذه الشعائر في نظرية أهل البيت.

ولا يمكن أن يكون السبب في هذا الاهتمام البالغ من الأئمة عليهم السلام وأتباعهم بإقامة الشعائر لمجرد قضية عاطفية لمشاعر يحسون بها، فيتحملون كلّ هذا الأذى والعناء للتعبير عن احاسيسهم وعواطفهم.

فهل تستحق قضية الاحاسيس والعواطف أن يتحمل الإنسان التهجير والتشريد والمطاردة والمضايقة والسجن والإعدام أحياناً ؟

أهداف الشعائر الحسينية

بعد استعراض طبيعة الشعائر الحسينية وفهمها، ينبثق السؤال عن الأهداف الأساسية التي استهدفها الأئمة عليهم السلام من وراء الشعائر الحسينية؟

إن معرفة الأهداف قضية مهمّة جداً لسببين رئيسيين:

الأول: يرتبط بالقسم الأول من الشعائر الحسينية، وهو: أن تؤدى تلك الشعائر بالشكل الذي نصل به إلى تلك الأهداف التي استهدفها الأئمة عليهم السلام، ولا نخرج منها إلى هدف آخر بمنهج آخر.

الثاني: يرتبط بالقسم الثاني من الشعائر الحسينية التي نريد ابتكارها لتكون مؤثرة في الناس، فينبغي فهم الأهداف حتى يكون الابتكار متجانساً معها.

ويمكن تلخيص مجمل الأهداف التي استهدفها الأئمة عليهم السلام من الشعائر الحسينية بعدة أُمور، وإذا أردنا أخذ كلّ واحد من هذه الأُمور سوف نجد فيه مفردات كثيرة، وبالتالي تصبح الأهداف كثيرة أيضاً، ولكنْ أُلخَصها هنا، بالأهداف التالية:

الهدف الأول: التكامل العاطفي، فإنَّ أحد الأهداف الأساسية التي استهدفها الأئمة عليهم السلام من الشعائر الحسينية هو ربط المسلمين بشكل عام، وشيعتهم ومحبيهم بشكل خاص، ربطاً عاطفياً وروحياً ونفسياً ومشاعرياً وحسياً بالحسين وبأهل البيت عليهم السلام.

فقضية الارتباط الروحي والمعنوي التي ترتبط بقضية المشاعر والعواطف والإحساسات الروحية والمعنوية، من الأمور المهمة في النظرية الإسلامية.

فالعاطفة لا تمثل - كما يتصور البعض - حالة ضعف أو انحراف أو تسافل في الإنسان، وإنما هي قضية مهمّة في تكامل شخصيته، فكما يسعى الإنسان لئن يكون على درجة عالية من الكمال والأخلاق الفاضلة، ينبغي أن يسعى لئن تكون عواطفه كذلك أيضاً.

فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي يمثل أكمل إنسان على وجه الأرض، كان على درجة عالية من التكامل العاطفي، كما يتضح ذلك من بعض الروايات والشواهد التأريخية، فعن بريدة قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب، فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما))[1].

وروى ابن عباس قال: ((بينا نحن ذات يوم مع النبي صلى الله عليه وآله إذ أقبلت فاطمة عليها السلام تبكي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: فداك أبوك، ما يبكيك؟ قالت: إن الحسن والحسين خرجا، ولا أدري أين باتا، فقال لها رسول صلى الله عليه وآله: لا تبكين فإنّ خالقهما ألطف بهما مني ومنك، ثم رفع يديه، فقال: اللهم احفظهما وسلمهما، فهبط جبرئيل، وقال: يا محمد لا تحزن فإنهما في حظيرة بني النجار نائمان، وقد وكّل الله بهما ملكاً يحفظهما، فقام النبي ومعه أصحابه حتى أتى الحظيرة، فإذا الحسن والحسين عليهما السلام معتنقان نائمان، وإذا

---

(١) انظر: شرح الأخبار٣: ١٠٦ ، ذخائر العقبى: ١٣١ ، مسند أحمد٥ : ٣٥٤ ، سنن الترمذي٥ : ٣٢٤ ، فتح الباري١١: ٢١٥ ، الدر المنثور٦ : ٢٢٨ ، نيل الاوطار٣: ٣٣٧ ، كشف الغمة ٢: ١٤٤ ، ينابيع المودة ٢ : ٣٨.

الملك المُوكّل بهما قد جعل أحد جناحيه تحتهما والآخر فوقهما يظلهما، فأكب النبي يقبلهما حتى انتبها من نومهما..))[١].

ومن المؤسف أن البعض يمرّ على هذا الموضوع مروراً عابراً، والحال أنّ التكامل العاطفي يمثل درجة من درجات تكامل الإنسان، ولذلك قال تعالى:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢].

مما يعني: أنّ قضية اللين والرقة والعاطفة من القضايا المهمة جداً في حياة الإنسان، بخلاف الغلظة والشدة فإنهما يؤديان إلى القسوة، وبالتالي إلى البعد عن الله سبحانه، بل إنّ أشدّ ما يبتلي به الإنسان من مرض هو قسوة القلب، وهو الباب الأول للطغيان؛ ولذلك اهتم أهل البيت عليهم السلام بالجانب العاطفي، ولا إشكال في أنّ البكاء يدخل إلى حدٍّ كبير في هذا الجانب من تربية الإنسان على الرقة والعاطفة، وجعل قلبه ليّناً يستقبل الهدى.

وهناك أهميّة أُخرى للقضية العاطفية لها تأثير في حركة الإنسان الاجتماعية لا الذاتية الشخصية، وهي كسب حب الناس، وهذا ما حصل للأئمة عليهم السلام، فبالرغم من تعرضهم إلى المظلومية من قبل الطغاة والمجرمين وعلماء السوء في كلّ أنحاء الأرض، وفي كلّ عصر وزمان[٣]، إلا إنّهم

---

(١) انظر: ذخائر العقبى: ١٣٠ ، مناقب آل أبي طالب٣ : ١٩٠ ، أمالي الصدوق: ٥٢٢، بشارة المصطفى: ٢٦٧ ، روضة الواعظين: ١٢١. بتفاوت يسير فيما بينهم.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) فما خلا عصر من العصور إلاّ وكانت هناك مطاردة لأهل البيت عليهم السلام... فوسائل الإعلام والتبليغ والحديث والروايات كانت ضدهم، ولمدة مئة سنة كان بنو أمية يلعنون علياً عليه السلام على المنابر بسنّةٍ من المجرم معاوية بن أبي سفيان..(منه دام ظله).

تمكنوا من كسب حب المسلمين جميعاً، وذلك من خلال المنهج الذي اتبعوه عليهم السلام من اهتمامهم بعواطف الناس وأحاسيسهم.

فمن الشعائر الحسينية ومن قضية الحسين عليه السلام تمكن أهل البيت عليهم السلام أن يدخلوا إلى قلب كلّ مسلم إلاّ قساة القلوب، وأُولئك قد يكونون خارجين عن الإسلام ومنحرفين، أو أصحاب مصالح ومنافع، أمّا عامة جمهور المسلمين فإنهم يحبون أهل البيت عليهم السلام ، سواء من تمذهب بمذهبهم أم من لم يتمذهب، وذلك لأن هناك اهتماماً في قضية العاطفة.

الهدف الثاني: نشر الثقافة والوعي الإسلاميين في مختلف أبعادهما الإسلامية في معرفة الإسلام والتفقه فيه، ورفع درجة الإحساس والشعور في النفس الإنسانية، وإيقاظ الوجدان والضمير.

الهدف الثالث: الرؤية السياسية والدينية الصحيحة لقضية الحكم، والأحداث السياسية الأخرى التي تواجهها الأُمة الإسلامية في قضايا الظلم والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحكم الآلهي.

وهذا الهدف من الأهداف الأساسية، والهدف الأول والثاني يمثلان نتيجة له.

فينبغي استلهام رؤيتنا السياسية من واقع قضية الحسين. فإنّ أهل البيت عليهم السلام عندما يتحدثون عن الحسين عليه السلام كانوا يقارنون بينه عليه السلام وبين الطواغيت الذين يحكمون في زمانهم، وكانوا يطلبون من شيعتهم أن يتأسوا به.

أمّا أن نتحدث عن الحسين عليه السلام وقضيته وكأنها قضية عاطفية فقط، فهذا ما لايحقق هدف الأئمة عليهم السلام من الشعائر الحسينية؛ لان قضية الإمام الحسين عليه السلام قضية متكاملة، كالصلاة التي فيها طهارة وقيام وركوع وسجود وقراءة قرآن، ولا تتكامل إلاّ بأداء أجزائها.

فقضية الشعائر الحسينية قضية متكاملة أيضاً ومهمة، ومن أهم أدوارها: إنها تمثل الطاقة المحركة للإنسان. فالعاطفة لها دور كبير جداً في حركة الإنسان. والثقافة تمثل القاعدة التي تستقر فيها العاطفة، وتسير بمنهج معين، والرؤية السياسية تشكل خط الإنسان في حركته في الأُمّة، فحركة الأُمّة والمجتمع وتكامله لا تكون إلاّ من خلال الرؤية السياسية، ولذلك اهتم الأئمة عليهم السلام بهذا الأمر.

وهذا المضمون الذي تحمله الشعائر الحسينية هو الذي جعل شيعة أهل البيت عليهم السلام دائماً هم الأوعى والأفهم والأعرف بالقضايا؛ ولذلك هي تواجه هذا النوع من المطاردة والعدوان والملاحقة والاتهام والتشويش، والأساليب المختلفة التي يستخدمها أعداؤنا لضربها.

الهدف الرابع: ترسيخ علاقات الإخوة والمودة والتعاون بين المؤمنين، والاهتمام بأمورهم والنصيحة لهم وإعانة فقرائهم وضعفائهم، وإيجاد المزيد من التكافل بينهم وإظهارهم بمظهر القوة والمنعة والوحدة.

إنّ المؤمنين بحاجة إلى أن يجسّدوا في هذه الشعائر المجال الذي يعبّرون فيه عن ولاء ومحبة بعضهم البعض في إطار الله سبحانه وتعالى وفي إطار الأئمة عليهم السلام وحبهم، وحبّ العلماء والمراجع والمرجعية والمنبر الحسيني والمجالس الحسينية.

فنحن نحتاج أن نعبّر عن مودتنا وارتباطنا وتعاوننا ومحبتنا وتناصرنا فيما بيننا، ولا إشكال في أنّ الشعائر الحسينية تحقق هذا الغرض النبيل[1].

---

(١) ولذلك أنا أدعو جميع الإخوة المؤمنين، أن يهتموا بهذا الجانب في موضوع المجالس الحسينية، حتى تصبح هذه المجالس تعبّر واقعاً عن وحدتنا في حبّ الله تعالى والإسلام والرسالة الإسلامية والمضامين الحسينية، وفي حبّ علمائنا ومنبر الإمام ←

الهدف الخامس: التربية الأخلاقية الأصيلة في الحركة السياسية والاجتماعية التي تتمثّل في التضحية والفداء والصبر والشعور بالمسؤولية تجاه قضايا المسلمين في مقاومة الظلم والطغيان، والتزام جانب الحق والوفاء بالعهد والميثاق والإخلاص لله تعالى، والصمود والثبات على المبادئ.

تنبيهات هامّة

هناك عدة نقاط في الشعائر الحسينية ينبغي أخذها بعين الاعتبار، كي نكون مثلاً صالحاً لأتباع أهل البيت عليهم السلام، وهي:

١) احترام الشعائر

يجب احترام الشعائر الحسينية؛ من خلال الالتزام بالآداب العامة، بحيث لا تختلط هذه الشعائر ببعض المنافيات للآداب، لأنّ الإمام الحسين عليه السلام هو إمام للمسلمين جميعاً، وليس فقط للمؤمنين بإمامته، والمطيعين له والسائرين على نهجه، فالمسلمون بصورة عامة وبمختلف مذاهبهم يؤمنون ويحترمون الإمام الحسين عليه السلام ويوالونه؛ ولذا ينبغي على المؤمنين الحرص على أداء الشعائر بالطريقة التي وصفها الشارع الأقدس، والمحافظة على الأسلوب القيّم فيها[1].

الحسين عليه السلام والشعائر الحسينية، وهي فرصة للتعبير عن توثيق الروابط والعلاقات والتعاون على البر والتقوى وتفقد الفئات المستضعفة من الناس، كعوائل الشهداء والمفقودين والمعتقلين والمحرومين والفقراء، وكذلك فئات العاجزين من كبار السن والمعوقين والمضحين... وغيرها من الفئات التي أُصيبت بالاستضعاف. **(منه دام ظله)**.

(١) فمثلاً عند المجلس علينا الاستماع إلى الخطيب، ولو لأجل الثواب المترتب عليه، ولا يصح منا ترك المجالس والانشغال بالحديث والكلام الخارج عن المقام. **(منه دام ظله)**.

٢) الاشتراك الجماهيري

يجب الاهتمام بتهيئة الفرص لإشراك الجماهير في هذه الشعائر، فمجلس الحسين عليه السلام، لكل الأُمّة الإسلامية، وبالتالي ينبغي أن يُعدّ للمجالس إعداداً جيداً بحسب الإمكانيات والقدرات ليستوعب الرجال والنساء والأطفال؛ لأنّ قضية الحسين عليه السلام تمسّ ضمير وإحاسيس كل إنسان، سواء أكان شاباً أم شيخاً أم امرأة أم طفلاً.

ومن هنا ينبغي تصميم الشعائر الحسينية بهذا الشكل، ودفع الناس للمشاركة فيها، من أجل ايجاد آثاراً للحسين عليه السلام بين هؤلاء الناس.

ولا ينبغي تحوّل هذا الامر إلى مجرّد شكل وأُسلوب، ونترك المضمون ونبتعد عنه، فإذا تُرك هذا المضمون فسوف يبقى هذا الشيء فارغاً.

نعم، قد يؤجر الإنسان لمجرد الحضور والمشاركة في هذه الشعائر وإن كان غافلاً عن المضمون، إلّا أنّ الأجر والهدف الحقيقي إنما يتحقق إذا تم الجمع بين الأُسلوب والمضمون من قبيل الصلاة.

٣) مضمون الثورة الحسينية

الاهتمام بمضمون الشعائر الحسينية اهتماماً حقيقياً حتى يمكن خدمة الحسين عليه السلام، فالشخص الذي يريد أن يفتخر بكونه خادماً للحسين عليه السلام هو ذاك الإنسان الذي يخدم أهداف الحسين عليه السلام، ومضمون ثورته عليه السلام.

ومن الواضح أنّ مضمون الثورة الحسينية هو مضمون إسلامي إنساني، وليست ثورة مذهبية بالمعنى الضيق، بل هي ثورة أهل البيت، ثورة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثورة الإمام علي عليه السلام وثورة فاطمة الزهراء عليها السلام، ثورة إبراهيم وموسى وعيسى ونوح.

ولذلك عندما نقف أمام الحسين عليه السلام ونزوره نقول:((السلام عليك يا وارث

آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله..)).

فهذه الكلمات تعني أنّ الثورة الحسينية تمثل منهجاً لكل هؤلاء الأنبياء، وتمثل منهج الإسلام الأصيل الذي نادى به إبراهيم عليه السلام، وهذا ما يفسّر لنا تجاوب كل المسلمين معها على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم، فلا زال الإمام الحسين عليه السلام يحظى باحترام كل المسلمين بشكل مطلق، ولا زال يزيد ملعوناً من كل المسلمين، ومن علمائهم؛ لأنّ هذه الثورة كانت ثورة الإسلام، ولو كانت ثورة مذهب معين أو جماعة معينة، لما كان هذا التجاوب في أوساط المسلمين؛ فلذا نحن بحاجة من أجل الدماء الطاهرة التي أُريقت في عرصة كربلاء، ومن أجل التضحيات والآلام التي تحمّلها الحسين، وعائلته وأصحابه إلى أن نحتفظ بهذا المضمون، ونحمل رسالة الإمام الحسين عليه السلام ونبشّر بها ونبيّنها للعالم، ونبتعد عن بعض التصرفات التي تجعل هذا المضمون مضموناً ضيقاً محدوداً، غير قادر على أن يصنع شيئاً في العالم، الذي يتطلع إلى الإسلام وإلى العدل، وإلى ذلك اليوم الذي يشرق فيه نور الإسلام على المستضعفين والمحرومين في العالم.

فنحن نحتاج أن نحمل هذا المضمون الإنساني المتمثل بثورة الإمام الحسين عليه السلام، ونؤكد عليه في مجالسنا، لنكون حقاً من أصحاب الحسين عليه السلام، ونكون ممن يتشرّف باسم أصحاب الحسين وخدمة الحسين وأنصاره وأتباعه وشيعته.

٤) تربُّص الأعداء

إنّ أعداء الإسلام منذ البداية وإلى يومنا هذا كانوا ولا زالوا يعادون الشعائر الحسينية؛ لعلمهم وإدراكهم بالدور الكبير الذي يمكن أن تلعبه هذه

الشعائر في تأريخ الأُمّة ومصيرها وأصالتها، وأفضل شاهد في تأريخنا المعاصر هو موقف البعثيين المجرمين تجاه هذه الشعائر.

وإذا أراد الإنسان النظر إلى الشعائر الحسينية من الناحية المضمونيّة يجدها أكثر تقدمية - حسب الاصطلاحات السياسية - لأنّها تدفع الإنسان إلى الوقوف في مقابل الطغاة والجبابرة والمستعمرين والمستغلين، وتمكّنه من تحقيق العزّة والكرامة والشرف والاستقلال.

وهكذا نلاحظ أنّ الشعائر الحسينية هي ممارسة تنسجم تماماً مع أفضل الأساليب التي ابتكرها الإنسان من أجل التعبير عن آرائه وعواطفه ومشاعره، وهذا ما يفسر لنا بقاءها حية في كل زمان.

إذن، فليس في الشعائر الحسينية أي شيء يتنافى مع أي مرحلة تقدمية من مراحل المجتمع.

ومع كل ذلك جاء أعداء الحسين وحاربوا هذه الشعائر محاربة شعواء؛ لأنّهُم يرونها تؤصّل إسلام الإنسان وإنسانيته واستقلاله وكرامته، وهذه الأُمور لا تنسجم مع أهدافهم الخبيثة، التي يريدون بها مسخ شخصية الإنسان المسلم.

ومن هنا يجب الانتباه إلى هذه الحقيقة، والوقوف بحزم في وجه أعداء الإسلام - على اختلاف أشكالهم واتجاهاتهم السياسية - الذين يرفضون الشعائر؛ لحقدهم على الإسلام والمسلمين.

يجب أن نتنبه لمثل هؤلاء الناس، فبعض العلمانيين وأصحاب الاتجاهات الغربية المستوردة الخارجة عن بلاد الإسلام، يتّجهون لتخريب هذه الشعائر وتشويه صورتها، من أجل أن يأخذوا هذا السلاح - الذي يعتبر من أفضل الأسلحة، التي يملكها الإنسان المسلم - من يد المسلمين، ويجعلوهم دائماً في حالة من الضعف.

المصادر والفهرس

المصادر

❖ القرآن الكريم.

❖ نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، جمعها الشريف الرضي، شرحها وحققها: محمد عبده، الطبعة: الأولى لعام ١٤١٢هـ، نشر دار الذخائر - قم - إيران.

❖ الامالي: الشيخ الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، الطبعة: الأولى لسنة ١٤١٧هـ، نشر مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.

❖ علل الشرائع: الشيخ الصدوق،تحقيق وتقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، سنة الطبع: ١٩٦٦م نشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف.

❖ الخصال: الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، سنة الطبع: ١٤٠٣هـ، نشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

❖ كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: علي اكبر غفاري، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، سنة الطبع: ١٤٠٥هـ.

❖ ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق، تحقيق وتقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، الطبعة: الثانية، نشر: منشورات الشريف الرضي - قم.

❖ عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الاعلمي، نشر: مؤسسة الاعلمي - بيروت - لبنان، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

❖ فضائل الأشهر الثلاثة: الشيخ الصدوق، تحقيق: ميرزا غلام رضا

عرفانيان – نشر دار الرسول الأكرم ﷺ - الطبعة الثانية.

- كامل الزيارات: الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه القمي – تحقيق الشيخ جواد القيومي – نشر مؤسسة الفقاهة – الطبعة الأولى.
- تأريخ الطبري (تأريخ الأمم والملوك): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء، الطبعة: الرابعة، لعام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م نشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان.
- مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي، الطبعة: الأولى، لعام ١٤١١ هـ ١٩٩١ م، نشر: مؤسسة فقه الشيعة- بيروت- لبنان.
- الأمالي: الشيخ الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة، الطبعة: الأولى، لعام ١٤١٤ هـ، نشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع- قم.
- اختيار معرفة الرجال:الشيخ الطوسي، تصحيح وتعليق: ميرداماد الاسترابادي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، سنة الطبع: ١٤٠٤، المطبعة: بعثت- قم الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، الطبعة: الثانية، لعام ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، نشر: مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان.
- صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة الطبع: ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
- الكافي: للشيخ ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، الطبعة: الخامسة، تحقيق: علي أكبر غفاري مطبعة الحيدري، نشر: دار الكتاب الإسلامية - طهران
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الشيخ محمد بن الحسن الحر

العاملي، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الثانية، لعام ١٤١٤ هـ.
❖ المعجم الكبير: أبو قاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة: الثانية، نشر: دار إحياء التراث العربي.
❖ تأريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي، المعروف بابن عساكر، تحقيق: علي شيري، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان، سنة الطبع: ١٤١٥ هـ.
❖ كتاب التفسير (تفسير العياشي): محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي، المعروف بالعياشي، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، نشر: المكتبة العلمية الإسلامية – طهران.
❖ السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، نشر: دار الفكر.
❖ سنن الترمذي (الجامع الصحيح): أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة: الثانية، لعام ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.
❖ فتح الباري شرح صحيح البخاري: شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، الطبعة: الثانية، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت- لبنان.
❖ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت- لبنان.
❖ تفسير القمي، لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ، مؤسسة دار الكتاب، قم المقدسة.
❖ مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، الطبع: ١٣٧٦هـ ، المطبعة:

الحيدرية، النجف الاشرف.
❖ مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.
❖ الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي محمد حسين، منشورات جامعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، إيران.
❖ أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير عز الدين الشيباني دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
❖ تفسير القرآن العظيم: الدمشقي ابن كثير، طبع ١٤١٢هـ ١٩٩٢م دار المعرفة- بيروت، لبنان.
❖ مدينة المعاجز: السيد هاشم البحراني، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، ط الأولى.
❖ مقاتل الطالبين: أبو الفرج الأصفهاني، نشر: مؤسسة دار الكتاب - قم - ط: الثالثة.
❖ إعلام الورى بأعلام الهدى: الشيخ الطبرسي، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث قم المشرفة . ط الأولى.
❖ صحيح مسلم: مسلم ابن الحجاج النيسابوري، نشر دار الفكر - بيروت -.
❖ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ المفيد، نشر دار المفيد.
❖ سير أعلام النبلاء: الذهبي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
❖ الإمامة والسياسية (تاريخ الخلفاء): أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدنيوي، نشر: انتشارات الشريف الرضي - قم - ط الأولى.
❖ ينابيع المودة لذوي القربى: الشيخ سليمان إبراهيم القندوزي الحنفي، لنشر دار الأسوة،ط الأولى.
❖ البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، نشر دار إحياء

التراث العربي، بيروت، ط: الأولى.
❖ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين الهيثمي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت
❖ روضة الواعظين: محمد بن الفتال النيسابوري، نشر منشورات الرضي، قم.
❖ الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوني، نشر مؤسسة الإمام المهدي،قم المقدسة.
❖ كشف الغّمة في معرفة الأئمة: علي بن عيسى بن أبي الفتح الأردبيلي، نشر دار الأضواء بيروت، ط الثانية.
❖ الطرائف: السيد ابن طاووس الحسني، ط الأولى ، مطبعة خيام.
❖ مدينة المعاجز: السيد هاشم البحراني، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، ط الأولى.
❖ الطبقات الكبرى: ابن سعد، نشر دار صادر، بيروت.
❖ المناقب: الخوارزمي.
❖ مستدرك الحاكم: محمد بن محمد الحاكم النيسابوري، نشر دار المعرفة.
❖ ذخائر القربى في مناقب ذوي القربى: أحمد بن عبد الله الطبري، نشر مكتبة القربى.
❖ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في آيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام: عبيد الله بن محمد المعروف بن الحاكم الحسكاني، نشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط: الأولى.
❖ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، طبعة دار أحياء التراث العربي، الثانية، ١٣٨٧هـ ق.
❖ كنز الفوائد: ابن الفتح الكراجكي الطرابلسي، طبعة دار الذخائر، الأولى، ١٤١٠هـ ق.
❖ الغارات: ابن هلال الثقفي.
❖ الاحتجاج: أبي منصور الطبرسي، طبعة الأعلمي وأهل البيت عليهم السلام، ١٤٠١.

❖ منهاج الصالحين: السيد أبو القاسم الخوئيﷁ.
❖ منهاج الصالحين: السيد محمد سعيد الحكيم (مد ظله).
❖ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الطبع: ١٤٠٥هـ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
❖ فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، عالم الكتاب.
❖ تاريخ ابن الأثير (الكامل في التاريخ) ، ابن الأثير - دار صادر، بيروت.
❖ مقتل الحسين عليه السلام (مقتل أبي مخنف)، لوط بن يحي – تحقيق ميرزا حسن الغفاري - نشر مكتبة المرعشي العامة.
❖ دعائم الاسلام (دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام من أهل بيت رسول الله عليه وعليهم افضل السلام): القاضي نعمان المغربي، تحقيق: آصف فيضي، نشر: دار المعارف.
❖ نيل الاوطار (نيل الاوطار من أحاديث سيد الأخيار): محمد بن علي الشوكاني، نشر: دار الجليل، بيروت.
❖ سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
❖ تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمن ابن خلدون المغربي، الطبعة: الرابعة، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.
❖ التفسير الكبير: الفخر الرازي، طبعة دار الكتاب العالمية، بيروت، ١٤١١هـ ق.
❖ معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، سنة الطبع: ١٣٩٩ – ١٩٧٩م ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.
❖ جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام: أبن الدمشقي، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، ط: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥، مطبعة

دانش، الناشر: مجمع أحياء الثقافية الإسلامية - قم - إيران.
❖ قواعد الأحكام: العلامة الحلي، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط: الأولى، سنة الطبع: ربيع الثاني ١٤١٣، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
❖ مسالك الإفهام: الشهيد الثاني، تحقيق: مؤسسة المعارف الإسلامية، ط: الأولى: سنة الطبع: ١٤١٣: مطبعة بهمن – قم، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية – قم – إيران.
❖ تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي، الناشر: دار صادر – بيروت – لبنان.
❖ أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: الشيخ محمد السماوي، تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبسي، ط: الأولى، سنة الطبع: رمضان المبارك ١٤١٩- ١٣٧٧ش، المطبعة: مطبعة حرس الثورة الإسلامية: الناشر: مركز الدراسات الإسلامية لمثلية الولي الفقيه في الحرس الثورة الإسلامية.
❖ مختصر المعاني: سعد الدين التفتازاني، ط: الأولى، سنة الطبع:١٤١١: المطبعة: قدس- قم، الناشر: دار الفكر- قم.
❖ الدعوات: قطب الدين الراوندي، تحقيق مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط: الأولى: سنة الطبع:١٤٠٧، المطبعة: أمير- قم، الناشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام- قم.
❖ أحكام القران: محمد بن ادريس الشافعي: تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، سنة الطبع: ١٤٠٠، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
❖ المزار: محمد بن المشهدي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ط: الأولى، سنة الطبع: رمضان الكريم ١٤١٩، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: قيومي – قم – إيران.
❖ مثير الاحزان: أبن نما الحلي، سنة الطبع: ١٣٦٩- ١٩٥٠م، الناشر: المطبعة

الحيدرية - النجف الاشرف.
❖ لـواعج الأشـجان: الـسيد محسن الأمـين، سـنة الطبـع: ١٣٣١، المطبعـة: مطبعة العرفان – صيدا، الناشر: منشورات مكتبه بصيرتي- قم.
❖ اللهوف في قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس، ط: الأولى، سنة الطبـع: ١٤١٧، المطبعة: مهر، الناشر: أنوار الهدى – قم – إيران.
❖ وقعة صفين: ابن مزاحم المنقري، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هـارون، الطبعـة: الثانيـة، سـنة الطبـع: ١٣٨٢ ط: المـدى – مـصر: النـاشـر المؤسـسة العربيـة الحديثـة للطبـع والنـشر والتوزيـع – القاهرة.
❖ نـوادر المعجـزات: محمـد بـن جريـر الطـبري (الـشيعي)، تحقيـق: مؤسـسة الإمـام المهـدي عليه السلام، ط: الأولى، سـنة الطبـع: ١٤١٠، النـاشـر: مؤسـسة الإمام المهدي - قم المقدسة.
❖ الثاقب في المناقب: ابـن حمـزة الطوسـي، تحقيـق: نبيـل رضـا علـوان،ط: الثانيـة، سـنة الطبـع: ١٤١٢، المطبعـة: الـصدر- قـم، النـاشـر: مؤسـسة انصاريان للطباعة والنشر- قم المقدسة.
❖ كتاب الفتوح: أحمد بن اعثم الكوفي، تحقيق: علي شيري (ماجستير في التاريخ الإسلامي) ط: الأولى، سنة الطبع: ١٤١١، المطبعة: دار الاضـواء الناشر: دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع.
❖ نقد الرجـال: التفرشـي، تحقيـق: مؤسـسة آل البيـت عليهم السلام لأحيـاء الـتراث، ط:الأولى، سـنة الطبـع: شـوال ١٤١٨، المطبعـة: سـتارة- قـم، النـاشـر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث- قم.
❖ شـرائع الإسـلام: المحقـق الحلـي، تحقيـق مـع تعليقـات: الـسيد صـادق الـشيرازي، ط:الثانيـة، سـنة الطبـع: ١٤٠٩، المطبعـة: أمـير- قـم، النـاشـر:

انتشارات استقلال- طهران.
❖ الجامع الصغير: جلال الدين السيوطي، ط: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠١- ١٩٨١م الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.
❖ نزهة الناظر وتبنية الخاطر: الحلواني، تحقيق: مدرسة الإمام الصادق عليه السلام ط: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٨، الناشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام- قم المقدسة.
❖ ذوي النظار: ابن نما الحلي، تحقيق: فارس حسون كريم، ط: الأولى، سنة الطبع: شوال المكرم ١٤١٦، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
❖ الإصابة: ابن حجر، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود الشيخ، الشيخ علي محمد معرض، ط: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.
❖ تاريخ الكوفة: السيد البراقي، تحقيق: ماجد احمد العطية / استدراكات السيد محمد صادق بحر العلوم المتوفي ١٣٩٩هـ، ط: الأولى ١٤٢٤هـ/ ١٣٨٢ش/ شريعت، الناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية.
❖ خلاصة تهذيب تهذيب الكمال: الخزرجي الانصاري اليمني، قدم له واعتنى بنشره: عبد الفتاح أبو عزة، ط: الرابعة، سنة الطبع: ١٤١١، المطبعة: دار البشائر الإسلامية، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب/ دار البشائر الإسلامية.
❖ بشارة المصطفى: محمد بن علي الطبري، جواد القيومي الاصفهاني، ط: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٠، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

❖ التعجب: أبو الفتح الكراجكي، تصحيح وتخريج: فارس حسون كريم.

❖ العمدة: ابن البطريق، سنة الطبع: جمادي الأولى ١٤٠٧، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

❖ الاخبار الطوال: الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر/ مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، ط: الأولى، سنة الطبع: ١٩٦٠، الناشر: دار احياء الكتب العربي- عيسى البابي الحلبي.

❖ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: تأليف: صدر الدين السيد علي خان المدني الشيرازي الحسيني: صاحب (سلامة العصر) و(أنوار الربيع) قدم له العلامة الكبير السيد محمد صادق بحر العلوم: الطبعة الثانية: ١٣٩٧ هجري: منشورات مكتبة بصيرتي - قم-.

❖ وقعة صفين: لنصر بن مزاحم المنقري: تحقيق: عبد السلام محمد هارون: الطبعة الثانية: المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزي.

❖ عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الإبرار: الحافظ يحيى بن الحسن بن البطريق الاسدي الحي: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - بقم- المشرفة.

❖ شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: المؤلف: المحقق الحلي: الناشر: انتشارات استقلال- طهران - المطبعة: أمير- قم: ط: الثانية.

❖ روضة الجنان في شرح إرشاد الأذهان: الشهيد السعيد زين الدين الجبعي العاملي الشامي: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

❖ معجم البلدان: للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: بيروت- لبنان.

❖ تاريخ بن خلدون: العلامة ابن خلدون: دار إحياء التراث العربي: بيروت -لبنان.

❖ سنن الحافظ: أبي عبد الله محمد بن يزيد الغزويني: وعلق عليه: محمد

فؤاد عبد الباقي، الجزء الأول، دار الفكر- للطباعة والنشر والتوزيع.

❖ الكنى والالقاب، المحقق الشهير والمؤرخ الكبير الشيخ عباس القمي، تقديم: محمد هادي الاميني.

❖ دعائم الإسلام، أبو حنيفة النعمان، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف: ١٣٨٣- ١٩٦٣.

❖ نيل الاوطار عن احاديث سيد الاخيار، شرح منتقي الأخبار: للشيخ محمد بن علي ابن محمد الشوكاني: الجزء الأول- ١٩٧٣: دار الجيل- بيروت – لبنان.

فهرس الموضوعات



إنَّ الشيء الذي كان له الأثر الكبير في المحافظة على الإسلام النقي هو دور أهل البيت عليهم السلام إلى جانب القرآن الكريم، وخصوصاً الدم الشريف الذي بذله الحسين عليه السلام في سبيل ذلك، وبقي نوراً هادياً للمسلمين ومؤشّراً على الانحرافات ومثيراً للأحاسيس والمشاعر ضدها والموقف العملي منها، بل إنَّ المحافظة على فهم القرآن فهماً صحيحاً كان بسبب الدور العظيم لأئمَّة أهل البيت ولدم الحسين عليه السلام، وقد أكّد أئمَّة أهل البيت عليهم السلام على قضية الحسين عليه السلام؛ لأنَّهم كانوا يدركون هذا الدور العظيم لها.



مؤسسة تراث الشهيد الحكيم
WWW.AL-HAKIM.COM